

إبراهيم طوقان

الأعمال الشعرية الكاملة

إعداد وترتيب

ماجد الحكواتي

أشرف على طباعة هذا الديوان وراجعته ووضع بعض حواشيه ودقق فهارسه الباحث
في الأمانة العامة لمؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

ماجد الحكواتي

الصف والإخراج والتنفيذ:

محمد العلي

أحمد متولي أحمد جاسم

قسم الكمبيوتر في الأمانة العامة للمؤسسة

حقوق الطبع محفوظة للمؤسسة

تلفون: 2430514 فاكس: 2455039 (00965)

E-mail < babtainprize@hotmail.com >

2 0 0 2

تصدير..

«ماذا يبقى من إبراهيم طوقان؟»

ما الذي يدفعنا إلى إعادة نشر شعر إبراهيم طوقان وبعد أكثر من ستين سنة على غيابه، إن مرور جيلين على وفاة شاعر هو محك حقيقي للكشف عن أصالته، فإذا كان الزمن يطوي بين تلافيفه أنصاف الشعراء فإنه يقف عاجزاً أمام الشعراء الكبار الذين يزيدهم البعد الزمني حضوراً، فالشاعر الأصيل وهو يعيش عصره لا يرى فيه مجموعة من الأحداث المتراكمة الساكنة، بل يلحظ بعين الصقر في عصره سريان العصور، ويرى من خلال الحدث اهتزازاته السابقة واللاحقة، وبهذا الاستشراق يبقى شاعراً معاصراً في كل زمن لأنه يدرك بحسه الصادق المستمر والجوهري ولا يستنفده المتحول والعرضي.

ويحق لنا أن نسأل: ماذا بقي لنا من إبراهيم طوقان وشعره؟

وافق إبراهيم طوقان المأساة الفلسطينية منذ كانت مشروعاً إلى أن أصبحت أزمة وتوفي وهي توشك أن تتحول إلى كارثة، وفي خضم هذه العاصفة التي تهدد الوطن والمواطن كتب شعره على ضوء الدم الفلسطيني، ورحل إبراهيم وبقي لنا شعره والكارثة، وكما حاصرتة الأزمة وتجاوزت جيله، فإن الكارثة ما تزال تحاصرنا وتكاد تتجاوزنا، فهل نجد في شعر إبراهيم، وهو وصيته المتبقية لنا، ما يضيء لنا عتمة الأزمة؟ مع أن الشاعر غير مطالب كالسياسي بتقديم خطة مفصلة لمواجهة الأزمة فإنه بتقمصه لروح شعبه يمكن له أن يوحى بالاتجاه الذي به نوقف الأزمة ولا ندعها تتجاوزنا.

انغمس إبراهيم طوقان بحسه الوطني في نهر الأحداث المتدفق ولكنه لم يفرق فيه، فظل على وعي تام بالخيوط التي تحرك الأحداث، ورائياً في تفاصيل المشهد وسكونه قسماته الأساسية وحركته المقبلة.

امتلك إبراهيم منذ البدء رؤية واضحة لطبيعة الصراع في فلسطين، وإذا كان البعض قد خدع بالعبارات الملتبسة للمحتل، وعلق آمالاً على صداقة متوهمة، فإن إبراهيم كان يرى الأمر

عارياً من أي أوهام ، فليس الخطب في فلسطين - كما في باقي البلاد العربية - احتلالاً ، بل هو اغتصاب بكل تداعياته ، وعندما تصبح المعركة أن تكون أو لا تكون تختفي من القاموس كلمات المهادنة والمساومة وتنحصر الألوان في لونين فقط : أبيض وأسود . وتنتفي الميوعة والتداخل ويأخذ كل أمر حدوده الصلبة الواضحة .

شعر إبراهيم أن الأزمة ستتحول إلى معركة مفتوحة لحدود لها ، مادام المتنازع عليه قدس الأقداس : أرض الوطن ، وفي معركة مصيرية كهذه فإن تحديد العدو ونواياه يصبح ضرورة لا غنى عنها :

لنا خصمان ذو حَوْلٍ وطَوْلٍ
وآخرُ ذو احتيالٍ واقتناصٍ
منهاجٌ للإبادة واضحات
وبالحسنى تُنقِذ والرصاص

وفي مواجهة المحو والإلغاء تصبح كل وسائل الاحتجاج المعتادة لغواً وعبثاً ، ولا يقف أمام منهج الإبادة إلا منهج الشهادة . فالقوة تلغيها القوة :

لا يـلـين القـويُّ حتـى يـلـاقـي
مـثـله عـزّة وبـطـشاً وجـاهـا

وكما أدرك إبراهيم طوقان قيمة الأرض وجعلها في مرتبة القداسة أيقن أن الإنسان لا يستحق هذه الأرض إلا عندما يغسلها بدمه :

صـهـروا الأـغـلالَ وانـصـاعوا إلـى
دنسِ الأـرضِ فـقالوا اغتـسلـي

وإذ ذاك يبلغ الإنسان الفاني شجرة الخلد ، ويسقط الحاجز بين الموت والحياة :

عاشت نفوسٌ في سبيل بلادها ذهبَتْ ضحيَّه

هكذا امتلك إبراهيم طوقان رؤية واضحة لطبيعة الصراع فوق أرض فلسطين ، ولكنه لم يكن يمتلك سلطة القرار ليحيل هذه الرؤية إلى واقع ، وإذا افتقدت فلسطين في ذلك الوقت القيادة التاريخية التي تتمتع بعمق النظر وصلابة الموقف ، فإن مسار الأزمة كان واضحاً في مخيلة طوقان ، إنه الكارثة :

لا تلمني إن لم أجِدْ من وميضٍ لرجاءٍ ما بين هذا السوادِ

لقد بقيت لنا من شعر إبراهيم طوقان رؤيته الواضحة لآلية الصراع في الأرض المقدسة ،
ونحن ما زلنا ننتظر القرار الذي يحول هذه الرؤية إلى واقع ويفك عنا هذا الحصار الخانق الذي
يسمّم كل مفردات حياتنا .

وإذا كنا ندرك أن كلمات الشعراء مهما كانت حرارتها لا تكفي لتحرير وطن ، فإننا على
يقين بأن هذه الكلمات هي التي تذكّر الإنسان بالحق المغتصب ، وتبقي هذا الحق مؤرقاً للوجدان
حتى يستدعي الرصاصة التي تحرر الوطن وتحقق للقول الشعري نبوءته ووعدته الذي لن يخيب .

وختاماً فإن المؤسسة تقدم باحترام كل أشعار إبراهيم طوقان ، وربما يكون ذلك لأول مرة ،
في كتاب واحد ، ويسعدني توجيه الشكر والتقدير للأستاذ ماجد عبدالسلام الحكواتي الباحث
في الأمانة العامة لمؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري على جهده الوافر في
جمع المادة من مظانها المبعثرة في المكتبات على امتداد الوطن العربي مخطوطة ومطبوعة في
الدوريات والكتب والدواوين والطبعات السابقة ، وشكري موصول لكل من زودنا بقصائد من
هذا الديوان .

والحمد لله من قبل ومن بعد .

عبدالعزیز سعود البابطين

الكويت في ١٢ جمادى الآخرة ١٤٢٣هـ .
الموافق ٢٠ من أغسطس ٢٠٠٢م

— |

| —

— |

| —

طبعة جديدة... تحدُّ جديد

أليس من المفارقة أن يفارق شاعر فلسطين الأول إبراهيم طوقان الحياة وقد ملأ شعره أسماع الوطن العربي دون أن ينشر له ديوان، وأن يبقى كثير من شعره مبعثراً في صفحات الدوريات العربية أو مطوياً في دفاتره المخطوطة، وكأن إبراهيم شعر بهذه المفارقة في أواخر حياته فسارع إلى انتقاء بعض من قصائده وسلط عليها ما يمتلكه من حس نقدي واجتماعي ليصفيها من أي شائبة، ولكن الموت عاجله بعد أن أتمَّ إعداد قصائده للنشر، وبعد وفاته وجد شقيقه أحمد أن الوفاء لأخيه يقتضيه إكمال عمله، فإذا بالأحداث العاصفة للحرب العالمية الثانية ثم نكبة التشرد تؤخّر هذا العمل، ولم يتح لديوان إبراهيم الظهور إلا عام ١٩٥٥، فصدرت الطبعة الأولى من الديوان عن دار الشرق الجديد في بيروت، وقد حافظ أحمد طوقان على القصائد التي اختارها إبراهيم وعددها (٧٧) قصيدة واقتصر عمله على تشكيل بعض الكلمات. . . وشرح بعض المناسبات. . . وإضافة عشر مقطوعات غزلية، وبلغت أبيات هذا الديوان (١٤٥٥) بيتاً تقريباً، واحتوى هذه الديوان - بالإضافة إلى القصائد - مقدمة لأحمد طوقان وكتيباً كانت قد أصدرته فدوى طوقان بعنوان: «أخي إبراهيم»، ثم رتبت القصائد حسب الموضوعات مع نشر بعض القصائد الطويلة منفردة، وقد ظلت هذه الطبعة تمثل الصوت الشعري المعروف لإبراهيم طوقان لجيل كامل من القراء العرب، وبقي الكثير من نتاجه الشعري مطموساً لا يعرفه إلا قلة من المعاصرين للشاعر والمتصلين به.

حتى جاءت دار القدس في بيروت عام ١٩٧٥ وأصدرت طبعة جديدة لديوان الشاعر تُمثّل نقلة جديدة إذ ضمت الأشعار التي احتوتها طبعة دار الشرق، وأضافت إليها (٣٦) قصيدة جديدة دون أن تذكر مصادرها، وبلغت أبيات هذه الطبعة (٢١٣٢) بيتاً تقريباً، وقد اتبعت هذه الطبعة طريقة جديدة في الترتيب وهو الترتيب التاريخي للقصائد حسب تاريخ نظمها أو نشرها، واحتفظت للأناشيد بحيز خاص. وظلت هاتان الطبعتان الأساس المعتمد لكل ما صدر بعدهما، فنهجت طبعتا دار العودة ودار المسيرة نهج طبعة دار الشرق الجديد، بينما اتبعت طبعة المؤسسة

العربية للدراسات والنشر طبعة دار القدس .

وعندما قررت مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري إصدار طبعة جديدة لديوان إبراهيم طوقان بمناسبة انعقاد دورتها الثامنة في البحرين كان أمامها تحدٍّ جوهري : أتكتفي بإعادة طبع إحدى النسختين وفيه توفير للجهد والوقت أم تبدأ مغامرة جديدة من مغامرات الكشف بكل ما تتطلبه من جهد وعناء ، ووجدت المؤسسة أن من حق هذا الشاعر الكبير عليها الذي ما زال الكثير من تراثه مغيباً ، أن تتحمل مسؤولية خاصة تجاهه في هذا الظرف الاستثنائي ، ووضعت هدفاً لها أن تحاول الإحاطة بما نشر من أشعاره سواء في الدوريات أو في الكتب ، دون أن تسترق السمع إلى خصوصياته التي رغب أن تبقى طيَّ أوراقه . وإذا كان أي إبداع يبدأ من استيعاب ما سبقه ثم يعمل على تجاوزه فقد وضعنا الطبعتين السابقتين كأساس لعملنا وطرقنا مكتبات العواصم العربية الأربع : القاهرة ، ودمشق ، وبغداد ، وعمان ، نبحت في خزائنها عما نشر لإبراهيم من القصائد في الدوريات القديمة ، واطلعنا على أغلب ما كتب عن طوقان في الكتب المنشورة ، وقد جمعنا كل ما استطعنا العثور عليه من قصائد أو مقطوعات أو أبيات للشاعر الكبير ولم نستثن من ذلك إلا بيتاً خرج عن حدود اللياقة ، أو مقطوعة غلبت عليها العامة ، وكلفنا ذلك الكثير من الصبر والعنت تحملناه راضين ، ونعترف أنه مع كل ما بذلناه من جهد لم نتمكن من تحقيق كل ما كنا نطمح إليه ، لأن بعض الدوريات تاهت أو تهنا عنها ، وبقي بين حلمنا وواقعنا مسافة لا بأس بها ، ولعل هذه المسافة التي تلازم أي جهد بشري صادق لا مهرب منها لأنها تُذكر بأن النقص من طبيعة البشر ، حتى نلتزم بفضيلة التواضع ، ونترك لمن سيأتي بعدنا فرصة لكي يتجاوزونا كما تجاوزنا مَنْ قبلنا ، وقد رتبنا قصائد هذه الطبعة ترتيباً موضوعياً ، وحرصنا على تسلسل القصائد زمنياً داخل كل باب ، وجمعنا ما تناثر من أبيات ومقطوعات للشاعر في باب خاص ، وأفردنا ملحقاتاً خاصاً لأربع قصائد اشترك إبراهيم طوقان في نظمها مع شعراء آخرين .

وقد بلغت عدد قصائد ومقطوعات هذه الطبعة (١٥٨) وعدد أبياتها حوالي (٢٥٣٠) بيتاً تقريباً وإذا كنّا نعترف بالفضل العميم لمن سبقنا في إخراج شعر إبراهيم طوقان إلى النور فإننا نأمل أن يأتي من بعدنا من يمضي خطوات أبعد مما قطعناه في جمع تراث هذا الشاعر الكبير ، لعلنا بذلك نكون قد أدينا قسطاً من الواجب تجاه شاعر جعل من همومنا همه الخاص ، ووظف شعره لرصد كل ما يجول في نفوسنا من صبوات وانكسارات .

أخي إبراهيم

بقلم فدوى طوقان

لا أحب إلي من ساعة أخذ فيها مجلسي من أمي، فتحدثني عن طفولة شقيقي إبراهيم رحمه الله، ويا له شعوراً حزيناً، يتسرّب في شعاب قلبي، حين تفتتح حديثها عن إبراهيم بهذه الديباجة التي تفعم نفسي بالرحمة لها، والحسرة عليه: «لقد بلوت في إبراهيم الحلو والمر، ولقيت فيه من الحزن وطارقات الهموم، أضعاف ما لقيت فيه من السعادة والهناء...» وتترقرق في عيني كل منا دمعة، وتعتلج في صدر كل منا لوعة، ثم تشرع هي، في حديثها عن طفولة إبراهيم، وقد أقبلت عليها بحواسي وقلبي وروحي جميعاً.

كان إبراهيم لعباً إلى حد بعيد، لا يقتصد إذا أخذ بسبب من أسباب العبث واللعب، وكأنما كانت نفسه تضيق بإهابه فلا يهدأ، ولا يستقر. وهو في أحيان كثيرة على خلاف مع جدته لأمه، رحمها الله، إذ كان على وفاق مع طبيعته المرحّة اللعوب، كان يعرف نزق جدته وضيقها بالضجة والحركة، فلا يألو جهداً في معابثتها واستفزازها، وذلك لكي تزجره وتنتهره برطانيتها التركية التي كانت تخالطها من هنا وهناك كلمات عربية، لا تستقيم لها مخارج بعض حروفها فتأتي ملتوية عوجاء، تبعث إبراهيم على الضحك، ولقد تهّم الجدة باللاحاق به، فيفر منها.. ويتسلق إحدى شجرات النارج التي تمتلئ بها ساحة الدار، وهناك يأخذ مكانه بين الفروع الغليظة الصلبة، وينتهي الأمر بينهما عند هذا الحد. ثم يشرع، وهو في مقعده ذلك من الشجرة، يترنّم بالأهازيج الشعبية التي كانت تروقه وتلذه كثيراً.

وإنني لأمثل في خاطري، ذلك الشيخ الوقور، جدي لأبي، رحمه الله متربعاً في كرسيه، مشتملاً بعباءته، وإلى جانبه حفيده الصغير إبراهيم، يتقارضان من الشعر والزجل «والعتابا» ما يعيه قلباهما.

وإنني لأمثل إبراهيم في خاطري كما يصورونه لي، واقفاً أمام جده يرتجل ما ينقذ عنه فكره الصغير يومئذٍ من قول يرسله في وصف حادث حدث في البيت، فيه نكتة، أو طرافة.. وذلك في عبارات تكاد تكون موزونة مقفاة، يقلد فيها ما كان يستظهره في المدرسة من شعر، أو ما يعيه قلبه من قصص «عنترة» و«أبي زيد الهلالي» و«سيف بن ذي يزن»، تلك التي كثيراً ما أصغى إلى أمه وهي تقرأها لجده لأبيه، في أمسيات الصيف الجميلة، أو في ليالي الشتاء الطويلة.

كان ذلك التقليد من إبراهيم لأسلوب الأشعار التي يحفظها في المدرسة، ولأسلوب القصص التي يسمعا تقرأ في البيت، يملأ نفس الجد غبطة، ويفعمها بهجة، فيأخذ حفيده إليه، ويحتويه بين ذراعيه، ويقول له بلهجة المعجب المتعجب: «... من أين تأتي بهذا الكلام يا إبراهيم!»، ثم يأخذ كيس نقوده من جيبه، ويتناول منه قطعة، يقبضها إبراهيم، وينطلق بها مرحاً خفيفاً، كأنه طيف من الأطياف.

على مثل تلك المقارضات والمساجلات، وعلى مثل هذه المحاولة الصبيانية لقول الشعر، التي كانت تروق الجد، بما فيها من تسلية لشيخوخته، والتي كانت تستهوي الحفيد، بما فيها من إشباع لفطرة شعرية كامنة فيه، نشأ إبراهيم أول ما نشأ.

وفي هذه الأثناء أيضاً، كان إبراهيم يبعث بالعجب والطرب معاً في نفس معلمه، إذ يقف أمامه وقفته الخاصة كلما قام لينشد الشعر في درس الاستظهار، سواء أكان ذلك الشعر عربياً أم تركياً، فيلقيه إلقاءً موسيقياً جميلاً، ينبعث له طرب المعلم، فيشرع، وهو المعلم الوقور، ينقر بأصابعه على المكتب نقرات إيقاعية، تسير ذلك الإلقاء الرائع الذي كان يزيد في روعته صوت خلاب أسر، عُرف له في مواقفه الخطابية فيما يلي:

كانت «المدرسة الرشادية الغربية» حيث تلقى إبراهيم دروسه الابتدائية تنهج في تعليم اللغة العربية نهجاً حديثاً لم يكن مألوفاً في مدارس نابلس في العهد التركي. وذلك بفضل بعض المدرسين النابلسيين الذين تخرجوا في الأزهر، وتأثروا في مصر بالحركة الشعرية والأدبية التي كان يرفع لواءها شوقي وحافظ وغيرهما من شعراء مصر وأدبائها. هؤلاء المدرسون، أشاعوا في المدرسة روح الشعر والأدب الحديثة، وأسمعوا الطلاب للمرة الأولى في حياتهم الدراسية قصائد شوقي وحافظ ومطران وغيرهم، وفتحوا أذهانهم على أسلوب إنشائي حديث، فيه رونق، وفيه حياة، يختلف اختلافاً كبيراً عن ذلك الأسلوب القديم الذي كان ينتهج في المدارس في نابلس، والذي لم يكن ليخرج عن كونه أسلوباً تقليدياً عقيماً، لا تأثير له، ولا غناء فيه.

من هؤلاء المدرسين المجددين، المرحوم الشيخ إبراهيم أبو الهدى الخماش، وكان جريئاً صريحاً، ذا نزعة عربية صميمة، ومبادئ وطنية قومية، يجهر بها ويبثها في النفوس عن طريق خطبه وتدريسه ومجالسه، وذلك في عهد، كان الجهر فيه بمثل تلك المبادئ، يوفي بأهله على المهالك، وقد التحق في ما بعد بالثورة العربية، تحت لواء المغفور له الملك فيصل.

ومن هؤلاء المدرسين أيضاً، صاحب الفضيلة، الشيخ فهمي أفندي هاشم قاضي قضاة شرقي الأردن في وقت مضى.

أمضى إبراهيم أربع سنوات في هذه المدرسة، هي سنوات الحرب العظمى، وانتقل على أثر الاحتلال الإنجليزي مباشرة، إلى مدرسة المطران في القدس، وله من العمر أربعة عشر عاماً.

وهنا نعرض لشخصية تعرّف بها إبراهيم في القدس، فكان لها انطباع في نفسه في ذلك الحين، تلك هي شخصية المرحوم الأستاذ نخلة زريق، وكان هذا

متأثراً باليازجيين، واسع الاطلاع على الآداب الإسلامية العربية، شديد التعصب للغة، شديد الوطأة على كل عربي متفرنج يتهاون في لغته أو عربيته، وكان ذا شخصية قومية، لا بد من أن تترك في أعماق من تعرف بها، أثراً منها.

كان المرحوم نخلة زريق مدرساً للغة العربية في «الكلية الإنكليزية» في القدس: فتح عيون طلابه على كنوز الشعر العربي، وحببها إليهم.

ولقد كان إبراهيم، وهو في مدرسة «المطران» يأخذ من شقيقه أحمد - وكان طالباً في الكلية الإنكليزية - منتخبات الشعر القديم والحديث، مما يختاره المرحوم نخلة زريق لطلابه، فيستظهرها جميعاً، وعن طريق أحمد، تعرف إبراهيم بذلك المدرس الأديب، فكانا يزوران معاً في بيته الذي كان محجّة العلماء والأدباء في القدس، ويصغي إليه وهو يتدفق في حديثه عن الأدب والشعر، والعرب والعروبة.. مما كان له شأن في إيقاظ وعي إبراهيم على مؤثرات أدبية وقومية أخرى.

وإذ أتم أحمد دراسته في الكلية الإنكليزية، وتوجه إلى الجامعة الأميركية في بيروت، ظلت تلك الأسباب موصولة بين إبراهيم وبين المرحوم نخلة زريق، ولكن لمدة قصيرة، إذ توفي الثاني سنة ١٩٢٠.

في هذه الفترة من الزمن، كان إبراهيم يحاول أن يقول الشعر الصحيح، فتلتوي عليه مسالكه، ولا يفلح فيه، إذ لم يكن قد درس علم العروض بعد.

وفي العطلة المدرسية، يعود أحمد من بيروت، ويلتقي الشقيقان في نابلس وقد حمل أحمد لإبراهيم، ما حصله هناك من علم العروض، ويشرح له تفاعيل الأبحر الشعرية ويوقفه على أصول القوافي، فيستوعب الشاعر المنتظر كل أولئك جميعاً، وكأنما فُتح له فتح في دنيا الشعر التي كان يتشوق إليها ويعقد آماله ومطامحه عليها.

وعلى أثر ذلك، يبدأ إبراهيم يقرزم الشعر قرزماً، ويقول في المناسبات التي تعرض له، والأحوال التي تمر عليه في مدرسة المطران مما يوحي به الجو المدرسي، بما فيه من جد وهزل.

وفي مجموعة أشعاره التي نظمها خلال عاميه الأخيرين في مدرسة المطران، نحس بالشاعرية الكامنة التي كانت تأخذ عدتها، لتستعلن بعد حين قصير في شعره القوي، كما نلمس تلك الروح الوطنية المشتعلة التي أشربها منذ الصغر، والتي أذابها في ما بعد، في شعره الوطني.

وفي سنة ١٩٢٣ نشر إبراهيم لأول مرة إحدى قصائده، ويقول إبراهيم بهذا الشأن:

«... لعلها أول قصيدة نُشرت لي في صحيفة. رحم الله عمي الحاج حافظاً. قرأها، فأبدى إعجابه بها «على سبيل التشجيع» وطلب إلي أن أبيضها لينشرها في الجريدة! في الجريدة؟ شيء يطيش له العقل، فأسرعت إلى تلبية طلبه، وعُنت بكتابتها قيراطاً، وبوضع اسمي تحتها ثلاثة وعشرين قيراطاً... ثم أتيت بها إليه، قال رحمه الله: «أتضع اسمك هكذا: إبراهيم طوقان؟ لا يا بني! يجب أن تضع اسم الوالد أيضاً، إبراهيم عبدالفتاح طوقان، اعترافاً بفضلته عليك، وبره بك...» أدب أدبني به عمي رحمه الله، لا أعلم أنني وقَّعت اسمي بعد ذلك إلا تذكرت قوله وعملت به في كل أمر ذي بال أردت نشره».

ولقد كان من أكبر الأسباب التي أعانته على أن يقول الشعر فيجيد به بالقياس إلى صغر سنه، هو كثرة حفظه للشعر المنتخب، واحتفاله الكبير بالقرآن الكريم، فقد كان كثير التلاوة له، عميق النظر فيه. وأما ذلك الاحتفال منه بكتاب الله، فإنه يرجع بدواعيه وأسبابه إلى بيئة في البيت، يُعنى أصحابها بتنشئة أطفالهم على تلاوته والتشبع بروحه. ولم ينفك إبراهيم منذ صغره يقرأ القرآن، ويطل التأمّل فيه، حتى أصبح له ذلك ديدناً، لا يعوقه عنه عائق، ولا يصرفه عنه تقلبه في مختلف معاهد العلم الأجنبية في ما بعد، ولم تكن تلاوة القرآن الكريم تلاوة سطحية عابرة، بل كان يتجه إليه بقلبه وروحه، ويحس له في نفسه وقعاً عجيباً، وأثراً بعيداً، فيهزه إعجازه هزاً، وتفعل فيه بلاغته فعل السحر، ويستولي عليه خشوع عميق، يصرفه عن كل ما يحيط به.

انتهى إبراهيم من تحصيله في مدرسة المطران سنة ١٩٢٢ - ١٩٢٣ وانتقل إلى الجامعة الأميركية في بيروت، وهنا تبدأ أخصب مراحل حياته الدراسية، أو أكثرها ألواناً.

فها هو في بيروت، يظله أفق أدبي واسع لا عهد له بمثله في فلسطين، هنالك الأدباء والشعراء، وهنالك الدنيا براقعة خلوب.. وهنالك بعد ذلك، السهم الذي كان ينتظره، منجذباً عن وتره إلى آخر منزع، يتربص به الفرص، لينفذه في قلبه الذي لم يكن قد مسّه الحب بعد..

في هذه الجامعة، يعرفه شقيقه أحمد بأحد أصدقائه من الطلاب، وهو «سعيد تقي الدين»، وسعيد، من أولئك الذين يتذوقون الشعر، ويميزون بين صحيحه وزائفه تمييزاً صائباً، فيلمح هذا في شعر إبراهيم بارقات وصوراً شعرية، تلوح من هنا، وتستتر من هناك. وتساند أحمد وصديقه سعيد، وبدأ يوجهان إبراهيم التوجيه الصحيح في عوالم الشعر ودنياواته الرحبية الجميلة.

وفي عامه الدراسي الثاني في الجامعة، وكانت شاعريته قد بدأت تزخر وتمتلئ، لتنبثق عن معينها بعد أن أخذت عدتها من هذه الصناعة الدقيقة، صناعة الشعر، نظم إبراهيم قصيدته في الممرضات، أو «ملائكة الرحمة» فكانت أول قصيدة لفتت إليه الأنظار في لبنان.

ففي هذا العام «١٩٢٤» مرض إبراهيم، واضطره ذلك إلى العودة إلى نابلس، قبل انتهاء الفصل الدراسي الأول، وفي أثناء مرضه نظم تلك القصيدة، ونشرها في جريدة «المعرض» التي كانت تصدر يومئذٍ في بيروت فإذا العيون تتطلع إلى هذا الشاعر الناشئ، الطالب في الجامعة، وإذا بالصحف تتناقلها، نقلتها مجلة «سركيس» عن «المعرض» وعلقت عليها بقولها: «ولعله أول من نظم شعراً عربياً في هذا الموضوع»، وطُلبت القصيدة من قبل مجلة «التمدن» في الأرجنتين، وأهديت إليه

المجلة سنة كاملة، وكان مما علقته عليها قولها: «ولو كان كل ما ينظمه شعراؤنا في هذا الباب من هذا النوع، لكان الشعر العربي في درجة عالية من القوة والفتوة» ونقلتها جرائد ومجلات أخرى، وكلها تُطري الشاعر، وتشجعه.

أما هذه القصيدة، فهي وإن تكن قد قيلت في موضوع الممرضات، غير أن قسماً كبيراً منها، كان في وصف الحمام، تلك الطيور الوديدة، التي كان يُغرم بها إبراهيم، ويُعنى باقتنائها وتربيتها، أيام صباه، وتحدثني أمي، كيف كان وهو طفل ينجذب إلى هذا الطائر انجذاباً خاصاً، ويتأمله محوِّماً رائحاً غادياً، وكيف كان إبراهيم إذا وقف كل صباح ليغتسل على حوض الماء الذي يقوم في صحن الدار، أطل هناك الوقوف مستغرقاً في تأمله لأسراب الحمام، وقد حفت بالماء تغتسل وتعبث بريشها، فلا يزال على وقفته تلك، إلى أن ينبهه والده إلى إبطائه على المدرسة.

وهكذا يمضي إبراهيم في طريق النظم، وكانت نشوة توفيقه في قصيدة «ملائكة الرحمة»، قد أفعمته بالزهو والخيلاء كما يقول، إلى أن تلقاه درساً أليماً، أوحى إليه يومئذٍ بقصيدة عنوانها «عارضي نوحى بسجع» وفيها تنعكس حالته النفسية الثائرة، التي ترجع بأسبابها إلى الدرس الأليم الذي تلقاه.

يقول إبراهيم بهذا الصدد: «كنت قد توفقت في قصيدة «ملائكة الرحمة»، وسمعت كثيراً من كلمات الإعجاب بها، فخيّل إلي أن كل قصائدي في المستقبل، ستكون مثلها مدعاة للإعجاب؟! وأخذت في نظم قصيدة غزلية، وأنا مفعم بزهوي وخيلائي، وأخذت أغوص على المعاني، وأتفنن بالألفاظ!! وكان يشرف على نشأتي الأدبية اثنان من الزبانية هما أخي أحمد، وسعيد تقي الدين، فهرعت إليهما لأسمع إعجابهما وأنتشي به، وتلوت عليهما القصيدة، وظفرت بالإعجاب!... وتركاني، وعادا إلي بعد قليل. قال أحمد: «أخي أنا لا أفهم القصيدة جيداً حين تتلى علي، أريد أن أقرأها بنفسي»، فناولته القصيدة، ودنا رأس سعيد من رأس أحمد، وشرعا في

قراءة صامتة، ثم كانت نظرات تبادلها، أحسست منها بمؤامرة.. وإذا بالقصيدة تُمزَّق، وإذا بها تُنسَف في الهواء. قال أحمد: «هذه قصيدة سخيصة المعنى، ركيكة المبنى»، قال سعيد: «ليس من الضروري أن تنظم كل يوم قصيدة»! قال أحمد: «كلها تكلف وحذقة!». قال سعيد ليهوّن أثر الصدمة: «لا بأس بها، لكنها لا شيء بالنسبة إلى قصيدة ملائكة الرحمة، اعمل كل سنة قصيدة مثل ملائكة الرحمة، وكفاك».. قال أحمد... وقال سعيد.. ولكن كان رأسي بين أقوالهما كأنه في دوار، ولم أتمالك عن البكاء، وتركتهما حائلاً ناقماً، وبعد ساعة كان سعيد فوق رأسي - وأنا لا أدري - يتلو أثر تلك الصدمة في قصيدتي: «عارضي نوحى بسجع». فاخطفها، وعاد إلي بها في الصباح، وعليها الجملة الآتية بقلم عمه الشيخ أمين تقي الدين: «روح شاعرة، ليتها في غير معاني اليأس، فالشباب واليأس لا يلتقيان، أما النظم، فيبشر بمستقبل فيه مجيد».

«قسوة وعنف، أفاداني أن أكون مع نفسي بعدئذٍ قاسياً عنيفاً، أمزق القصيدة حين أشعر بالتكلف يدب فيها، وأن أقف موقف الناقد الهدام، أحطم شعري بيدي، أو أبديه وأنا راض عنه، ضامن رضى قارئه أو سامعه. أحمد وسعيد ليسا من الزبانية، إنهما ملكان كريمان!.. جزاهما الله عني خيراً».

ونعود إلى ما بدأنا به من الحديث عن أيام إبراهيم في بيروت فنقول: مضت عليه سنوات ثلاث في الجامعة، بلغ في نهايتها الثانية والعشرين، وقد قعد به المرض خلالها عن إتمام دراسته في الصف الأول العلمي، فانتقل إلى نابلس، ثم عاد في العام الذي تلا ذلك إلى الجامعة. وكان في هذه السنوات الثلاث لا ينقطع عن قول الشعر، وفي سنة ١٩٢٥ نشرت له جريدة «الشورى» في مصر نشيداً وطنياً لتحية المجاهد الأمير عبدالكريم الريفى. فلما اطلع الشاعر الأستاذ خير الدين الزركلى على النشيد قال:

«إن صدق ظني، فإن صاحب هذا النشيد سيكون شاعر فلسطين».

ومن عجب، أن يظل قلب إبراهيم خالياً من المرأة حتى ذلك الحين، ولقد كان أصدقائه في الجامعة يعجبون لذلك ويقولون له على سبيل المزاح: «أنت شاعر ولكن بلا شعور، أين وحي المرأة في شعرك؟».

في نهاية تلك السنوات الثلاث، بلغ إبراهيم الثانية والعشرين كما ذكرنا من قبل، وهنا مس الحب قلبه.. ولكن هل كان مس ذلك الحب رفيقاً رحيماً؟ كلا، بل كان مساً عنيفاً ملهباً أشعل روحه وأيقظ حسه، وأرهدف نفسه.

ففي سنة ١٩٢٦، طلعت في الجامعة في بيروت، فتنة تمثلت في صورة فتاة فلسطينية طالبة هناك، فأحيت قلوباً وسحقت قلوباً... وتورط إبراهيم، ودخل المعركة، وابتلى حسنات وسيئات، أما السيئات، فليس هذا بموضع تدوينها، وأما الحسنات، فتتجلى في الطريق الأدبي الجديد الذي نهجه، والاستعداد الكبير للسير في هذا الطريق.

صار قوي الملاحظة، حاضر العاطفة، متوفز الأعصاب، صار كثير المطالعة، صياداً للمعاني، بسيط العبارات، سهل الفهم، مصيباً.

تلك هي حسنات ذلك الحب، على حد تعبيره.

ونظم في فتاته قصيدته «في المكتبة» ونشرت القصيدة في إحدى الصحف في بيروت، فنطقت بالسنة الكثيرين من الطلاب والأساتذة أيضاً.. ومنذ ذلك الحين، أخذ إبراهيم يضرب على قيثارة الغزل، فيطرب سُماعه، ويعجب قراءه. وقد أحبته فتاته بمقدار ما أحبها، ثم ضرب الدهر بينهما، فكانت نهاية حبه مأساة، خلّفت في قلب الشاعر جرحاً، كان يندمل حيناً، وتنكأه الذكرى حيناً آخر، فينعكس ذلك كله في شعره، كما تنعكس صورة على صفحة المرأة المصقولة.

نكتفي بهذا القدر من قصة ذلك الحب، الذي كان له أكبر الأثر في إرهاب حسه، والسمو بشاعريته إلى سماء الشعر الصادق، الذي ينبثق من ذات النفس، وينبعث من

أعماق الروح.

ونلتفت الآن إلى بعض الأجواء الأخرى، التي كانت تحيط بإبراهيم في أعوامه التي قضاها طالباً في الجامعة.

لقد احتضنت إبراهيم في الجامعة وخارجها، بيئة شعرية أدبية لم تكن لتحتضنه لو لم يكن في بيروت. أما في الجامعة، فقد كان هناك رجيل من أقرانه الطلاب، امتاز بصبغته الشعرية، وتعاطيه لقول الشعر الجزل. من ذلك الرجيل كان عمر فروخ «صريع الغواني» وحافظ جميل «أبوالنواس» ووجيه بارودي «ديك الجن» وإبراهيم «العباس بن الأحنف». وكان تجاوب الذوق والمشرب قد وصل بين هؤلاء بأسباب المحبة والأخوة. وكانت تجري بين حافظ ووجيه وإبراهيم، مساجلات شعرية عديدة، تناقلها الطلاب وأحبوها، غير أن هذه المساجلات لم تكن لتخرج عما توحى به طبيعة الشباب الملتهب، المندفع وراء الحياة..

هذا في الجامعة، وأما خارجها، فقد كانت هناك مجالس الأدب العالي والشعر الرفيع، وكلها تفتح لإبراهيم صدرها، وتوليه من عنايتها واهتمامها، وتعد بينه وبين أصحابها صلة الود. وحسبي أن أذكر من أصحاب تلك المجالس الأدبية الرفيعة المرحوم الشيخ أمين تقي الدين والمرحوم الأستاذ جبر ضومط، والشاعر بشارة الخوري «الأخطل الصغير».

أصبح إبراهيم شاعر الجامعة، كما لقبته صحف بيروت، ولم يقتصر في ذلك العهد على الشعر الغزلي فحسب، بل كانت أغاريده الوطنية الفياضة بالعواطف الصادقة، والإيمان الوطني القوي، تسير جنباً إلى جنب مع أغاريده الغزلية، وهذان الوتران كانا من الأوتار التي امتاز إبراهيم بالضرب عليها.

وفي سنة ١٩٢٩، نال شهادته من الجامعة، ليخوض بحر الحياة العملية المزيد المتلاطم.

معلم، معلم، معلم، هذه هي الكلمة التي كان يسمعها تتردد على شفاه الكثيرين من الطلاب الخريجين، يوم توزيع الشهادات، فيقول لنفسه: «أبعد هذا العناء والكد، يختار هؤلاء التعليم مهنة؟. ألا ساء ما يفعلون، ما أقصر مدى طموحهم».

أما هو، فقد كانت المفاوضات جارية بينه وبين إحدى دور الصحافة في مصر، وتوشك أن تنتهي على أحسن ما يتمناه، فهذه مهنة تلائم ذوقه على الأقل، وتسير مع اختصاصه، سيكون محرراً في مجلة كبرى في القاهرة، وناهيك بالقاهرة من مدينة فن وأدب وجمال، وأي شيء تصبو إليه نفس الأديب الناشئ الطموح، ولا يجده في القاهرة؟ المكتبة الكبرى، الأزهر، الصحف، الشعراء، الكتاب، «يا مصر، لله مصر!». «صحافي، صحافي..»

هذا ما كان إبراهيم يحدث به نفسه في أيامه الأخيرة في الجامعة.

من المنصة التي منح عليها «البكالوريا»، مشى إبراهيم إلى سرير المستشفى، وأراني حتى الآن، لم أشر إلى أنه كان يشكو ألماً في معدته منذ أيام التلمذة في مدرسة المطران في القدس، وكثيراً ما أقعده ذلك عن مواصلة التحصيل، إلى أن يُشفى فيعود إليها، وكثيراً ما حمله بعد ذلك، على الاستقالة من وظائفه التي تقلّب فيها.

أبلّ إبراهيم من مرضه، وكان والده إلى جانبه في هذه الآونة، إذ قدم بيروت ليشهد حفلة الجامعة، ثم توجه الاثنان إلى مصر ليستشيرا الأطباء هناك، وليبحث إبراهيم في شغله الصحافي.

وفي مصر ينفذ البرنامج، وتتجه صحة إبراهيم اتجاهاً حسناً، وبعد بضعة أسابيع يعود الوالد بولده إلى نابلس، قرير العين، ناعم البال، على أن يعود إبراهيم للشغل في مصر بعد أن يمضي مع ذويه أياماً قليلة.

غير أن الأم تأبى عليه ذلك، وتحكم أن يظل ولدها قريباً منها، وتدخل العاطفة في الموضوع.. زد على ذلك أن أباه لم يكن راغباً في شغله في مصر.

وكانت هنالك ظروف أخرى، شاءت أن يلغي إبراهيم برنامجه الصحافي ويضرب بهذا الأمل المنشود عرض الحائط، ولو لمدة سنة.

وفي هذه الآونة، كانت وظيفة معلم اللغة العربية في مدرسة النجاح الوطنية بنابلس شاغرة. فيأتي إلى إبراهيم والده، يقنعه بالموافقة على التدريس هناك، فهذه خدمة وطنية مشكورة، أضف إلى ذلك أن المسؤولين في المدرسة، سيجعلون ساعات العمل بحيث لا يرهقونه، ثم إن هذا العمل في بلده، وإنه لون من ألوان الاختبار يقطع فيه إبراهيم جزءاً من أوقات الفراغ الطويلة المملة.

ويكون رد إبراهيم على أبيه بأنه لا يستطيع أن يتصور نفسه معلماً، فهذا عمل لم يُخلق له، وسيكون فيه خائباً لا محالة، ولكن أباه يبين له أنه سيعلم في موضوعه، فلا يخرج عن نطاق ما خُلق له.

وإذا بإبراهيم ذات صباح أمام فريق من الطلاب، على مقاعدهم الخشبية، وإذا به يكتب على اللوح: «الطقس جميل»، ثم يقول لأحد التلاميذ: أدخل «كان الناقصة» على هذه الجملة، فيقول التلميذ: «كان الطقس جميلاً».

نعم.. كان الطقس جميلاً، فتعكر، وجرت الرياح بما لا تشتهي السفن..

زاوّل إبراهيم مهنة التعليم في هذه المدرسة سنة واحدة، وكان له تأثير في بعض طلابه من الصفوف العالية، فحبب إليهم الشعر والأدب، ولا أزال أذكر ذلك اليوم الذي أقبل فيه يحدثنا مبهتجاً، بأن بعض تلاميذه النجب، قد بدأوا ينظمون الشعر على يده.

خلال هذا العام الدراسي «١٩٢٩ - ١٩٣٠» كان إبراهيم ينظم الشعر الوطني،

فيرسله صرخات حافزة، وناراً مشتعلة، ومن أشهر قصائده في ذلك الحين «الثلاثاء الحمراء».

ففي حزيران سنة ١٩٣٠ صدر حكم الإعدام على شهداء فلسطين الثلاثة، وذلك على أثر ثورة سنة ١٩٢٩. وقد ضجَّ أهل البلاد لهذا الحكم، وقدموا احتجاجاتهم ورجاءهم، فلم يغنِ ذلك عنهم شيئاً.

وفي نهار الثلاثاء، السابع عشر من حزيران سنة ١٩٣٠، كان التكبير على المآذن، وقرع النواقيس في الكنائس، يتجاوب صداهما في أرجاء فلسطين قاطبة، إذ في ذلك النهار، نُفِّذَ حكم الإعدام بالشهداء الثلاثة، في ثلاث ساعات متوالية، فكان أولهم فؤاد حجازي وثانيهم محمد مجوم، وثالثهم عطا الزير، وكان من المقرر رسمياً أن يكون الشهيد «عطا الزير» ثانيهم، ولكن «مجموماً» حطم قيده، وزاحم رفيقه على الدور حتى فاز ببيغيته..

وهنا يأخذ الشاعر ريشته ليصور هذا اليوم المخضب بالدماء أروع تصوير، وليسجل في سفر الشعر الوطني الخالد، مصارع أولئك الشهداء، فتكون قصيدة «الثلاثاء الحمراء».

وكان يوم حفلة مدرسة النجاح السنوية في نابلس، ولم يكن قد مضى على تنفيذ حكم الإعدام بهؤلاء الشهداء أكثر من عشرة أيام، فالنفوس لا تزال ثائرة، والعواطف لا تزال مضطربة، وفي تلك الحفلة، ألقى إبراهيم قصيدته «الثلاثاء الحمراء».. وذُهل عن الجمهور، وشعر كأنما خرج من لحمه ودمه، فكان يلقي بروحه وأعصابه، فما انتهى حتى كان بكاء الناس يعلو نسيجه، ثم تدفقوا خارج القاعة في حالة هياج عظيم حتى لقد قال بعضهم يومئذٍ: «لو أن إبراهيم ألقى قصيدته في بلد فيه يهود، لوقع ما لا يحمد عقباه». يشير بذلك إلى فرط الحماس الذي أثارته هذه القصيدة في أولئك السامعين.

لم تكد تبدأ عطلة العام الدراسي الأخيرة لسنة ١٩٣٠ حتى كانت الجامعة

الأميركية في بيروت، قد عرضت على إبراهيم، بواسطة الأستاذ أنيس الخوري المقدسي، التعليم في قسم الأدب العربي في الجامعة.

كان مجرد فكرة العودة إلى بيروت، وأفاقها الرحبة السحرية، كفيلاً بأن يجعل إبراهيم يوافق على مزاولة التعليم مرة أخرى، وعن طيب خاطر.. فلقد كان حبه لهذا البلد، ولأهله الكرام، حباً متمكناً من نفسه، إلى حد بعيد، بل لقد كانت بيروت عنده بمنزلة الوطن الثاني له، يرى في أهلها أهله، وفي عشيرتها عشيرته، وكيف لا يكون لهذا البلد في نفس إبراهيم مثل هذا المكان الرفيع، وفيه تفتحت زهرة شبابه أول ما تفتحت:

أول عهدٍ بفنون الهوى

بيروت، أنعمَ بالهوى الأول..

وانتقل إلى الجامعة الأميركية، فدرّس فيها عامين، نظم خلالها أروع قصائده التصويرية، مما يدخل في باب الموضوعيات من شعره. ولإبراهيم في هذا الباب قصائد فذة، تفيض بالصور الحية الناطقة.

ولقد عادت المرأة، أو بالأحرى، عاد الجمال يحرك قلب إبراهيم في بيروت، فيوحي إليه بأرق الشعر وأجزله. ومسارح الجمال في بيروت مختلفة الألوان، متعددة الصور، وهي هناك تكاد تكون مكشوفة النقاب لا تختبئ وراء حجاب. وإبراهيم نشأ في بلد متمسك بتقاليده وعاداته أشد التمسك، فهو يسدل دون المرأة ستاراً كثيفاً نسجه. ومن هنا، كانت بيروت مهبط وحيه في ما قاله من شعر في المرأة.

وفي غادة أشبيلية أندلسية، كانت في بيروت، نظم إبراهيم في ما نظم من شعر غزلي في ذلك الحين، عدة قصائد، وهو يعترف بأن انجذابه إلى هذه الغادة، قد لا يكون بدافع جمالها، وخفة روحها، بمقدار ما كان يتقرّأه في خلقتها من الدم العربي وما كان يلاحظه من الفن العربي في ثيابها ورقصات.

وأثناء إقامته في بيروت قدم الجامعة الأميركية الدكتور «لويس نيكل البوهيمي»، وهو مستشرق تخصص في الغزل العربي، فكان ينتقل بين عواصم الشرق والغرب، باحثاً في مكاتبها الكبرى عن الكتب المتعلقة بموضوعه، وكان من نتيجة ذلك أن ترجم إلى اللغة الإنكليزية كتاب «طوق الحمامة» لابن حزم الأندلسي، وقد تعرف إبراهيم بالدكتور نيكل عن طريق صديقه الأستاذ أنيس فريشة، وكان هذا المستشرق، حين تعرف بإبراهيم، قد بدأ بتصحيح كتاب «الزهرة» لابن داود الأصفهاني، وتعليق حواشيه وتنظيم فهارسه. فلما رأى مدى اطلاع إبراهيم على الشعر القديم دعاه إلى العمل معه وأشركه في تصحيح الكتاب وطبعه، وباشرا العمل معاً في اليوم الثاني للمقابلة الأولى، وفي بضعة شهور أنجزا عملهما فيه حيث طُبع الكتاب سنة ١٩٣٢، ويقول الدكتور نيكل بهذا الشأن في رسالة خاصة تلقيتها منه: «... ثم أقمنا حفلة «الزهوية» في مطعم نجار، ونظم إبراهيم قصيدته «غادة أشبيلية»، وكانت تلك الأيام من أسعد أيامه وأيامي...».

وفي نهاية العام الثاني لتدريسه في الجامعة، قدّم إبراهيم استقالته من العمل، وعاد إلى فلسطين، حيث زاول مهنة التعليم في المدرسة الرشيدية في القدس. وفي هذا الحين، ضاق بعمله أشد الضيق، فنفس عن الكرب الذي لحقه من هذه المهنة بقصيدته «الشاعر المعلم» وقد صاغها في قالب فكاهي عذب، صور فيه ما كان يكابده من مشقة التعليم، والجهد الذي كان يبذله، والعناء الذي كان يلاقيه من جراء ذلك كله.

وفي أواخر سنة ١٩٣٢، وقبل انتهاء الفصل الدراسي الأول، ألح عليه السقم، ولازمته العلة، فانقطع عن التدريس، وظل طريح الفراش، إلى أن اشتدت وطأة المرض، فأشار الأطباء بضرورة نقله إلى المستشفى، وإجراء عملية جراحية في معدته، ولقد كان من خطورة شأن هذه العملية، أن نفّض الجراح يديه من نجاة مريضه من الموت بعدها، لما كان عليه إبراهيم من النحول والضعف. ولكن «الله في

السماء، والأمل في الأرض!» فقد أُجريت العملية بالرغم من الشك الكبير في نجاته من خطرهما. وتشاء حكمة الله، أن ينجو إبراهيم من الموت المحقق، ولقد أقر الطبيب يومئذٍ بأن سلامة مريضه كانت من معجزات الله، لا شأن لفن الطب فيها، ولا لحذق الطبيب، إذ كانت حال إبراهيم فوق هذين كليهما.

وتمائل للشفاء، وحانت الساعة التي سيغادر فيها المستشفى، فشيع الطبيب هذا «المولود الجديد»، كما كان يسميه، مهنئاً والديه به، وخرج إبراهيم وفي جيبه ورقة عليها هذه الأبيات:

إِلَيْكَ تَوَجَّهْتُ يَا خَالِقِي
بشكرٍ على نعمة العافية
إذا هي وَلَّتْ فَمَنْ قَادِرٌ
سواكَ على رَدِّهَا ثَانِيهِ
وما للطبيب يدٌ بالشفاءِ
ولكنَّها يدُكَ الشافية
تباركتَ، أَنْتَ مُعِيدُ الْحَيَاةِ
متى شئتَ في الأعظم الباليه
وَأَنْتَ الْمَفْرَجُ كَرْبِ الضَّعِيفِ
وَأَنْتَ الْمَجِيرُ مِنَ الْعَادِيهِ

بلى، لقد كان إبراهيم يؤمن بالله إيماناً عميقاً صادقاً، وقد ابتلاه ربه بالحرمان من نعمة العافية، وهو في ريعان الشباب، فما وجده إلا صابراً متفائلاً، وإنك لتتصفح ما خلفه من مآثره الأدبية، فتراه قد عرض فيها مراراً عديدة لذكر مرضه وسقمه، ولكنه عرض مرح مبتسم، لا روح للتشاؤم فيه ولا أثر لشكوى الزمان، إذ كان المرح والابتسام خلقة في إبراهيم، فلم يكن لينظر إلى الدنيا إلا من وجهها الضاحك المشرق، وانظر إلى هذه الأبيات لترى كيف كان يواجه تنكر العافية:

وطبيبٍ رأى صحيفةً وجهي
شاحباً لوئها، وعُودي نحيفا
قال: لا بدّ من دمٍ لك نُعطي
له نقيّاً، ملء العروق عنيفا
لك ما شئت يا طبيبٌ ولكنّ
أعطني من دمٍ يكون خفيفاً..

ضعف في البنية شديد، قد يبعث في غير إبراهيم التشاؤم والضرر، ولكنه هو، القوي بروحه، المرح بطبيعته لا يدع النكته تفلت منه وهو في أشد حالات المرض: «أعطني من دم يكون خفيفاً»..

غادر إبراهيم المستشفى موفور الصحة، وعاد إلى بلده بعد أن قدم استقالته إلى المدرسة الرشيدية في القدس، وقد عزم عزمًا أكيداً على عدم العودة إلى هذه المهنة، مهنة التعليم، مرة أخرى.

أمضى بعد ذلك عامين في نابلس، خدم خلالهما مدة في دائرة البلدية، وفي هذين العامين، نظم إبراهيم مقطعاته الوطنية التي كان يوالي نشرها في جريدة «الدفاع» والتي كان يُقبل عليها القراء بشغف عظيم، لما فيها من تصوير صادق لوضع فلسطين الخطير، وتفكك الأمة المريع، في تلك الفترة من الزمن.

وفي سنة ١٩٣٦ استلم إبراهيم عمله الجديد في القسم العربي في إذاعة القدس، وقبل الحديث عن أعماله هناك، أوتر أن أقف عند شعره وقفة قصيرة.

إذا قرأت شعر إبراهيم، تجلت لك نفسه على حقيقتها، لا يحجبها عنك حجاب، ذلك أنه كان ينظر نظراً دقيقاً في جوانب تلك النفس، ثم يصوّر ما يعتلج فيها من عواطف وخلجات، كأصدق ما يكون التصوير، ومما كان يعينه على البراعة والصدق في التعبير، علم غزير بفنون الكلام وأساليبه، وهذا العلم كان نتيجة لاطلاعه الواسع

على المآثر الأدبية الرفيعة، من قديمة وحديثة، إلى جانب القرآن الكريم، والحديث الشريف.

وما أعرف كتاباً أدبياً كان أحب إليه من كتاب «الأغاني»، فقد كان يرى فيه دنيا تغمرها الحياة على اختلاف ألوانها، وناهيك «بالأغاني» من كتاب أدبي توفرت فيه المادة، وتنوع الأسلوب، واتسع فيه مجال القول في الأخبار والنوادر الأدبية على اختلافها.

وكما كان كتاب «الأغاني» من أحب كتب الأدب العربي إلى إبراهيم فقد كان «المتنبي» من ناحية، «والعباس بن الأحنف» من ناحية أخرى من أحب الشعراء إليه وأقربهما من قلبه، وكان الدكتور «نيكل» قد ساعده في الحصول على نسختين تصويريتين لديوان «العباس» من إستنبول إذ كان في نية إبراهيم - لو أمهله الزمن - أن يُخرج هذا الديوان في طبعة جيدة أنيقة.

وأما «شوقي» في الشعراء المعاصرين فهو سيد المكان في قلب إبراهيم، يمكنك أن تُقسّم شعر إبراهيم إلى ثلاثة أقسام: الغزليات، والوطنيات، والموضوعيات، وهذه الأخيرة تمتاز بعمق الفكرة، ودقة التصوير، وقد حُلّق فيها إلى آفاق الشعر العالي، هنالك «الشهيد» و«الفدائي» و«الحبشي الذبيح» وغيرها. ولعل واسطة العقد في موضوعياته، قصيدة «مصرع بلبل» وهي فتح جديد في القصة الشعرية، نلمس فيها تأثر إبراهيم بالأدب الغربي دون أن يفقد مميزات خياله الخاص، وتعبيراته الشعرية الخاصة.

وفي قصيدة «الشهيد»، ينقلنا إبراهيم بدقة وصفه، وروعة تصويره إلى ما يثور في نفس الشهيد من عواطف، واستقتال في سبيل الواجب الأسمى، لا يبتغي من وراء ذلك ذبوع اسم ولا اكتساب صيت، وإنما هو عنصر الفداء، وجوهر الكرم، صيغت منهما نفس الشهيد، فهان عندها الموت في سبيل الله والوطن.

ومن موضوعياته الرائعة قصيدة «الحبشي الذبيح» وهي صورة حية ناطقة، يرسم فيها إبراهيم حالة ذلك «الديك الحبشي» الأليمة حين يُذبح ويأخذ يصفق بجناحيه، ويجري من هناك وهناك، مزورّ الخطى، كأنما هو يلحق بالحياة التي استُلبت منه، ولقد أوحى إليه بهذا الموضوع العنيف، وقوفه يوماً برجل على جانب الطريق في بيروت يذبح ديوكاً حبشية يعدها لرأس السنة، وإذا بالنفس الشاعرة يروعها أن لا يقوم السرور إلا على حساب الألم، وإذا بها تفيض بأقوى الشعر التصويري الحي.

ونلتفت الآن إلى إبراهيم شاعر الوطن، الذي سجل آلام فلسطين وآمالها خلال الانتداب الإنكليزي، كما لم يسجله شاعر فلسطيني من قبل.

انظر إليه وقد خلد ثورة فلسطين وشهداءها سنة ١٩٢٩ في قصيدة «الثلاثاء الحمراء»، ثم يوم عاد في الذكرى الرابعة لهؤلاء الشهداء فخلدهم مرة أخرى في قصيدة «الشهيد»، كل ذلك في شعر لاهب حماسي، فلا بكاء ولا استخذاء، وإنما هي صرخات مدوية مجلجلة، تحفز الهمم، وتثير الشعور بالعزة والإباء.

وأما بيع الأرض، فلم يزل إبراهيم يصور لقومه الخطر الذي ينتظر البلاد من وراء البيع، ولم يزل يفتح عيونهم على الشر الذي عمّ واستحكم من جراء ذلك:

أعداؤنا منذ أن كانوا صيارفةً

ونحن منذ هبطنا الأرض زُرّاعُ

يا بائع الأرض لم تحفل بعاقبةٍ

ولا تعلّمت أن الخصم خدّاع

لقد جنيت على الأحفاد وا لهفي!

وهم عبيد.. وخدّام.. وأتباع

وغرّك الذهبُ اللّمّاع تُحرزُهُ

إن السرابَ كما تدريه لّمّاع

فَكَرُّ بِمَوْتِكَ فِي أَرْضٍ نَشَأَتْ بِهَا
وَاتَرَكَ لِقَبْرِكَ أَرْضاً طَوَّلُهَا بَاع

وقد التفت إبراهيم مرات عديدة في شعره، إلى هذه الناحية، وحين نشرت
الصحف أن زعيم الهند «غاندي» قد أُنذر إنكلتره بالصيام مدى الحياة، ما لم تُغيّر
خطتها السياسية في الهند، راح إبراهيم يغمز ويقارن بين زعيم هنا.. وزعيم هناك:

حبذا لو يصوم منا زعيمٌ مثل «غاندي» عسى يفيد صيامه
لا يصمّ عن طعامه.. في فلسطين ن، يموت الزعيمُ لولا طعامه
ليصمّ عن مبيعه الأرضَ يحفظُ بقعةً تستريح فيها عظامه!

وهو في رثائه للمغفور له الملك فيصل، يضرب على هذا الوتر نفسه، مشيراً
إلى استقبال الجثمان الطاهر في فلسطين:

ما الذي أعددت من طيب القرى
يا فلسطين لضيفٍ مُعجلٍ
لا أرى أرضاً نالقيه بها..
قد أضاع الأرضَ بيعُ السُّفْلِ
فاستري وجهك لا يُلْمَحْ على
صفحتيه الخزي فوق الخجل !.

ولم يكن ليدع مناسبة تمر، دون أن يشير إلى هذا الداء العضال، الذي بُليت به
فلسطين. ولشدّ ما صب نقمته على تلك العصابة الحقيرة، عصابة السماسرة، التي
يقوم على يديها ضياع البلاد:

أما سماسرةُ البلاد فعصابةُ
عارٍ على أهل البلاد بقاؤها
إبليسُ أعلن صاغراً إفلاسَهُ
لما تحقّق عنده إغراؤها

يَتَنَعَّمُونَ مُكْرَمِينَ.. كَأَنَّمَا
لِنُعِيمِهِمْ عَمَّ الْبِلَادَ شَقَاؤُهَا
هَمُّ أَهْلِ نَجْدَتِهَا.. وَإِنْ أَنْكَرْتَهُمْ
وَهُمْ - وَأَنْفَكَ رَاغِمٌ - زَعَمَاؤُهُمَا..

ولكم كانت تروعه تلك الحزبية التي يضطرم وقودها في البلاد، فلا ينتج منها
إلا تفكك الأمة وشقاقها، وفي ذلك ما فيه من إعاقة السير نحو الهدف الواحد:

وطني، أخاف عليك قوماً أصبحوا
يتساءلون: مَنْ الزعيمُ الأليقُ؟
لا تفتحوا بابَ الشقاقِ فإنه
بابٌ على سُودِ الحوادثِ مُغْلَقٌ
واللهِ لا يُرْجى الخلاصُ وأمركم
فوضى، وشملُ العاملين مُمَزَّقٌ

ولطالما نقد أصحاب الأحزاب في شعره وندد بهم، لا يخص فريقاً دون فريق،
وإنما يوجه القول إليهم جميعاً:

ما لكم ببعضكم يُمَزَّقُ بعضاً
أفرغتم من العدو اللدود؟
اذهبوا في البلاد طولاً وعرضاً
وانظروا ما لخصمكم من جهود..
والمسوا باليدين صرْحاً منيعاً..
شاد أركانه بعزمٍ وطيء!
كلُّ هذا استفاده بين فوضى
وشقاقٍ، وذلةً، وهُجود..
واشتغالٍ بالترهات، وحبِّ الدُّ
ذاتٍ.. عن نافعٍ عميمٍ مجيدٍ

شهد الله أن تلك حياة
فضّلت فوقها حياة العبيد

وما كان أنكأ لقلب إبراهيم من خمود العزائم في حامي عبء القضية الوطنية
ووقوفهم عند تقديم «البيانات» و«الاحتجاجات»، لا يتعدونها إلى غيرها من الأعمال
المجدية، انظر إليه يخاطبهم متهمًا:

أنتم «المخلصون» للوطنية..
أنتم الحاملون عبء القضية..
أنتم العاملون من غير قول..
بارك الله في الزنود القوية..
و«بيان» منكم يعادل جيشاً
بمعدّات زحفه الحربية..
و«اجتماع» منكم يردّ علينا
غابر المجد من فتوح أمية..
ما جحدنا «أفضالكم».. غير أنا
لم تزل في نفوسنا أمنيّة
في يدينا بقيّة من بلاد..
فاستريحوا كي لا تطير البقيّة

وبذلاقة ورشاقة، كان إبراهيم يتغلغل بقلمه إلى صميم الأشياء فيزيح عنها
الستر ويبين ما خفي وراءها من حقائق مرة، ويا لها من مرارة يرسلها في شعره
متألماً «لظاهر العبث» التي كان يراها تغلب على ميول الأمة:

أمامك أيها العربيُّ يومٌ
تشيب لهوله سود النواصي
وأنت كما عهدتْك.. لا تبالي
بغير مظاهر العبث الرخاص

مصيرك بات يلمسه الأداني
وسار حديته بين الأقاصي
فلا رجبُ القصورِ غداً بباقي
لساكنها، ولا ضيقُ الخصاص
لنا خصمان، ذو حَوْلٍ وطَوْلٍ
وأخرُ ذو احتيالٍ واقتناص
تواصوا بينهم.. فأتى وبالأ
وإذلاً لنا ذاك التواصي
مناهجُ للإبادة.. واضحاتُ
وبالحسنى تُنفَّذ، والرصاص..

وأما وعد بلفور، وأما هجرة اليهود إلى هذا الوطن المنكود، فلم يبرحاً مجالاً
لقولٍ ذا سعة في شعر إبراهيم، وهدفاً يرمى إليه، ويحوم حواليه.

وهكذا، ترى شعره الوطني شعراً يحمل طابعاً فلسطينياً خاصاً، كان حتماً أن
تطبعه به أحوال البلاد المضطربة في هذا العهد المظلم من عهود فلسطين، وما كان
إبراهيم ليفوز بلقب شاعر الوطن، وشاعر فلسطين لو لم يسجل قضية بلاده في
شعره القوي، الذي يمتاز بذلك الطابع الفلسطيني الخاص.. ولو لم تنعكس في ذلك
الشعر أصدق صورة لهذا الوطن في هذا العهد..

تأسست إذاعة القدس سنة ١٩٣٦، ووقع الاختيار على إبراهيم ليكون مراقباً
للقسم العربي فيها، فاحتضن هذا القسم، ولفه تحت جناحيه، وتعهده بعنايته مدة
أربع سنوات.

وفي سنة ١٩٣٧ تعرف إبراهيم «بسامية عبد الهادي» من إحدى أسر نابلس،
فاتجه إليها قلبه، وهناك استقر؟ فأصبحت شريكة حياته، وعاش هانئاً في بيته،
سعيداً بعاطفة جديدة مقدسة هي عاطفة الأبوة، إذ ولد له «جعفر» ثم ولدت «عريب».

أقبل إبراهيم على عمله في الإذاعة بكل قلبه، إذ كان مثل هذا العمل يوافق ذوقه ويمشي مع ميوله، ولم تمض مدة يسيرة على إشرافه على البرامج العربية، حتى كانت تلك البرامج مرآة ينعكس عليها ذوق هذه البلاد، وآراء أهلها العرب، وكان أكبر همه أن تكون الأحاديث قريبة من مستوى العقول على اختلاف طبقاتها، لا سيما الأحاديث الأخلاقية، فكان يصل إلى هذا الغرض التهذيبي بطريقة لا يشك في نجاحها، وهي طرق هذه الموضوعات من نواحٍ ثلاث: الآية القرآنية، الحديث الشريف، المثل المشهور. ولكل من هذه النواحي أثرها البعيد في العقليات المختلفة لأهل المدن والقرى على السواء، لما لها من علاقة ماسة بالحياة الاجتماعية.

ولقد كان لإبراهيم في الإذاعة أحاديث أدبية كثيرة، أضف إلى ذلك قصصاً وروايات تمثيلية، كان يصنعها بنفسه، وأناشيد، منها ما كان ينظمه لبعض البرامج الخاصة، كنشيد «أشواق الحجاز» والنشيد الذي وضعه في رثاء المغفور له الملك غازي، ومنها ما كان ينظمه لأحاديث الأطفال.

لم تكن الوظيفة لتقعد بإبراهيم عن تقديم رسالته إلى هذا الوطن الذي تفانى في حبه، وجمع له همّ قلبه، ولئن كانت قد اعترضت لهالة بلبل الوطن الغريد، وحالت دون تسلسل أغانيه الوطنية الشجيرة، التي طالما أيقظت القلوب النائمة، وألهبت النفوس الهامدة، فلم تكن لتستطيع، أن تحول دون حبه لهذا الوطن، وبذله أقصى مجهوده لخدمة أمته عن طريق الإذاعة.

ولعل من أهم ما قام به هناك، تصديه لفئة غير عربية.. كانت تسعى سعيها لتنشيط اللغة العامية، وجعلها اللغة الغالبة على الأحاديث العربية المذاعة.. وكانت حجتها في ذلك، أن الإذاعة لا يمكنها أن تحقق الغرض الذي هدفت إليه، وهو نفع الطبقة المتوسطة، إذا جرت على استعمال اللغة الفصحى.. لأن هذه الطبقة من أهل المدن والفلاحين، لا تُحسن اللغة الفصحى، على حد تعبير أصحاب القول بتنشيط اللغة العامية، ولا تفهم اللغة العربية «القديمة» التي جرى عليها المذيع!..

وقف إبراهيم وقفة حازمة أمام هذا الرأي، ونقضه يومئذٍ بحجج دامغة، أظهرهم فيها على أن المذيع لم يجر على اللغة العربية القديمة، وأنه ليس في بلاد العرب من يعرف هذه اللغة بالمعنى الذي قصده أصحاب القول باللغة العامية، غير أفراد متخصصين، وهي عندنا لغة الجاهلية التي قضى عليها القرآن بأسلوبه الجديد المبتدع، وأن عندنا اليوم لغة عربية صحيحة، يصطنعها المؤلفون ومحررو الجرائد، ويفهمها المتعلم والأُمي على السواء.. وأن الفلاحين، وجلهم من الأميين، لتقرأ عليهم الجريدة، فيناقشون القارئ في افتتاحيتها، ولا يعقل أن يناقش المرء في شيء لم يفهمه، هذا وإن العرب، مسلمين ومسيحيين، يدينون بالقومية، وهذا مشروع غايته القضاء على اللغة العربية، وهي عندنا كل ما بقي من ذلك التراث الطويل العريض الذي اجتمع لنا من الفتوحات والحضارات والعلوم والآداب والفنون.. فما من عاقل اليوم، يعرف قدر نفسه ويعتز بعربيته، يرضى عن العبث بهذا التراث الباقي، والقضاء عليه بيده..

بهذه الصراحة التي عُرِفَ لإبراهيم في كل موقف ذي خطر، هُزمت تلك الفئة التي اعترفت على أثر ذلك، بأن إبراهيم يحتاج إلى جلسات أخرى، لتُزعزع أركان عقيدته في لغته.. وأستغفر الله، وحاشا لإبراهيم..

ولشد ما لقي من صعوبات أثناء عمله، إذ كانت فلسطين خلال السنوات الأربع التي خدم فيها في الإذاعة، في ظرف دقيق جداً، ففي السنوات الثلاث الأولى، كانت الثورة في فلسطين قائمة على ساقها، وفي السنة الرابعة، كانت الحرب العالمية الأخيرة.

أما الصعوبات التي لقيها في عمله أثناء الثورة، فتنحصر في ذلك الشغب الذي كان يدور حوله من قبل بعض الجهات اليهودية، ووقوفها له بالمرصاد في كل ما يذيعه من أحاديث، أو ما يذيعه غيره من المحدثين العرب، فكانت تلك الجهات اليهودية تُخرِّج كل ما يقال تخريجاً سياسياً، وتُشكِّل من القصة ذات اللغة البسيطة،

والوضع المحكم، شعوباً ودولاً، وحكومات وانتدابات.. ولم تكن لترى في الأحاديث الأخلاقية، إلا تحريضاً تحت قناع ديني.. وأما الدعاية فقد كانت في رأيها مبنوثة في الموضوعات التاريخية! زد على ذلك، قول تلك الجهات اليهودية بأن الأحاديث النبوية، والأمثال المشهورة التي تقدم في الإذاعة، فيها الخطر كل الخطر! إذ يطلب فيها من الأمهات أن يُنشئوا أطفالهم بعصلات قوية، ومنشأ الخطر على زعمها هو أن تلك التنشئة القوية، إنما يُقصد من ورائها المقدرة في المستقبل على المقاومة. وعن الطريق الأقصر، فالبرنامج العربي الذي كان يشرف عليه إبراهيم مُسَخَّرٌ للتحريض.. كما كانت تقول الصحف اليهودية.

وهكذا كانت تُوضع في الميزان جلّ أحاديث القسم العربي في الإذاعة، فيناقش إبراهيم فيها، ويحاسب عليها، ولكنه كان يعرف كيف يقف أمام ذلك كله.

وانتهت الثورة، وقامت الحرب العالمية الثانية، فكانت الرقابة على الصحف والنشر والإذاعة.

ومن قبل بعض المشرفين عليها يومئذٍ قامت الدعاية السيئة وقام التحريض ضد إبراهيم.

وكانت قصة «عقد اللؤلؤ» أو «جزاء الأمانة» التي اقتبسها إبراهيم من كتاب «الاعتبار» لأسامة بن منقذ، وقدمها في المذيع في أحد برامج الأطفال، فأخذ الرقيب وعصبته تلك القصة، وخرّجوها تخريباً يكفل لهم استفزاز المستعمر.. فإذا بتلك القصة التي تشيد بالأمانة والوفاء تُشهر سلاحاً في وجه إبراهيم أو بالأحرى في ظهره، من قبل من لا يعرف قيمة لمعنى الأمانة المقدس.

تكاثفت جموع الشر على إبراهيم من هنا وهناك، فأُقيل من عمله في الأول من أكتوبر سنة ١٩٤٠.

وإذا كان بوسع أحد من الناس، أن يبيع ضميره، ويضرب بمبدأه وعقيدته عرض الحائط، فيظل هائناً بعمله، قرير العين، فما كان بوسع إبراهيم أن يفعل ذلك، وهو الأبى النفس، العيوف للاستخذاء والذل، وهو الذي كان يتحول عن الحظ السعيد يأتيه وفيه جرح لكبريائه وكرامته، أو خلاف لعقيدته، كما يتحول المؤمن الصادق عن وسوسة الشيطان.

اشمأزت نفس إبراهيم، وعافت البقاء بين قوم لا خلاق لهم.. فأثر الرحيل عن وطنه الذي تفانى في حبه، وأذاب روحه في مناجاته، وعزم على الرحيل إلى العراق، بلد العروبة والعزة.

وفي مساء اليوم الذي أقيل فيه إبراهيم من عمله، خفَّ صديقه أكرم بك الركابي إلى السيد طالب مشتاق، قنصل العراق في القدس يومئذٍ، وأطلعه على ما جرى لإبراهيم، وفي محادثة تلفونية من قبل السيد طالب، الصديق المحب، سجّل اسم إبراهيم في وزارة المعارف في بغداد ليزاول مهنة التعليم في أحد معاهد العلم هناك، ولقد كان ذلك بسرعة، ودون أخذ وردٍّ، إذ كان إبراهيم معروفاً لدى الأوساط الأدبية الرفيعة في العراق.

ولقد لاقى من والده معارضة شديدة بشأن ذلك الرحيل، وإلحاحاً عليه بالبقاء عنده في نابلس، ولكن إبراهيم، على بره بوالده برأ يفوق الوصف، وعلى تعلقه العجيب بوالديه وإخوته - ولقد كان هذا البرّ وهذا التعلق من خلائق إبراهيم الممتازة - سافر إلى العراق وهو عازم عزماً أكيداً على عدم العودة إلى فلسطين مدى الحياة!.

ومن هؤلاء الذين يصدق فيهم قول يزيد بن المهلب: «هم أهل العراق، أهل السبق والسباق، ومكارم الأخلاق» وجد إبراهيم على أبواب بغداد من ينتظره من الأصحاب العراقيين، وفي بيت السيد محمد علي مصطفى، الأستاذ في دار المعلمين العليا، نزل إبراهيم وأهله معززين مكرمين، إذ لم يكن قد تهيأ بعد، وفي دار المعلمين

الريفية في الرستمية، بأشر عمله.

كان للمعاملة السيئة التي لقيها إبراهيم في وطنه وبين قومه تأثير كبير على بنيته النحيلة، فلم تكن تلك البنية لتحتمل كل هذه الآلام النفسية التي كابدها إبراهيم خلال شهور، وهو الرقيق الشعور المرهف الإحساس إلى حد يكاد يكون مرضاً، فلم يكد يمضي شهران على إقامته في العراق حتى وقع فريسة العلة والسقم، مما حمله إلى العودة إلى نابلس قبل انتهاء الفصل الدراسي الثاني.

ونهدت الأسقام إبراهيم، فنقل إلى المستشفى الفرنسي في القدس، وبعد أيام قليلة، وفي مساء الجمعة، الثاني من شهر مايو سنة ١٩٤١ أسند إبراهيم رأسه إلى صدر أمه، وقد نزع دمه، وخارت قواه، وهناك أسلم روحه الطاهرة إلى باريه، واستراح استراحة الأبد.

كان لإبراهيم - رحمه الله - مصحف صغير، لا يخلو منه جيبه، تبركاً به من جهة، وليكون في متناول يده كل حين من جهة أخرى، فلما توفاه باريه، كان ذلك المصحف تحت وسادته، ولا تزال إلى اليوم ثنية ثناها في إحدى صفحات سورة «التوبة». وكانت هذه الآيات الشريفة آخر ما تلاه إبراهيم من كتاب الله أثناء مرضه، ولقد أثرت أن أختتم بها الحديث عن حياة إبراهيم إرضاء لروحه:

«الذين آمنوا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون. يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ. خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ».

إن قلبي لبلادي
لا لحزبٍ أوزعيم

الشعر

— |

| —

— |

| —

ذكرى حمية أهل الشام

[الخفيف]

هو ذا البحر مُزبدًا يتعالى
إثْرَ بعضِ أمواجه تتوالى
تلطم الصخرَ كبرياءً وعنفاً
ثم ترتدُّ للخضمِّ خذالي
بضجيجٍ كأنه زجل الرُّعْدِ
سُدِّ ورجفٍ تخاله زلزالا
ما وُنتَ عن جهادها الدهرَ لكنْ
لَطَفَ الصَّبْحُ كَرَّها والنضالا
وهي تستأنف الجهادَ بعزمٍ
كلَّ يومٍ إذا النهارُ تعالى



عند ذاك الخضمِّ بقعة أرضٍ
قدَّرَ اللهُ منحَها استقلالاً
هي حدُّ السُّورِيَّتينِ شمالاً
وجنوباً وما تنوء مجالا
لستَ تلقى سوريتين ولكنْ
قيل هذا تَفَنُّناً وضلالا
يبتغون التفريقَ في الجسد الوا
حدِّ خابت تلك الشياطينُ فالأ
خَلَّ عني وذكرَ من اعتقوا العَبْدُ
سُدِّ، وشدَّوا من الطليقِ العقالا

- المصدر: ط . دار القدس (١٩٢٥).

عند ذاك الخضم بقعة أرض
حرس الله سهلها والجبالا
لا ترى في فنائها آدمياً
وهي أوت صواحاً وصلالا
شمسنا دون شمسها تتجلى
بدرنا دون بدرها يتللا
وسكون الدجى يفك عن القل
بقيوداً ويبعث الأمالا
ويهب النسيم في السحر الدا
كن، يحيي من الزهور تلالا
زانها من لئى الطل تيجا
ن، زهت رونقاً وفاضت جمالا
فإذا اجتاز لكم الأرض غاد
يلبس الطل ساقه خلخالا
وترى الطير نافرات خفافاً
وثقالاً ويمنة وشمالا
ويلوح الصباح لونا فلونا
كلما الشمس قاربته استحالا
وكذا البحر خاشع مستكين
وهو يكسى من كل لون شالا
يا لها من مظاهر تملك الحس
س، وتوحي لناظريها الخيالا
أيها السائر المجد، رويداً
واخفض الطرف عندها إجلالا
تلك مأوى «حريّة» سلبت من
نا قديماً واليوم عزت منالا
إيه يا فتنة الشعوب ويا أد
شودة الكون شقيتنا أجيالا

لَكَ وَجْهٌ مَلَأْتُكَ سَيِّمٌ
نُورُهُ يُفَعِّمُ الْقُلُوبَ جَلَالاً
وَمَزَاجٌ جَهَنَّمِيٌّ عَتِيٌّ
يَصْدَعُ الْجَوْرَ يَصْهَرُ الْأَغْلَالُ
صَانُكَ إِلَهُ كَمَ قَدَاكَ وَفِيَّ
أَوْ تَحْصِينَ كَمَ أَبَدْتَ رَجَالاً؟
أَنَا أَسْتَغْفِرُ الْوَفَا لَمْ يَبِيدُوا
يَوْمَ خَلَدْتَ بَعْدَهُمْ أَعْمَالاً



لَكَ فِي ثَرْبٍ «مَيْسَلُونَ» دَفِينٌ^(١)
كَانَ لِلذَّائِدِينَ عَنْكَ مِثَالاً
مَاتَ فِي مِيعَةِ الشَّبَابِ شَهِيداً
وَكَذَا الْحَرْفُ لَا يَمُوتُ اِكْتِهَالاً
فِي سَبِيلِ الْأَوْطَانِ سَالَتْ دِمَاةُ
«ذِي الْمَعَالِي فَلْيَعْلُوْنَ مِنْ تَعَالَى»^(٢)
فَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ دَعَاةُ
وَطَنٌ مُرْهَقٌ فَصَالٌ وَجَالاً
وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ أَرِيقَ الدُّ
سَدَمٌ مِنْهُ وَضَمَّخَ الْأَجْيَالُ
هَذِهِ رُوحُهُ أَطْلَتْ عَلَى الشَّأْ
مَ، تَزُورُ الرُّبَا وَتَغْشَى الظَّلَالُ
وَتَحْضُ الرُّجَالُ فِيهَا عَلَى تَضُدُ
حَيَاةِ النَّفْسِ مَا أَهَيْنُوا اِحْتِلَالاً

(١) المقصود بالدفين: الشهيد يوسف العظمة (١٨٨٤ - ١٩٢٠م) ولد في دمشق وتخرج من الكلية الحربية في
الاستانة، وخاض الحرب العالمية الأولى مع الجيش العثماني، وبعد انتهائها التحق بالملك فيصل في
سورية فعين وزيراً للحربية، وقاد الجيش السوري والمتطوعين في التصدي للجيش الفرنسي الغازي في
ميسلون، واستشهد في المعركة.

(٢) تضمنين من بيت للمتنبى هو : ذِي الْمَعَالِي فَلْيَعْلُوْنَ مِنْ تَعَالَى هَكَذَا هَكَذَا وَإِلَّا فَلَا لَا

يَوْمَ كَانَتْ قُلُوبُنَا تَتَلَطَّى
وَالْعِدَى تُوسِعِ الْبِلَادَ احْتِمَالَا
بَرَجِيمٍ لَمَّا أَتَاهُمْ وَقَاحٍ
كَانَ إِتْيَانُهُ عَلَيْهِ وَبَالَا
لَمْ يَبْتَ غَيْرَ لَيْلَةٍ كَانَ فِيهَا
يُبْصِرُ الْمَوْتَ حَوْلَهُ أَشْكَالَا
وَكُنَّا نِي بِهِ تُجْجِازِيهِ الْأَوْ
هَامُ رَعْبًا، فَيَسْتَوِي إِجْفَالَا
قَلِقٌ يَرْقُبُ الصَّبَاحَ فَلَمَّا
أَنْ تَجَلَّى شَدَّ الرِّحَالَ وَقَالَا
الْفِرَارَ الْفِرَارَ أَلْفَيْتُ فِي الشَّا
مَ نَكَالًا وَفَتِيَّةً أَبْطَالَا
وَلَوْ أَنَّ الْمَقَامَ طَالَ بَبَيْرُو
تَ، لَكَانَ الْمَصِيرُ أَسْوَأَ حَالَا



هَذِهِ شَيْمَةُ الْكَرَامِ بَنِي الشَّا
مَ، سَمَتْ هِمَّةً وَطَابَتْ فَعَالَا
عَرَبِيٌّ إِبَاؤُكُمْ أَمْوِيٌّ
لَا أَبَادَ الزَّمَانَ تَلْكَ الْخِلَالَا
كُلُّ جَرْحٍ أَصَابَكُمْ حَلَّ مَنَّا
فِي صَمِيمِ الْقُلُوبِ يَا بِيْ اَنْدَمَالَا
يَحْرُسُ اللَّهُ مَجْدَنَا مَا بَذَلْنَا
فِي سَبِيلِ الْأَوْطَانِ نَفْسًا وَمَالَا



يا موطني^(١)

[الكامل]

خطر المَسَا بوشاحه المتلون
بين الربا يَهَب الكرى للأعْيُن^(*)
وتَلَمَسَ الزهرَ الحَيَّ فاطرقتُ
أجفائه شأنَ المحبِّ المذعن
ودعا الطيورَ إلى المبيت فرفرفتُ
فوق الوكون لها لُحُونُ «الأرغن»
وتَسَرَّقتُ نسماته في إثره
فإذا الغصونُ بها تَرنُّحُ مُدْمِنِ
أصال أيامَ الربيعِ جميعُها
حَسَنٌ و«عيبال» اكتسى بالأحسن
جبلٌ له بين الضلوعِ صِبابَةٌ
كادت تحول إلى سَقامِ مُرْمِنِ
وتفجَّرتُ شعراً بقلبي دافقاً
فسكبتُ صافيه ليشربَ موطني



يا موطناً قرع العُداءُ صَفاته
أشجيتني ومن الرقاد منعتنِي
يا موطناً طعن العُداءُ فؤاده
قد كنتَ من سَكَّينهم في مَأمنِ

(١) أُلقيت في حفلة توزيع الشهادات في مدرسة النجاح النابلسية.

لَهْفِي عَلَيْكَ وَمَا التَّلَهَّفُ بَعْدَمَا
نَزَلُوا حِمَاكَ عَلَى سَبِيلِ هَيَّيْنِ
وَأَتَوْكَ يُبَدُونَ الْوَدَادَ، وَكُلُّهُمْ
يَزْهَوُ بِثَوْبٍ بِالْخَدَاعِ مُبْطِنٌ
قَدْ كُنْتُ أَحْسِبُ فِي التَّمَدُّنِ نِعْمَةً
حَتَّى رَأَيْتُ شِرَاسَةً الْمُتَمَدِّنِ
فَإِذَا بِجَانِبِ رِفْقِهِ أَكْرُ الْوَعَى
وَإِذَا الْحَدِيدُ مَعَ الْكَلَامِ اللَّيِّنِ
الذَّنْبُ ذَنْبِي يَوْمَ هِمْتُ بِحَبِّهِمْ
يَا مُوَطِنِي هَذَا فَوَادِي فَاطُنِ
وَإِذَا جَرَّاحُكَ فِي دَمِي فَلَعَلَّهُ
يُجِدِي فَتَبْرَأَ بَعْدَهُ يَا مُوَطِنِي



عَجَباً لِقَوْمِي مُفْعَدِينَ وَنُوماً
وَعَدُوَّهُمْ عَنْ سَحْقِهِمْ لَا يَنْتَنِي
عَجَباً لِقَوْمِي كُلُّهُمْ بِحُكْمٍ وَمَنْ
يَنْطِقُ يَقُلْ يَا لَيْتَنِي وَلَعَلَّنِي
لَمْ يُوجِسُونَ مِنَ الْحَقِيقَةِ خِيفَةً؟
لَمْ يَشْطَحُوا عَنْ الطَّرِيقِ الْبَيِّنِ؟
إِنْ الْبَلَادَ كَرِيمَةً يَا لَيْتَهَا
ضَنْتُ عَلَى مَنْ عَقَّهَا بِالْمَدْفِنِ
وَيَغِيظُنِي مَنْ بَاتَ حَشَوُ رُؤُوسِهِمْ
كَلِمَ السَّبَابِ، وَلَيْتَهُ لَمْ يُعْلِنِ
فَتَحْتُ لَهُمْ بَعْضَ الصَّحَائِفِ صَدْرَهَا
حَرِصاً عَلَى تَرْوِيجِ فَنِّ مُتَقَنِ

الذنبُ ذنبي يومَ هَمْتُ بِحُبِّهِمْ
يا موطني هذا فؤادي فاطعنِ
واغمِرْ جراحَكَ في دمي فلعلَّه
يُجدي فتبراً بعده يا موطني



يا سِراة البلاد

[الخفيف]

يا سِراة البلادِ يكفي البلادِ
ما أذاب القلوبَ والأكبِدا
انتدابُ أحدٌ من شفرة السيِّ
فِ وأورى من المنيا زنادا
وعدُّ بلفور دكها فلماذا
تجعلون الانقاصَ منها رمادا ؟
ما الذي تفعلون والجوُّ مُربدٌ
دُ، وهذي الأعداءُ تقضي المرادا ؟
أفرغتم من كلِّ أمرٍ سوى المَجْ
ليس ، يحتاج هِمَّةٌ وجهادا ؟
أحبط الله سعيكم، أَلِحبُّ الدُّ
ذاتٍ، قمتم تُهيئون العتادا
تنبذون الأوطانَ، في طلب المَدِّ
صَبِّ، والدينَ والهدى والرشادا
إن في الموطن العزيزِ سِواهُ
ألفَ شُغلٍ فأوسِعوها اجتهدا
وطنٌ بائسٌ يُباع وأنتم
لا تزالون تخذعون العبادا
مُثخنٌ بالجراح أبرأه اللـ
هُ، فهلاً كنتم له عِوَّادا

- المصدر: ط . دار القدس (١٩٢٥).

كيف يلقي من هادميه بناءً ؟
كيف يرجو من جارحيه ضيماً ؟
يا جُناةً على البلاد بدعوى الـ
خَيْرِ والْبِرِّ، لا نَعْمَتِمْ رُقّاداً
قام من بينكم سماسرة السُّو
ء، فهل تشتكون ثمّ اقتصاداً ؟
في غدٍ ينشأ الصُّغارُ فيبغوا
نَ تِلاداً وما تـركـتم تِلاداً
بعتموه إلى العدو، فمن أيّ
نَ يلاقون ملجأً ومهاداً ؟
أنتم اليومَ تزرعون فساداً
وغداً سوف يُثمر استعباداً
يا سماءَ انقضيّ ويا أرضَ ميدي
قتلت أُمَّةً وبادت بلاداً

ذكرى دمشق^(١)

[الخفيف]

هادئ القلب مطبق الأجفان
مطلق الروح راقد الجثمان
ملك عند رأسه باسم التَّغ
ر، جناحاه فوقه يخفقان
عادةً تملأ الكؤوس وخود
تنضح الجرح من رحيق الجنان
وحواليه طاف أسراب حور
بغصون النخيل والريحان
وتهاوى الطيور عن شجر الخُ
د، تغنى بأعذب الألحان
من كبير يزهو بأبهى رياض
وصغير مصور من حنان
وأفاق الشهيد منشرح الصد
ر، شكوراً لأنعم الرحمان
واستوى جالساً على رفرف خض
ر غوال وعبقري حسان^(٢)
وسقته ملائكة الله خمراً
جعلته حياً مدى الأزمان



(١) بمناسبة استشهاد المجاهد أحمد مريود، [ولد عام ١٨٨٧ في إحدى قرى القنيطرة، قاوم الفرنسيين عند احتلالهم سورية فحكموا عليه بالإعدام، فلجأ إلى الأردن فالحجاز فالعراق، وعندما قاومت ثورة ١٩٢٥ عاد إلى الجولان وقاد الثورة على الفرنسيين حتى استشهد عام ١٩٢٦].
(٢) إشارة إلى الآية القرآنية: «متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان». «٧٦» سورة الرحمن.

وتجلّت أنوار مَنْ مَلَكَ المُلْكُ
لكَ، فخرَ الحُضورِ للأذقان
ثم حيّا ذاك الشهيدَ ونادى
أيّها الشهيدُ لستَ بفان
رضي اللهُ عن جهادكَ فاخلدُ
وتَبوؤاً في الخُلْدِ أعلى مكان
وخلودُ النعيمِ عندي جزاءُ
للذي مات في هوى الأوطان



ما مصيرُ الشهيدِ يا ربِّ إلا
غبطةٌ عند راسخِ الإيمان
غيرَ أن الشبابَ إنْ كان غَضّاً
والتوى الغصنُ منه في الريعان
وتراءتْ أزهارُهُ ذابلاتٍ
عبثتْ للرياحِ فيها يدان
تُعذّرُ العينُ في البكاءِ عليه
دمعَ سلوى، لكنْ بلا سُلوَان



رَبِّ عَفِواً إنْ راعنا فَقَدْ نَدَبُ
ضاحكِ الوجهِ في قُطوبِ الزمان
صارمٌ كان مُغمداً صقلتهُ
يدُ حُرِّيَّةٍ أنوفِ حِصان
شهرتهُ حتى أذابتهُ مَسْحاً
في رقابِ الأعداءِ يومَ الطعان

يا دموعي وهبتك القلب إن لم
تقنعي بالقريح من أجفاني
فهو قلبي أليف همي وحزني
وحليف الزفير والخفقان



يا ربوع «الفيحاء»^(١) أنت عروس
أيمتها طوارق الحدثان
الأكاليل لم تزل غضة الزه
ر، ولم تنقطع أغاني الغواني
والمغاني مأهولة والروابي
باديات نواضراً للعيان
والندامى بين الكؤوس قيام
رئحتهم مدامة الغدران
والعذارى سوافر لاهيات
بالأراجيح وهي في الأغصان
يا عروس الدنيا وما حال قلب
فجعته أحزانه بالأمان
الخطوب اللائي نزلن جسام
قد أحلن الهنا إلى أحزان
والأسى في الضلوع أشبه شيء
بك لما قذفت بالنيران
منك دمع ومن محببك دمع
«بردى» والمحب متفقان
رحل العام عنك جهم المحيا
مكفهرًا، فكيف حال الثاني؟



لا ترعك الخطوب يا ابنة مروا
ن، ولؤذي بالله والفتيان

(١) الفيحاء: مدينة دمشق.

الشبابُ النضير والأملُ الثَّنا
 بتُ خِلان، كيف يفترقان؟
 والشبابُ النضير إن سيم خسفاً
 ثائرٌ، باسلٌ وتُوب الجنان
 لفرنسا أن تستبد وتطغى
 لفرنسا التنكيل بالبلدان
 لفرنسا أن تحشد الجيش كالسيّد
 ل، وتُبدي عجائب الطيران
 لفرنسا ما تشتهي، لفرنسا
 ما تَمْنئ فموعد الثَّارِ دان



يا لهول الوغى وقد هاج «سُلطا
 ن»^(١)، وأضحى يجيش كالبركان
 أسدٌ فوق ضامرٍ عربيٍّ
 شاهراً للوغى حُساماً يَماني
 أرهفته المنون، ثم أنامد
 له ليومٍ مُحجّلٍ أرؤنان
 «صفحتاه عقيقتان من البر
 ق، وفي مَضربَيْه صاعقتان»



وطبيبٌ أغرٌ يعطي دواءً
 لسقام الأوطان.. والأبدان
 أليوثاً أفلتت يا سجن «أروا
 د»^(٢)، تذيق العداة كأس الهوان ؟

(١) المقصود: سلطان باشا الأطرش (١٨٩١-١٩٨٢م) ولد في القرية بمحافظة السويداء. واشترك في محاربة الأتراك، قاوم الفرنسيين عند احتلالهم سورية فحكم عليه بالإعدام فلجأ إلى الأردن، ثم عاد وقاد الثورة في جبل الدروز عام ١٩٢٥ فلما تغلب الفرنسيون نزح إلى الأردن ثم إلى المملكة العربية السعودية، وعاد إلى بلده بعد توقيع معاهدة ١٩٣٧.

(٢) أرواد: جزيرة سورية صغيرة مقابل طرطوس، سجن الفرنسيون في قلعتها قادة المقاومة الوطنية.

أَيُّ حَرْبٍ أَثَارَ ظُلْمُ فَرَنْسَا
فَدَهَاها ما لَيْسَ بِالْحُسْبَانِ؟
المَغَاوِيرُ حُضِرُوا وَبُدَاةُ
زَمَجَرُوا دُونَ أُمَّةِ الطَغْيَانِ
وَالْجِيَادُ الْعِتَاقُ وَلَهُى طِرَادُ
مَسْرَعَاتُ بِهِم إِلَى الْمِيدَانِ
وَالسَيُوفُ الرِّقَاقُ ظَمَأَى دِمَاءُ
تَشْتَكِي بِئُهَا إِلَى الْمُرَّانِ
فَاسْأَلِي عَنْ فَعَالِهِمْ يَا فَرَنْسَا
إِنْ أَبْنَاءَهُمْ لَدَى «غَمْلَان»^(١)
وَأَقِيمِي مِمَّا لَكَ وَعَرُوشاً
وَأَفْزَعِي لِلْخُدَاعِ وَالْبَهْتَانِ
إِنْ مِنْ تَمْنَحِينَ مَجْداً وَمُلْكَاً
وَرَثُوا الْمَلِكَ عَنْ بَنِي مَرْوَانَ
سَوْفَ لَا يَنْتَنُونَ عَنْ طَلَبِ الْحَقِّ
قِ قِتَالاً أَوْ تَضَرَّعِي لِلْأَمَانِ



إِيهِ رُوحَ الشَّهِيدِ زُورِي فِلَسْطِينِ
نَ، وَطُوفِي قَدْسِيَّةً بِالْمَغَانِي
وَأَنْزَعِي مِنْ صَدُورِنَا جَمْرَةَ الْحَقِّ
دَ، وَسُلِّي سَجِيَّةَ الشُّنَّانِ
هَمُّ إِخْوَانِنَا الْجِهَادُ وَأُضْحَى
هَمُّنَا فِي مَجَالِسِ وَلِجَانِ
أَيُّهَا الْعَاشِقُ الْمُنَاصِبِ مَهْلاً
أَبْتَاكِ ظَفَرَتْ أُمُّ صَوْلَجَانِ؟

(١) الجنرال غاملان: عين عام ١٩٢٥ معاًوناً للمفوض السامي في لبنان وسورية، وقاد الحملة الفرنسية ضد

كيف أنساك حبُّ ذاتك مهّداً
أنتَ لولاه كنتَ للنسيان ؟
يا فلسطينُ هل لديكِ سَريُّ
غيرُ ذي مطمعٍ ولا مُتّوان ؟
ليس عندي سوى التلهّفِ أهدي
له، وقلبٍ مُؤلّه بكِ عان
وشعورٍ نسّقتُهُ في بياني
ودموعٍ أودعتُها أشجاني
هل أمِنّا العُدّة حتى رقدنا
أم وجدنا الهوانَ حلواً المجاني ؟
أين مِنّا الأبى ؟ أين المُعزّي ؟
أين مِنّا مُعذبُ الوجدان ؟
فاتّقوا اللهَ واذكروا نهضةَ الشّا
م، وخُصّوا العدوَّ بالأضغان

تحية الريحاني(*)

[الخفيف]

مرحباً بالثقافة الغربية
تتجلى في روحك الشرقية
مرحباً بالحكيم مُحيي «المعري»^(١)
مرحباً بالنبوغ والعبقريه
مرحباً بالعظيم أكرم ضيف
ملوك^(٢) الجزيرة العربية
فيلسوف «الفريكة»^(٣) الصائب الرأى
ي، ربيب الحرية الفكرية
لم يزدنا قدومك اليوم علماً
بك يا صاحب البنان النديه
حملت هذه البنان يراعاً
فبلونا كيف القوى السحرية
فاض حتى غدوت والناس منه
بعيون عن أن تراك غنيه
عيبه أنه لسان حَسودٍ
نشر الفضل منك بين البريه^(٤)

(*) أُلقيت في النادي العربي.

(١) ترجم أمين الريحاني إلى الإنجليزية رباعيات أبي العلاء المعري ولزومياته.

(٢) زار الريحاني نجداً والحجاز واليمن والعراق وأقام صداقات مع ملوك الدول العربية وأصدر عدداً من الكتب عن رحلاته منها: «ملوك العرب».

(٣) الفريكة: قرية لبنانية ولد فيها الريحاني.

(٤) إشارة إلى بيت أبي تمام:

وإذا أراد الله نشر فضيلة
طُويت آتاه لها لسان حَسودٍ

فيه ما شاء ذو الحِجَى وتَمَتَّى
من غِذاءٍ له ومن أَمْنِيَّةٍ
حكمةً تملأ الصدور ضياءً
خبرةً الدهر أمها والروية
وهدى جائرٍ وسلوى حزينٍ
من ضميرٍ حيٍّ وأصدق نبيٍّ
ببيانٍ كأنه نَفَحَاتُ
حملتها يدُ النسيم زكيةً



جئت والقومُ يا «أمين» سكارى
وعبيدُ المآربِ الشخصيَّةِ
جئت والقومُ ذاهلون نيامٍ
قد أضاعوا القضيةَ الوطنيَّةِ
جئت والقومُ في فلسطينَ نَهَبُ
لأيادي المطامعِ الأشعبيَّةِ
بلدي كان قُدوةً لفلسطينِ
نَ، شديداً دفاعه في القضيةِ
كان ذا نخوةٍ وفيه حميَّةِ
أين منها حميَّةُ الجاهليَّةِ ؟
كان يُدعى حصنَ البلادِ فأضحى
وفلسطينُ منه تَلقى الرزيَّةِ
نُبِّهَ القومَ يا أمينُ وسلِّهم
أين باتت تلكَ النفوسُ الأبِيَّةِ
جعلتهم أهواؤهم، ساعةَ الشِدِّ
دَّة، شتَّى القلوبِ سُودَ الطويَّةِ

بينما أنت بالجزيرة تسعى
لوفاقٍ ووحدة قوميّه
وترود القفار وهي سعيّر
من حجازيّةٍ إلى نجديه
دبّ فينا الشقاق يا لبلادٍ
أصبحت تحت رحمة الحزبيه
دمعة يا أمينٌ قد غاض دمي
وفلسطينُ منه ليست رويّه
صرخة يا أمينٌ قد بُحّ صوتي
أتراهم في رقدةٍ أبديّه؟
بثّ فيهم روحاً جديداً يفيقوا
ويروّا كم يدّ تعيثُ خفيّه



إن أكنُ مُسْرِفاً بلومي فلومي
صادرٌ عن مَحَبّتي القلبيه
وعزيرٌ عليّ أن تُبصر العيّد
ن فلسطينَ وهي تُعطى هديّه
وفلسطينُ لن تكون ضحيّه
قبل أن تذهب النفوسُ ضحيّه
أيها الفيلسوفُ جئتُ بخيرٍ
فسلاماً وراحهً وتحيةً
دمتَ حتى تشاهد العُربَ طُراً
في ظلال السلام والحريّه



بين الحب والوطن

[الخفيف]

كان قبل الهوى خلياً طروباً	يجهل السُّهْدَ والجوى والنسيباً
كان كالطير أماناً يتحرى	زهرة غضةً وغصناً رطيباً
كان عذب الغناء يُنشد للفقْ	رٍ، ويشدو للشمس حتى تغيباً
فإذا أقبل الدجى سامر البدْ	رَ، ولأقى من الرُقَاد نصيباً
غبطة العيش هذه علّمته	أن في الكون عاشقاً وحبيباً
فرماه الهوى فهاض جناحي	له، وألقى به حزيناً كئيباً
يا فتاة ارحمي صريعاً يُقاسي	ألم الوجد والحمام القريباً
زورة منك! وانظري سمة الإثد	راق في وجهه تحول شحوباً
واسمعي نوحه ولا تسأليه	كيف أمسى الغناء منه نحيباً
واقربي منه.. لا بل ا بقي بعيداً	إن هذا الزفير كان لهيباً
أترى تذكرين عهد غرامي	أم تقولين ليته لن يؤوبا
اهجريني فلا وحسبك أنسى	منهلاً صافياً ومرعى خصيباً



يا حياة الهوى عليك سلامٌ	حسنات الوفاء أضحت ذنوباً
أملُ غرني، وقد خاب مسعاً	ي، فأوشكت حسرة أن أنوبا
فدعيني أصرف فؤادي لقوم	وبلاد تلقى البلاء الرهيباً
وطني مُرهق وأهلي نيامٌ	واستحال الراعي فأصبح ذيباً

- المصدر: مجلة «العروة الوثقى» - بيروت - ١٩٢٧.

لَهْفَ نَفْسِي وَهَم سُكَارَى غُرُورِ كَيْفَ يُبْدِي مَخَالِباً وَنُيُوباً؟
لَهْفَ نَفْسِي وَقَدْ دَنَا يَتَقَرَّى مَقْتَلًا يَسْتَشْفَى مِنْهُ الْقُلُوبَا
أَيْنَ مَا لِلشَّبَابِ مِنْ نِزَوَاتٍ يَصْعَقُ الدَّهْرَ كَرُّهَا وَالْخَطُوبَا؟
كَيْفَ يَرْضَى أَنْ يَقْطَعَ الْعَمَرَ مَطْلُو بَأْ؟ وَلَيْسَ الشَّبَابُ إِلَّا طَلُوبَا
عَهْدَتُهُ الْأَوْطَانَ فِي الرُّوعِ يُبْدِي سَاعِدًا أَيْدًا وَعُودًا صَلِيبَا
وَإِذَا مَا الْخَطُوبُ شَدَّتْ تَصْدَى كَيْفَ تَغْشَى الْخَطُوبُ صَدْرًا رَحِيبَا؟



يَا رَجَالَ الْغَدِ الْعَصِيبِ وَإِنَّا لَمَلَّاقُوهُ، أَيْنَ كُنَّا ، عَصِيبَا
سَوْفَ لَا يَدْرِكُ النِّجَاحَ وَيَحْيَا غَيْرُ مَنْ كَافَحَ الْحَيَاةَ لَبِيبَا
وَهَنَاءُ الْأَوْطَانِ يَوْمَ تُلَاقِي بَيْنَ أَبْنَائِهَا الطُّمُوحَ الْأَرِيبَا
وَهِيَ لَا تَسْتَعِيدُ مَجْدًا عَرِيقًا قَبْلَ أَنْ تُخْرِجَ الدَّخِيلَ الْغَرِيبَا
وَالْوِبَالَ الْوِبَالَ إِنْ لَمْ تَضْمُوا لِيرَاعِ الشَّبَابِ سَيْفًا خَضِيبَا
بئْسَ عَهْدُ الشَّبَابِ إِنْ هُوَ لَمْ يَحْ حُلْ ثَمَارًا تُجْنَى وَكَانَ جَدِيبَا



تفاؤل وأمل

[مجزوء الكامل]

كفكف دموعك، ليس يدُ	فَعَكَ البكاءُ ولا العويلُ
وانهضْ ولا تشكُ الرُّمًا	نَ، فما شكا إلا الكسولُ
واسلكْ بهمتك السَّبيدِ	لَ، ولا تقلْ كيف السبيلُ
ما ضلَّ ذو أملٍ سعى	يوماً وحكمته الدليلُ
كلاً، ولا خاب امرؤُ	يوماً ومقصده نبيلُ

أفنيته يا مسكينُ عمُ	ركَ بالتأوُّه والحزنُ
وقعدتْ مكتوفَ اليديْ	نَ، تقولُ: حاربني الزمنُ
ما لم تقم بالعِباءُ أدُ	تَ، فمن يقوم به إذن ؟



كم قلت: «أمراضُ البلاءِ	دَ؛ وأنتَ من أمراضها
والشؤمُ علَّتْها: فهلُ	فتَّشتَ عن أعراضها ؟
يا مَنْ حملتَ الفأسَ تهُ	دمُّها على أنقاضها
اقعدْ فما أنتَ الذي	يسعى إلى إنهاضها
وانظرْ بعينيك الذُّأ	بَ تعبَ في أحواضها

وطنُ يُباع ويُشتري	وتصيحُ: «فليحي الوطنُ»
لو كنتَ تبغي خيرهُ	لبذلتَ من دمك الثمنُ
ولقمتَ تضمد جرحهُ	لو كنتَ من أهل الفطنُ



- المصدر: ط. دار الشرق الجديد (١٩٢٨).

أضحى التشاؤمُ في حَديٍّ مثلاً الغُرابِ، نعى الديا
تلك الحقيقَةُ، والمريد أملٌ يُلوحُ بِرِيقِهِ
ما ضاقَ عيشُكَ لو سَعِيَ مثلكَ بالغريزة والسليقة
رَ وأسمعَ الدنيا نعيقَهُ
خُ القلبِ تجرحُهُ الحقيقه
فاستهدِ يا هذا بِريقه
تَ له، ولو لم تشكُ ضيقه

لكنْ توهُمتَ السَّقا مَ، فأسقمَ الوهمُ البدنَ
وظننتَ أنَّكَ قد وهَدُ تَ، فدبَّ في العظم الوهنُ
والمرءُ يُرهبه الردى ما دام ينظرُ للكفنِ



اللهُ ثُمَّ اللهُ ما أحلى التضامنَ والوفا
بُوركتَ مُؤتمراً تَأُ لَفَ، لا نزاعَ ولا شِقا^(١)
كم من فؤادٍ راقٍ في هِ، ولم يكنْ من قبلُ راقا
اليومَ يشربُ موطنِي كأسَ الهناءِ لكم دهاقا
لا تعبأوا بمشاغبي نَ، تَرَوْنَ أوجهَهم صِفاقا

لا بدَّ من فئَةٍ - أُجِلُّ لُكُم - تَلَدَّ لها الفِتَنُ
تلك النفوسُ من الطُّفُو لَةٍ، أَرْضِعتْ ذاكَ اللبنِ
نشأتُ على حُبِّ الخِصا مَ، وباتَ يرعاها الضُّغنُ



لا تحفِلوا بالمرجفي نَ، فإنْ مطلبهم حقيِرُ
حُبُّ الظهورِ على ظُهو رِ الناسِ منشأه الغرورُ
ما لم يكنْ فضلُ يَزِي نُكُ، فالظهورُ هو الفجورُ
سَيروا بعونِ الله؛ أَدُ تَمُّ ذلكَ الأملُ الكبيرُ
سَيروا فقد صفتِ الصُّدو رُ؛ تباركتُ تلكَ الصدورُ

(١) عُقد في سنة ١٩٢٨ مؤتمر «عربي عام» في القدس الشريف.

سِيرُوا فَسَنَتُّكُمْ لَخَيٍّ رِبلادكم خيرُ السُّنَنِ
شُدُّوا المودَّةَ والتَّائِبَ لُفَّ والتفأولُ في قَرَنِ
لا خوفَ إن قام البِنَا ءُ على الفضيلةِ وارتكن



حَيِّ الشَّبابِ وقلْ سَلَا مَا إنكم أملُ الغدِ
صَحَّتْ عزائمكم على دفعِ الأثيمِ المعتدي
واللهُ مدُّ لكم يَدًا تعلو على أقوى يدِ
وطنني أزفُ لك الشَّبابِ بَ، كأنه الزَّهرُ الندي
لا بدَّ من ثَمَرٍ لَهُ يوماً وإن لم يَعْقِدِ

ريحانهُ العِلْمُ الصَّحِيدِ حُ، وروحهُ الخُلُقُ الحَسَنُ
وطنني، وإنَّ القلبَ يا وطني بحبك مُرتَهَن
لا يطمئنُّ، فإنَّ ظفرُ تَ بما يريد لك اطمأن

حطين

[مجزوء الكامل]

نظمها إبراهيم يوم عزم أمير الشعراء المرحوم أحمد شوقي بك على زيارة فلسطين وأخذ
الأدباء يعدون العدة لإقامة مهرجان له، ولكن الزيارة لم تتم. وقد رمى إبراهيم من وراء هذه
القصيدة إلى إثارة أمير الشعراء لينظم شعراً في فلسطين وفي قضيتها.

أهلاً بربّ المهرجانِ	أهلاً بنابغة البيانِ
ملكِ القلوبِ المستقلِّ	لِ بعرشها، والصولجانِ
ومُتَوَجِّحِ حالتِ أشعُ	عَةُ تاجه دون العيانِ
أهلاً «بشوقي» شاعرِ الدِّ	فُصْحى ومعجزةِ البيانِ
يا فرقدَ الشعراءِ كمُ	من فرقدٍ لعلّاك رانِ
علّما الخلودِ منشُرا	نِ ، على سريركَ يخفقانِ
جبريلُ ينفخُ في قُؤا	دِكِ ما يفيضُ على اللسانِ
وأمدُّ بالنّفحاتِ رُو	حكّ، حين طوّفَ بالجنانِ
فإذا بأبكارِ الجنّا	نِ لَدِيكَ أبكارُ المعاني
يا باكي «الفيحاء» حِي	نَ أبتُ تقيّمُ على الهوانِ
أيّامَ كـانَتِ وردةً	بدم البواسلِ كالدهانِ ^(١)
أرسلتُ عن «بردى» سَلا	مَكَ في لظى الحربِ العوانِ ^(٢)

(١) إشارة إلى الآية القرآنية: «فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان» ، ٣٧ سورة الرحمن.

(٢) إشارة إلى قصيدة شوقي التي مطلعها: سلام من صبا بردى أرقُ ودمعٌ لا يكفكف يا دمشق (أحمد طوقان)

وذرفت «دمعاً لا يكفُ كَفُ» هيجته «الغوطتان»
 البيت ممّا قلته فيه تخايلُ جنتان
 أبداً رثاؤك فيهما عينان دمعاً تجريان
 هذا وإنّ جناهما للصعب فاعجب وهو دان



عَرَّجَ على حِطَّينَ واخْ شَعْ يُشْجِ قلبك ما شجاني
 وانظرْ هنالك هل ترى آثارَ «يوسف»^(١) في المكان
 أيقظُ «صلاح الدين» ربَّ بَ التاج والسيفِ اليماني
 ومُثِيرها شعواءَ أيُّ يُوبِيَّةَ الخيلِ الهجان
 بالعيادات لديه ضَبُّ حاً^(٢) والأسنةُ في اللِّبان
 ترمي بمارجها وما غيرُ العجاجةِ من دخان
 في^(٣) كلِّ خطارٍ على الدُّ أخطارِ صَبَّارِ الجَنان
 حلقاتُ أدراعهم قُيو دُ الموتِ في دَرَكَ الطعان
 وسيوفُهم ماءُ الحَميدِ م، على مَضارِبهنَّ أنْ
 والخيْلُ طَوْعُ كُماتها في النِّقْعِ مُرخاةُ العِنان
 لا تنثني أو تُحرزَ الدُّ قَصَباتِ في يومِ الرهان
 حِطَّينَ يَوْمُكَ ليس يُدُّ كِرُ شاهديه الخافقان
 تتطايرُ الأرواحُ فيد ه، من السَّنَنِ إلى السَّنَنِ
 وترى السَّهَامَ مُقَوِّماً ت، فوق أجسامِ حَوَان

(١) يوسف: هو يوسف بن أيوب الملقب بصلاح الدين الأيوبي .

(٢) إشارة إلى الآية القرآنية: «وَالْعَادِيَاتُ ضَبْحًا» (١) سورة العاديات.

(٣) وردت الكلمة في جريدة «فلسطين» التي نشرت القصيدة «من» وليست «في»، وهي أفضل للسياق.

فـإذا أديم الأرضِ أَدَ مَرُّ من دم الإفرنجِ قان
يُسْقَوْنَ من كأسِ الردى ومليكمُ ظمآنُ عان
حتى انجلى رَهْجُ الوغى والنصرُ مرموقُ العنان
ومشى صلاحُ الدينِ تَدُ تَ لوائه في مهرجان
وعلا الأذانُ وَرَجَّعَتْ تكبيره شُرفُ الأذان



أُمُقَوِّضَ الدَّوَلاتِ مَنْ لي من صروفك بالأمان؟
دُكَّتْ صروحُ ما بنى أمثالها في المجد بان
جلَّ المصابُ «أبا علي»^(١) ، فابك هاتيك المغاني
ذهب الذين عهدتهم لا يصبرون على الهوان
في مصرَ يطمعُ «أشعبُ» وهنا تبادى^(٢) أشعبان^(٣)
وهنا التخاذلُ في الشدا ئد، والتشاؤمُ والتواني
والنفسُ يقتلُ عزمها طولُ التعلُّلِ بالأمانِ



خُذْهَا إِلَيْكَ وَأَنْتَ عَدُ ها يا أميرَ الشعرِ غان
حسناءَ فيها للصبِّا نَزَقُ على خَفَرِ الحِسان
نفحاتها من «كرمة» نُعْزِى إلى «الحسن بن هاني»^(٤)
هيها تبلغُ شأوكَ الشد شعراءُ يوماً أو تُداني



(١) أبا علي : كنية الشاعر أحمد شوقي.

(٢) وردت هذه الكلمة في جريدة القدس «تبارى» وهي أفضل .

(٣) إشارة إلى الاستعمار والصهيونية في فلسطين (أحمد طوقان).

(٤) أطلق الشاعر أحمد شوقي على سكنه في الجيزة اسم «كرمة ابن هاني».

إلى بائعي البلاد

[البسيط]

باعوا البلادَ إلى أعدائهم طَمَعاً
قد يُعذرونَ لَوَ أَنَّ الجوعَ أرغمهم
وبُلْغَةَ العارِ عندَ الجوعِ تلفظُها
تلك البلادُ إذا قلتَ: اسمُها «وطنٌ»
بالمالِ لكنَّما أوطانُهم باعوا
واللهِ ما عطشوا يوماً ولا جاعوا
نفسُ لها عن قَبولِ العارِ ردُّاعُ



أعداؤنا، منذ أن كانوا، «صيارفةً»
لم تعكسوا آيةَ الخالقِ، بل رجعتُ

يا بائعِ الأرضِ لم تحفلِ بعاقبةِ
لقد جنيتَ على الأحفادِ، وا لهفي
وغرَكَ الذَّهَبُ اللَّمَّاعُ تُحْرِزُهُ
فكَّرُ بموتِكَ في أرضٍ نشأتَ بها



- المصدر: ط. دار الشرق الجديد (١٩٢٩).

رد على رثوبين شاعر اليهود (*)

[الخفيف]

«هَاجِرٌ» أُمْنَا وَلَوْ رُؤُومٌ
لا حَسُودٌ وَلَا عَجُوزٌ عَقِيمٌ
هَاجِرٌ أُمْنَا وَمِنْهَا أَبُو الْعُرُ
ب، وَمِنْهَا ذَاكَ النَّبِيُّ الْكَرِيمِ
نَسَبٌ لَمْ يَضَعْ وَلَا مَرْقَنَةٌ
بَابِلُ أَيُّهَا اللَّقِيطُ اللَّئِيمِ
وَدُمٌ فِي عُرُوقِنَا لَمْ يُرْفَهُ
سَوَاطِرُ فِرْعَوْنَ وَالْعَذَابُ الْأَلِيمِ
يَعْلَمُ الدَّهْرُ أَيَّ أَهْرَامٍ مَصْرٍ
ذُلُّكُمْ فِي صُخُورِهِ مَرْقُومِ
هَرَمٌ خَالِدٌ يُغَشِّيهِ ظِلٌّ
مِنْ عَبُودِيَّةٍ لَكُمْ لَا تَرِيمِ
أَيُّ «رَثُوبِينَ» غَطَّ وَجْهَكَ حَتَّى
لَا يُرَى الْأَنْفُ أَنَّهُ مَهْشُومِ

يَا يَهُودِيٌّ كَيْفَ عَلِمْتُكَ بِالتَّوُ
رَةِ، قُلْ لِي، أَمْ فَاتَكَ التَّعَلِيمُ؟

(*) «نشرت الجريدة اليهودية (دوار هايوم) قصيدة لشاعر اليهود «رثوبين»، نقلتها إلى العربية جريدة «فلسطين». وعنوان القصيدة «أنشودة النصر»، أتى فيها الشاعر على الحوادث الأخيرة في فلسطين مشيداً بذكر اليهود وشجاعتهم... في الطعن والضرب زارياً على العرب (أبناء هاجر وإسماعيل...) خوفهم ووحشيتهم وهزيمتهم؛ زاعماً تارة أنهم عرلٌ مظلومون وأن العرب على تسليح الإنكليز لهم كانوا لصوصاً وقطاع طرق وأهل خيانة وغدر يعتدون على الأطفال والشيوخ والنساء. وقد نظمت هذه القصيدة رداً على أنشودة النصر غير معترض كثيراً إلى الحوادث بقدر اعتراضه إلى تاريخ اليهود وتوراتهم وما عرفوا به من قبل، وما هم عليه اليوم من الادعاء الباطل والغدر ونكران الجميل مما يناقض كل ما ادعاه الشاعر رثوبين وما وصف به قومه من المزايا والأخلاق»، إبراهيم طوقان.

بين أسفارها خلائقُ عنكم
مُبتدأها ومُنتهأها نَمِيم
«يوسفُ» باعه أبوكم «يَهُودَا»
إنَّ حبَّ الدينارِ فيكم قديم
وكفرتم بنعمة الله حتى
ضاق دُرْعاً بالكفر موسى الكليم
يشهد «التَّيَّةُ» أنكم، شعبُ إِسْرَا
ئِيلَ، شعبٌ منذَ الخروجِ أثيم
يشهد «العِجْلُ» أنَ ألواحَ موسى
يَوْمَ رُغِمَ أَصَابُهَا التَّحْطِيمُ
وبطونُ التاريخِ فيها عَجِيبُ
وغريبُ بَعَارِكُم مَوْسُومُ



أَيُّ رُئُوبَيْنِ، أينَ ألواحُ موسى
والوصايا؟ فَكَلَّهِنَّ قَويمُ
هُنَّ عَشْرُ نَبْذَمَوهَا^(١) جَمِيعاً
ورتعتم في الغيِّ وهُوَ وَخِيمُ
ونقضتم أحكامَها فإذا الما
لُ مَقَامَ الإلهِ فيكم يَقُومُ
والرُّبَا رُبُّكم له صنمُ الحِرِّ
صِ، مِثَالُ أنتم عليه جُثُومُ
وإذا السَّبَبُ فيه مَكْرٌ وَغَدْرُ
أين فيه التَّقْدِيسُ والتَّعْظِيمُ؟
وعكستم آياتِها فإذا القَتُّ
لُ مُبَاحٌ وَالْفَسْقُ فيكم عَمِيمُ

(١) الوصايا العشر.

فجهلتم أباكم فغدوتم
واحترامُ الأباءِ فيكم عديم
وهضمت حقَّ الجوارِ وصحتم:
«أيها الناسُ حقُّنا مهضوم»..
كلُّكم شاهِدٌ على الحقِّ زوراً
هل أتاكم من شأنه تحريم؟
حسبُكم، لا يبارك الله فيكم،
أن شيطان بغيكُم لرجيم
فلو أن النجومَ أمست رُجوماً
ما عدتكم والله تلك الرجوم
أيُّ «رئوبين»، أيُّ شعبٍ تنادي؟
إن ربّاً أباده لَحَكِيم



أيُّ رئوبين هل قرأت «شكسبير»
ر؟ بلى، أنت شاعرٌ مشؤوم
وشكسبير خالدُ القولِ فيكم
أمرٌ «شيلوخ» في الورى معلوم^(١)
غير أن الذين منهم شكسبير
ر، تناسوا ما قال ذاك العظيم



يا يهوديُّ، هل سمعتَ بشعبٍ
ضلَّ حتى في كلِّ قطرٍ يهيم ؟
شعبُكم كالذباب في كلِّ أرضٍ
منه شيءٌ على القذور يحوم

(١) شيلوخ: أحد أبطال مسرحية «تاجر البندقية» لشكسبير، ويمثل اليهودي المرابي الذي يخلو قلبه من الرحمة.

وعجيبٌ مِنَ العجائبُ أَنْ يَطُ
لُبَّ حُكْمًا وَدَهْرَهُ مُحْكُوم
وغيرِيبٌ مِنَ الغرائبِ أَنْ يَجُ
مَعَ شَمْلًا شَتَاتُهُ مُحْتُوم
غَضَبُ اللهِ مَا يَزَالُ عَلَيْكُمْ
وَعْدُ بَلْفُورٍ دُونَهُ مَهْزُوم



نَادِ أَبْطَالَكَ الَّذِينَ تَوَارَوْا
فِي الشَّيْبَابِيكَ إِنَّهُمْ لَقُورُوم
يَرْقُبُونَ الْأَطْفَالَ مِثْلًا فَإِنْ لَا
حُوءًا، رَمَوْهُمْ، فَهَالِكٌ وَكَالِيم
فِي يَدِيهِمْ سِلَاحٌ قُورُومٌ.. عَلَيْهِ
«أَسَدٌ» فِي حَدِيدِهِ مَخْتُوم
نَادِهِمْ يَقْذِفُوا الْقَنَابِلَ وَاصْرُخْ:
«شَعْبُ صَهِيُونَ أَعْزَلُ مَظْلُوم»
وَالْعَيْنِ الْإِنْكَلِيزَ وَاحْمِلْ ظُبَاهُمْ
إِنَّ نَكَرَانَ فَضْلَهُمْ لَجَسِيم



لَبْنُ الْأَرْضِ فَاضِ سُمًّا زُعَافًا
وَدَمًّا، فَاَنْزِلُوا بِهَا وَأَقِيمُوا
وَاشْرَبُوا مَلَأَ الْبَطُونَ هَنِيئًا..
هَكَذَا تَشْرَبُ الذُّنَابُ الْهِيم
يَا يَهُودِيٌّ لَا عَلَيْكَ سَلَامٌ
وَإِذَا شَتَّتَ لَا عَلَيْكَ «شَلُوم»



البلد الكئيب^(١)

[مجزوء الكامل]

يا أيها البلد الكئيبُ
حيّاكَ مِنْهُمْ سَكُوبُ
لا تبتئسْ بِالظلمِ «إِنْ
نَ غَدًا لِنَظْهره قَريب»
وَعَدُ عَصِيبٍ لَا يَسُورُ
رُ الظالمينَ، غَدُ عَصِيبِ
أشرقَ بِوَجْهكَ ضاحكاً
ولشمسِ شانئكَ الغُروبِ
ما بعدَ غَمِّكَ غَيْرِ يَوْ
مٍ، تَطْمَئِنُّ بِهِ القلوبُ



لَهْفِي على البلد الكئيبِ
جِب، تَعَطَّلتْ أسواقُهُ
عارِ كما اعرورى الخَريدِ
فُ، تَسْأَقَطُ أوراقه
خَفَقَتْ جِوانِحُه أَسَى
وتَقَرَّحتْ أَمَاقه
صَبِراً فَإِنَّ الصَّبَرَ قَدْ
يَحَالُو بِفِيكَ مَذاقه

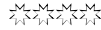
(١) بمناسبة إضراب فلسطين يوم وعد بلفور.

- المصدر: ط. دار القدس (١٩٢٩).

هَذَا عِدُّوكُ، لَا يَـرُغُ
لَكَ، وَهـ_____أَخْلَاقه



بِالْفُورِ كَأْسُكَ مِنْ دَمِ الشُّـ
شُّهَدَاءِ، لَا مَاءَ الْعَيْنِ
لَا يَخْدَعَنَّكَ أَتُّهـَا
رَاقَتْ وَكَلَّـلَهَا الْحَبَبُ
فَحَبَّابُهَا الْأَرْوَاحُ قَدْ
وَثَبَتْ إِلَيْكَ كَمَا وَثَبَ
فَإِنْظُرْ لَوَجْهِكَ إِنَّهُ
فِي الْكَأْسِ لَوَحَى الْغَضَبُ
وَإِنْظُرْ، عَمِيَّتْ، فَإِنَّهُ
مِنْ صِرْخَةِ الْحَقِّ التَّهَبُ



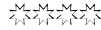
بِالْفُورِ يَوْمُكَ فِي السَّمَـ
ءِ، عَلَيْكَ صَاعِقَةُ السَّمَـ
مَا أَنْتَ إِلَّا الْـذَنْبُ قَدْ
صُورْتَ مِنْ طَيْنِ الشَّقَاءِ
وَالـذَنْبُ وَحْشٌ لَمْ يـزَلْ
يَخْضِرِي بِرَائِحَةِ الدَّمَـ
إِخْسَاءً بِوَعْدِكَ، إِنَّ وَعْدَـ
دَكَ، دُونَهُ رَبُّ الْقَضـَاءِ
وَالِى جَهَنَّمَ أَنْتَ مَا
حَطَبٌ لَهَا طَوْلُ الْبَقـَاءِ



اِخْسَاءُ بِوَعْدِكَ لَنْ يَخْنِي
رَ الْوَعْدُ شَعْباً هَبَّ نَاهِضُ
لَا تَنْقُضِ الْوَعْدَ الَّذِي
أَبْرَمْتَهُ فَلَهُ نَوَاقِضُ
وَيْلٌ لَوَعْدِ الشَّيْخِ مِنْ
عِزِّمَاتِ أَسَادِ رَوَابِضِ
أَتَضْلِعُ يَا وَطَنِي وَهَذَا
عِرْقُ الْعَرُوبَةِ فِي نَابِضٍ؟
فَلَاذْهَبَنَّ فِدَاءَ قَوْمِي
فِي غَمَارِ الْمَوْتِ خَائِضِ



بُشْرَاكَ يَا وَطَنِي فَقَدْ
نُفِضَ الرِّقَادُ عَنِ الْبِلَادِ
نَهَضْتُ بِوِاسِلُ فَيْكَ تَفْ
ذِفُ بِالْأَنْفُوسِ إِلَى الْجِهَادِ
شَقُّوا الطَّرِيقَ إِلَى الْعِلَا
وَحَطُّوا عَلَى نَهْجِ السَّدَادِ
وَلَسَوْفَ تَنْطِقُ فِي سَبِيدِ
لِ الْحَقِّ أَلْسِنَةُ الْجَمَادِ
وَالْوَيْلُ يَا وَطَنِي لِمَنْ
أَضْحَى يُصِرُّ عَلَى الْعِنَادِ



بُشْرَاكَ يَا وَطَنِي فَقَدْ
نَهَضْتُ بِكَ الْغَيْدُ الْأَوَانِسُ
حَيَّتْ جَمُوعَ الْغَانِيَا
تَ عِيُونَ نَرَجِسِكِ النُّوَاعِسِ

أقبلن من باب الخليل
ل، يمسن في سُدِ الملابس
وصرخن في وجه العميد
د، وحققهن لهن حارس
وطني، ظفرت إذا النسا
ء، هتفن باسمك في المجالس



وطني، علينا العهد جم
عاً أن نسير إلى الأمام
ونعيش إخواناً على
محض المودة والوئام
ونرد عنك النازلاً
ت، مُسابقين إلى الحِمَام
ونكون، في إعلاء شأ
نك، عاملين على الدوام
حتى ترى مُتفِيئاً
ظل الكرامة والسلام

عتاب إلى شعراء مصر

[الخفيف]

روضُنا من رياضكم قَيْنانُ
وثَراننا من نِيالكم رِيانُ
وهوانا - لو تَقْدرون هوانا -
كلُّ قلبٍ منه لكم ملائِن
وبرغم العِدا أواصرُ قُرْبنا
نا وثاقُ لم تُبْلِها الأزمان
وعيونُ يَقطي رِوانِ إليكم
دمعُها في مُصابكم لا يُصان
إن سُررتم ففي فلسطينَ عيدُ
أو حزنتم لم تعدْها الأحزان
قد رَأوا بالقناة أن يقطعونا
فإذا الدينُ جسرُها واللسان
وإذا بالقلوب تهفو على النِّي
لِظماءٍ يُودي بها الخفقان
أحسنَ اللهُ وِردكم، هل يُغيضُ الدُّ
نيلَ كأسٍ يحيا بها ظمآن ؟
جئْتُكم عاتِباً بلابلَ مصرِ:
بلبلُ الروضِ عتبُهُ ألحان
رفرف الشعرُ فوقكم بجناحَيْ
هـ، وفي ساحكم غَذاه الببيان
وتسامى صرْحُ العروبةِ في مِصْرُ
رَ، وهل غيْرُكم له أركان ؟

- المصدر: ط. دار القدس (١٩٢٩).

كم بلادٍ تهزكم ليس فيها
 لكمُ جيرةٌ ولا إخوان
 خطبنا لا يهزُّ «شوقي» ولكنْ^(١)
 جاء روما فهزّه الرومان
 خطبنا لا يهزُّ حافظٌ إبراهيم^(٢)
 هيمَ لكنْ تهزّه اليابان
 ما لمطرانَ يا فلسطينُ شأنُ^(٣)
 بكِ لكنْ له بنيرونَ شأنُ
 سيقولونَ قُذِّستْ هذه الأُرُ
 ضُ، فما أنْ لنا بها شيطان
 بل فلسطينُ بالشیاطين ملأى
 ضجّت الإنسُ منهمُ والجبان
 إنْ بلوتم منهم فريقاً فإنا
 قد رمانا باثنين هذا الزمان
 فإذا المالُ فات ذاك فهذا
 قُرمُ لا تفوته الأبدانُ

سيقولون: ربّ إخوانٍ صدقِ
 لك في مصرَ بينهم أضغان
 قطعوا الوحيَ بالتقاطع عنا
 إن هذا جزأؤه الحرمان
 تلك شكوى تروعنني كيف صاروا
 فعساها ذكرى لهم كيف كانوا

(١) نظم أحمد شوقي قصيدة عن روما مطلعها :

قف بروما وشاهد الأمر واشهدُ أن للملك مالكا سبجانه

(٢) نظم حافظ إبراهيم قصيدة عن اليابان بعنوان: «غادة اليابان» مطلعها :

لا تلم كفي إذا السيف نبا صَحَّ مني العزم والدهر أبى

(٣) نظم خليل مطران قصيدة عن نيرون مطلعها :

ذلك الشعبُ الذي آتاه نصرا هو بالسبّة من نيرون أخرى

[المجتث]

يا تَعَسَ مَنْ سِيَمَ خَسَفا	وراح يُظهِرُ ضَعُفا
وَمَنْ إِذَا صَفَعَتْهُ الدُّ	حُكَّامُ قَبْلَ كَفَّا
وَمَنْ إِذَا شَتَمَتْهُ	فليس ينطق حرفا
أَهْ فِلَسْطِينُ كَمْ ذَا	تَرِينَ ظِلْمًا وَعَسفا
هَذَا جِيوشُ الرِّزَايَا	عليك تَرْحَفُ زَحفا
مَدَّ الدَّخِيلُ إِلَى قَلْبِ	بِكَ المِحْطَمِ ظُلُفا
خَالَ الْعَوِيلَ نَشِيدًا	وَأَثَلَهُ الْيُتَمُّ عَرْفا
وَشَقَوَةَ الشَّعْبِ سَعْدًا	وَحُرْقَةَ الْبُؤْسِ عَرْفا
أَبْنَاؤُكَ الصَّيْدُ هَاهُمْ	ما بين سَجْنٍ وَمَنْفَى
وَمَنْ يَرِيدُونَ عَدْلًا	منهم يلاقون حَتفا
بَاتُوا ضَحَايَا انْتِدَابٍ	وظلمُهُ لَيْسَ يَخْفَى
ما ذَنْبُهُمْ غَيْرَ أَنَّ الدُّ	جَمِيعَ يَطْلُبُ «حِلْفًا» !

- المصدر: جريدة «مرآة الشرق» - القدس - ٨/٣/١٩٣٠ .

موسم النبي موسى

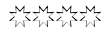
[الرمل]

أيها الموسمُ، هل أنتَ سوى
صورةِ المجدِ الذي كان لنا ؟
قد مشى الدهرُ عليه وطوى
صُحُفًا كُنْ سنَاءً وسنا



أيها الموسمُ هل بين الجموعِ
غيرُ ترددٍ صدى النصرِ المبينِ ؟
أصلاحُ الدينِ حيُّ في الربوعِ
أم سيوفُ الفتحِ فيها ينجلين ؟
أين قومٌ جهلوا معنى الخنوعِ ؟
ذهب الآباءُ، تَغَسَّأَ للبنين

حَلَّقَ المجدُ بهم ثم هوى
وانثنى ينشدهم لما انثنى
أيها الموسمُ، هل أنتَ سوى
صورةِ المجدِ الذي كان لنا ؟



يا شواظَ الحربِ ترمي بشررُ
يتترك الأفاقُ في لون الدم

- المصدر: ط. دار القدس (١٩٣٠).

يا لظى حَطينَ نشوى بالظفر
يا صلاح الدينِ اخلدْ وانعم
لك في التاريخ أيامٌ غُررَ
كُتبتُ بالسيف لا بالقلم

فرواها الدهرُ فيما قد روى
فاسمعوها واجعلوها سننا
أيها الموسمُ هل أنتَ سوى
صورةِ المجدِ الذي كان لنا؟

الفدائي

[مجزوء الخفيف]

عينت الحكومة المنتدبة يهودياً بريطاني الجنسية لوظيفة النائب العام في فلسطين، فأمعن في النكاية والكيد للعرب بالقوانين التعسفية الجائرة التي كان (يطبخها) ولما ثقلت على العرب وطأته، كمن له أحد الشبان المتحمسين في مدخل دار الحكومة في القدس، وأطلق النار عليه

لا تسَلْ عن سلامته	روحهُ فوق راحته
بدلته همومه	كفناً من وسادته
يرقب الساعة التي	بعدها هول ساعته
شاغل فكر من يرا	ه، بإطراق هامته
بين جنبيه خافق	يتلظى بغايته
من رأى فحمة الدجى	أضربت من شرارته
حملته جهنم	طرفاً من رسالته

هو بالباب واقف	والردى منه خائف
فاهدأي يا عواصف	خجلاً من جرائته



صامت لو تكلم	لفظ النار والدم
قل لمن عاب صمته	خلق الحزم أبكما
وأخو الحزم لم تزل	يده تسبق الفما

- المصدر: ط. دار الشرق الجديد (١٩٣٠).

لا تلوموه، قد رأى منهج الحق مظلماً
وبلاداً أحبَّها ركنها قد تهدماً
وخصوماً ببغيهم ضجت الأرض والسما
مرَّ حينٌ، فكاد يَفُ تله اليأس، إنما

هو بالباب واقف والردى منه خائف
فاهدأي يا عواصف خجلاً من جرائته

الثلاثاء الحمراء (*)

[الكامل]

مقدمة

لما تَعَرَّضَ نَجْمُكَ المَنحُوسُ وترنَّحتُ بعُرى الحبالِ رؤُوسُ
ناح الأذانُ وأَعولَ الناقوسُ فالليلُ أَكدرُ، والنهارُ عَبُوسُ
طفقتُ تثورُ عواصفُ وعواطفُ
والموتُ حيناً طائفُ أو خاطفُ
والمعولُ الأبدِيُّ يمعنُ في الثرى ليردَّهم في قلبها المتحجَّرِ



يومٌ أَطلَّ على العصورِ الخاليةِ ودعا: «أمرٌ على الورى أُمثالية؟»
فأجابه يومٌ: «أجلُ أنا راويهُ لمحاكم التفتيشِ، تلك الباغية
ولقد شهدتُ عجائباً وغرائباً
لكنَّ فيكَ مصائباً ونوائباً
لم ألقَ أشباهاً لها في جورها فاسألُ سوايَ وكم بها من مُنكَرٍ»



وإذا بيومٍ راسفٍ بقيودهِ فأجاب، والتاريخُ بعضُ شهودهِ
«انظرُ إلى بيضِ الرقيقِ وسُودهِ من شاء كانوا ملكه بنقودهِ
بشرٌ يُباع ويُشتري فتحسراً
ومشى الزمانُ القهقريَ فيما أرى

(*) حاول اليهود في صيف ١٩٢٩ الخروج على التقاليد الثابتة المتعلقة بصلاتهم في موقع (البراق)، فهاج العرب لأنهم فطنوا إلى ما يضمن اليهود من وراء هذه المحاولة من اعتداء على الأماكن الإسلامية المقدسة ونشبت في القدس والخليل ويافا وصفد اضطرابات دامية بين اليهود والعرب قتل فيها من اليهود عدد كبير في مدينتي الخليل وصفد. ثم ألقت السلطات البريطانية القبض على بعض الشبان واتهمتهم بقتل اليهود وحوكموا، وصدرت أحكام الإعدام على الشهداء الثلاثة وهم: فؤاد حجازي من صفد، ومحمد مجوم، وعطا الزير من الخليل، رحمهم الله جميعاً (أحمد طوقان).

فسمعتُ مَنْ منع الرقيقَ وبيعهُ نادى على الأحرار: يا من يشتري»



وإذا بيومٍ حالك الجلبابِ مُترنِّحٍ من نشوةِ الأوصابِ
فأجاب: «كلّا، دون ما بك ما بي أنا في رُبى «عاليه» ضاع شبابي
وشهدتُ للسفّاح^(١) ما أبكى دما
ويلٌ له ما أظلم ما لكنّما
لم ألقَ مثلكَ طالعاً في روعةٍ فاذهبْ لعلكَ أنتَ يومَ المحشرِ»



«اليومُ» تُنكرهُ اللَّيالي الغابرةُ وتظلّ ترمقه بعينٍ حائرة
عجباً لأحكام القضاءِ الجائره فأخفُّها أمثالُ ظلمٍ سائره
وطنٌ يسيرُ إلى الفناءِ بلا رجاءِ
والداءُ ليس له دواءُ إلّا الإيباءُ
إنّ الإيباءَ مناعةٌ، إنّ تشتملُ نفسٌ عليه تَمُتْ ولما تُقهرِ



الكلُّ يرجو أن يُبكَرَ عفوهُ^(٢) ندعو له ألا يُكدرَ صفوهُ
إنّ كان هذا عطفه وحنوهُ عاشت جلالته وعاش سُمُوهُ
حمل البريدُ مُفصّلاً ما أُجملاً
هلاً اكتفيتَ تَوسُّلاً وتَسوُّلاً
والموتُ في أخذ الكلامِ وردّه فخذ الحياةَ عن الطريقِ الأقصرِ



(١) المقصود: جمال باشا السفّاح القائد التركي الذي أعدم كوكبة من شهداء سورية ولبنان تَمُتْ محاكمتهم

في بلدة «عاليه» اللبنانية.

(٢) الضمير يعود إلى المندوب السامي البريطاني في فلسطين وقد ألحت الهيئات السياسية العربية عليه

ليصدر العفو فلم يفعل (أحمد طوقان).

ضاق البريدُ وما تغيَّرَ حالُ والدُّلُّ بينَ سطورنا أشكالُ
خُسْرانُنا الأرواحُ والأموالُ وكرامةُ - يا حسرتا - أسمالُ
أو تُبصرون وتَسألونَ ماذا يكونُ؟
إنَّ الخداعَ له فنونُ مثلُ الجنونِ
هيهات، فالنفسُ الذليلةُ لو غدتُ مخلوقةً من أعينٍ لم تُبصرِ!



أَتى لشاكٍ صوتهُ أن يُسمَعَا؟ أَتى لباكٍ دمعُه أن يَنفَعَا؟
صخرٌ أحسَّ رجاءَنا فتصدَّعا وأتى الرجاءُ قلوبَهم فتقطَّعا
لا تعجبوا، فمن الصخورِ نبُعُ يفورُ
ولهم قلوبٌ كالقبورِ بلا شعورِ
«لا تلتمسُ يوماً رجاءً عند مَنْ جربَتَه فوجدتَه لم يشعُرِ»

الساعات الثلاث

الساعة الأولى

أنا ساعةُ النفسِ الأبيَّة	الفضلُ لي بالأسبقِيَّة
أنا بكرُ ساعاتٍ ثَلا	ث، كُلُّها رمزُ الحمِيَّة
بنتُ القضيَّةِ إنَّ لي	أثراً جليلاً في القضيَّة
أثرَ السيوفِ المشرفِيَّة	ة، والرماحِ الزاعبِيَّة ^(١)
أودعتُ، في مُهَجِ الشببي	ببة، نفحةُ الروحِ الوفيَّة
لا بدَّ من يومٍ لهم	يَسقي العِدَى كأسَ المنِيَّة
قسماً بروحِ «فؤاد» تصدَّ	عدُّ من جوانحه زكيَّة
تأتي السماءَ حفيَّة	فتحلُّ جنتَها العليَّة

(١) رماح منسوبة إلى زاعب (رجل أو بلد)، (لسان العرب).

ما نال مرتبة الخلو عاشت نفوس في سبي
دِ بغير تضحية رضيه ل بلادها ذهبَتْ ضحيه

الساعة الثانية

أنا ساعة الرجل العتيد أنا ساعة الموت المُشَرُّ
رف كل ذي فعلٍ مجيد بطلي يُحطِّمُ قيده
رمزاً لتحطيم القيود^(١) زاحمت من قبلي لأسد
بقها إلى شرف الخلود وقدحت، في مُهَج الشَّبا
ب، شرارة العزم الوطيد هيهات يُخدَعُ بالوعو
د، وأن يُخدرَ بالعهود قسماً بروح «محمد»:
تلقى الردى حلو الورود قسماً بأمك عند مؤ
تك، وهي تهتف بالنشيد وترى العزاء عن ابنها
في صيته الحسن البعيد ما نال من خدم البلا
د أجل من أجر الشهيد

الساعة الثالثة

أنا ساعة القلب الكبير أنا ساعة الرجل الصبور
يعة، في الخطير من الأمور رمز الثبات إلى النُّها
ء الموت من صم الصخور بطلي أشدُّ على لقا
فاعجب لموت في سرور جذلان يرتقب الردى
كفَّين في يوم النشور يلقي الإله «مُخَضَّبُ الد

(١) نُفِّذَ حكم الإعدام بالأبطال الثلاثة في ثلاث ساعات متوالية، فكان أولهم فؤاد حجازي، وثانيهم محمد مجوم، وثالثهم عطا الزير. وكان المقرر رسمياً أن يكون الشهيد عطا ثانيهم ولكن مجوماً حطَّم قيده وزاحم رفيقه على الدور حتى فاز ببغيته (أحمد طوقان).

صبرُ الشبابِ على المصا ب ، وديعتي ملءَ الصدور
أنذرتُ أعداءَ البِلَا دِ بشرَ يومٍ مُستطير
قسماً بروحك يا «عطا ء» ، وجنَّة المَلِكِ القدير
وصِغاركَ الأشبالِ تَبْ كي الليثَ بالدمع الغزير
ما أنقذ الوطنَ المَقْدُ دى غيرَ صَبَّارِ جسور

الخاتمة

الأبطال الثلاثة

أجسادهم في تربة الأوطانِ أرواحهم في جنَّة الرضوانِ
وهناك لا شكوى من الطغيانِ وهناك فيضُ العفو والغفرانِ
لا ترجُ عفواً من سواه هو الإلهُ
وهو الذي ملكتُ يداهُ كلُّ جاءِ
جبروتُهُ فوق الذين يغرَّهُمُ جبروتُهُم في برِّهم والأبحرِ

[الخفيف]

لَجْنَةٌ إِثْرَ لَجْنَةٍ إِثْرَ لَجْنَةٍ كَلَّفُوا «الْخَاطِرَ الْكَرِيمَ» بِهِدْنَهُ
وَلِجَانٌ تَلِيَّ وَأُخْرَى تُؤَلِّي هَكَذَا يُبْدَعُ السِّيَاسِيُّ فَنَّهُ
حَسْبُنَا مِنْ خِصَالِهِمْ أَنْ عَرَفْنَا أَيُّ هَذَا الْخِدَاعُ أَنْكَ مِهْنَهُ
غَيْرَ أَنْ الْمَكْرُوهَ يَأْتِيكَ أَحْيَا نَأْ بَخِيرٍ، كَالْخَيْرِ يَأْتِي بِمَحْنِهِ
مِثْلَمَا تَقْصِفُ الرِّيحُ وَلَا تَدُ فَكُ، حَتَّى تَسُوقَ لِلْجَدْبِ مُرْنَهُ
مَرْحَبًا بِالْوَفُودِ شُكْرًا لِقَوْمٍ جَمَعْتُهُمْ خَطُوبُنَا الْمَرْجَحْنَهُ
نَحْنُ لَوْلَا الْخَطُوبُ مَا جَمَعْتُنَا بَعْدَ طَوْلِ الْأَعْمَارِ إِلَّا الْجَنَّةَ

(*) المقطوعة بدون عنوان، وقد ألهاها الشاعر في الحفلة الكبرى التي أقامتها الجمعية الإسلامية المسيحية في رام الله لوفود الدول العربية.

[المجتث]

يا «وفد»^(١) سِرْ بِأَمَانٍ
يا «وفد» لا تَرْجُ جِلْفَا
فـكـلُّ راجٍ ذلِيلُ
ولو جنى القولَ ألفا
قل: ذلك السـعـهـدُ ولَّى
وأنننا اليومَ أكفـا
كم من فتى طلب العـزُّ
زَفى الحـيـاةِ فوقى
لـمـا رأى العـيـشَ ذُلًّا
أبى وعانقَ سـيُفـا
قضى شهيداً عـزـيـزاً
وفي الفـرـاديس أغفى
فـيـهـا الملائكُ تُزجى
إليه صَقًّا فـصـقـا
تحفّه وهُو بالنبِّ
لـ والكرامة حَقًّا
دُمُ الشـهـيدِ إلى الإسِّ
تـقـلـلِ أشرفُ زُلـفـى !

(١) يخاطب الوفد الفلسطيني الذي سافر إلى لندن في ٢١/٣/١٩٣٠ للتباحث في القضية الفلسطينية.
- المصدر: «إبراهيم طوقان في وطنياته ووجدانياته» - البدوي المثلث (١٩٣٠).

تحية مصر^(*)

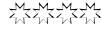
[البسيط]

تحية لك يا مصر الفراعين
ذوي المآثر من حي ومدفون
ولم تزل دوحلة الآداب وارفة
على جوارك خضراء الأفانين
إليك يا مصر إيمائي ومُلتفتي
ونور نهضتك الغراء يهديني
ولي أواصرُ قُربى فيك ما برحتُ
لما مضى ذاتُ توثيق وتمكين
شَقُوا «القناة» عساها عنك تبعدني
أنتي، ومن لغتي جسرٌ سيُدنيني
أحبُّ مصرَ ولكن مصرٌ راغبة
عني فتعرض من حينٍ إلى حين
وإن بكت، لا بكتُ همًّا، فقد علمتُ
وأيقنتُ أن ذاك الهمُّ يُبكي
وما عتبتُ على هَجَرٍ تدلُّ به
إن الدلال يُمنّيني ويُغريني

(*) أقام شبان الجامعة الأميركية المصريون حفلة في فندق (الفيريو) ترحيباً بقدوم فرقة الجامعة المصرية الرياضية، وقد حضر الحفلة عدد كبير بينهم سعادة قنصل مصر في بيروت ورئيس الجامعة الأميركية ورؤساء دوائرها المختلفة والدكتور محجوب ثابت وغيرهم من السيدات والسادة. وقد ألقى في هذه الحفلة حضرة الأستاذ إبراهيم أفندي طوقان القصيدة الآتية، وقد طوى كلمات الترحيب فيها على شيء من العتاب. (جريدة «البرق»).

- المصدر: جريدة «البرق» - بيروت - ١٩٣١/٢/٢٤.

لكنْ جَزَعْتُ عَلَى وَدٍّ أَخَافُ إِذَا
فَقَدْتُهُ لَمْ أَجِدْ خِلاً يُوَاسِينِي
فِي أَصْدِقَائِي أُعْزِّي إِنْ هُمْ هَلَكُوا
وَفِي الصَّدَاقَاتِ مَا لِي مِنْ يُعْزِينِي



قَالُوا شِفَاؤُكَ فِي مِصْرٍ ^(١) وَقَدْ يئُسُوا
مَنِي وَأَعْيَا سَقَامِي مِنْ يَدَاوِينِي
خَلَفْتُهَا بِلْدَةً ^(٢) «يَعْقُوبُ» خَلَفَهَا
شَوْقاً لِيُوسِفَ قَبْلِي فَهُوَ يَحْكِينِي
ثَقَلَنِي مِنْ بَنَاتِ النَّارِ ^(٣) زَافِرَةٌ
تَكْتَنُّنِي وَهَجِيرُ «التَّيِّه» يَصْلِينِي
تَمْضِي عَلَى سَنَنِ الْفُولَانِ جَامِحَةً
وَجَذْوَةُ الشَّوْقِ تُزْجِيهَا وَتَزْجِينِي
حَتَّى سَمَتْ لِي جَنَّاتُ النَّخِيلِ عَلَى
ضِفَافٍ مُطَرَّدِ النِّعْمَاءِ مَيِّمُونَ
هَبِطْتُ مِصْرَ وَظَنَنْتِي أَنَّهَا رَقَدَتْ
فِي ظِلٍّ أَجْنَحَةٌ مِنْ لَيْلِهَا جُؤُنْ
كَأَنَّهَا وَكَأَنَّ اللَّيْلَ مُنْصَدِعاً
بَنُورِهَا سَرُّ صَدْرِ غَيْرٍ مَكْنُونِ
و«الْأَزْبَكِيَّةُ» فِي الْأُمْسَاءِ رَاقِصَةٌ
لَهَا غَلَائِلُ مِنْ شَتَّى الرِّيحَاتِ
وَالنُّورُ ذُو لِحْظَاتٍ فِي خِمَائِلِهَا
كَأَنَّهَا لِحْظَاتُ النُّهْدِ الْعَيْنِ
مَا لِي وَلِلْسَقَمِ أَخْشَاهُ وَأَسْأَلُ عَنْ
طَبِيبِهِ «وَعِمَادُ الدِّينِ» ^(٤) يَشْفِينِي

(١) فِي شَهْرِ تَمُوزَ ١٩٢٢ كَانَ الشَّاعِرُ فِي مِصْرَ يَسْتَشْفِي.

(٢) الْمَقْصُودُ بِلْدَةُ نَابِلِسَ.

(٣) بَنَاتِ النَّارِ: الْقَطَارِ.

لو أنشبت الموتُ بي أظفاره لكفى
بأُمِّ كلثومَ أن تشدو فتُحييني
هذا، ومصرُ بساتين مُنمَّقة
«شبابُها» بعضُ أزهارِ البساتين
خاضوا ميادينَ من جِدٍّ ومن لعبٍ
فأحرزوا السبقَ في كلِّ الميادين

اشتروا الأرض تشتريكم من الضيم (*)

[الخفيف]

حبّذا لو يصوم منا زعيمٌ
لا يصمّ عن طعامه.. في فلسطية
ليصمّ عن مبيعته الأرض يحفظُ
بارك الله في حريصٍ على الأرُ
هم حماة البلاد من كلّ سوءٍ (٢)
نهجوا منهج القوي وصقوا

مثل «غندي» عسى يُفيد صيامه
ن (١)، يموت الزعيم لولا طعامه
بقعة تستريح فيها عظامه
ض، غيور ينهي إليها اهتمامه
وهم معقل الحمى ودعامه
لجهد منصورة أعلامه



إنما عدّة الضعيف «احتجاج»
كل يوم حزب وحلم (٣) فحدث
مُغرماً بالبلاد صبّ ولكن
بطل إن علا المنابر، كراً
أزروا القائمين بالعمل الصّ
أزروهم بالمال فالأرض «صنّو
اشتروا الأرض تشتريكم (٦) من الضيم

لم يجاوز حدّ السطور احتدامه
عن ضعيف سلاحه أحلامه
بسوى القول لا يفيض غرامه
ر، سريع عند القفال انهزامه!
لح، إن الأبى هذا مقامه (٤)
ق» لالكم، بل قوامه (٥)
م، وات مسودة أيامه



(*) تيسّت فلبيت دعوة جريدة «فلسطين» للمعاوضة بقصيدة، وأقسم بالله والرسول والملائكة أجمعين إنني لو علمت أن النتيجة ستكون برهاناً على موت أهل فلسطين ما حركت قلمي» من رسالة الشاعر إلى د.عمر فروخ تعليقاً على القصيدة (من كتاب: «شاعران معاصران»).

(١) وفي سوريا ولبنان» تعليق للشاعر (من كتاب: «شاعران معاصران»).

(٢) «هنا التياسة» تعليق للشاعر (من كتاب: «شاعران معاصران»).

(٣) «عزة دروزة وأشباعه قاموا حديثاً بتشكيل حزب يسمى: «حزب الاستقلال» تعليق للشاعر (من كتاب: «شاعران معاصران»).

(٤) الإشارة إلى الذين قاموا بمشروع (صندوق الأمة) وكانت غايته إنقاذ الأراضي في فلسطين (أحمد طوقان).

(٦) «تشتريكم يجب أن تكون تشتريكم، ولكنها لم تقع إلا هكذا... إن تشتريكم غير جميلة، ولكن هذا عذر فقط» تعليق للشاعر (من كتاب: «شاعران معاصران»).

يا رجال البلاد

[الخفيف]

لا تبالي بألف خطبٍ عراها
شفها الغيظُ والأسى ونراها
كلما أوشكتُ تسيلُ دموعي
لا تلمني، فكم رأيتُ دموعاً
قد سقى الأرضَ بائعوها بكاءً
وطني مُبتلىً بعصبة «دلاً»
في ثيابِ ثريكٍ عزاً ولكن
ووجوهٍ صفيقةٍ ليس تندی
وصدورٍ كأنهنَّ قُبُورُ
حُسيبوا في الرجال، هل كانتِ الأُذُ
نفسُ حرٍّ مفجوعةٍ بحماها
كظمتُ غيظَها، وأخفتُ أساها
ملك اليأسُ غربَها فثناها
كاذباتٍ ضحكتُ ممَّن بكاهها
لعنَّتهم سهولُها ورباهها
لين، لا يتَّقون فيه الله
حشوها الذلُّ والرياءُ سداها
بجلودٍ مدبوغةٍ تغشاها
مظلماتُ قلوبهم موتاهها
عامٌ إلا لثلمهم أشباهها..؟



يا رجال البلاد يا قادة الأُمم
هل لديكم سياسةٌ غيرُ هذا الذُّ
صكَّتِ الألسنُ المسامعَ حتى
عرف الناسُ والمنابرُ والأُذُ
كلُّكم بارعٌ بليغٌ - بحمد الذُّ
مّة، ماذا دهاكم ودهاها؟
قُول، يُحيي من النفوس قواها؟
لقيتُ من ضجيجكم ما كفاهها
لامٌ أفضالكم فهاتوا سواها
له، طبُّ بحالنا ودواها

- المصدر: ط. دار الشرق الجديد (١٩٣٣).

غيرَ أن المريض يرقبُ منكم
كان أولى بكم لو أن مع القَو
مثلُ القول لا يؤيده الفِعْ
وهو كالدوحة العقيم: ظلالُ
هذه الجرعة التي لا يراها
لِفعالاً محمودةً عقبهاها
ل، أزهيرُ لا يفوحُ شذاها
واخضرارُ ولا يُرجى جناها



رحم الله مُخلصاً لبلادٍ
لو أتوه بالتَّبَر وزنَ ثراها
انفروا أيها النيامُ فهذا:
كُشِفَتْ منكم المقاتلُ وامتدَّ
نَبْئُوني عن القويِّ متى كا
لا يلينُ القويُّ حتى يلاقى
لا سمتُ أمةً دهنتها خطوبُ
ساوموه الدنيا بها فأباها
لأباهُ وقال أفدي ثراها
يوم لا ينفعُ العيونُ كراها
دَتْ إليها المثقَّفاتُ قناها
نَ رحيماً، هيهات من عزِّ تها
مثلهُ عزَّةً وبطشاً وجاها
أرهقنَّها ولا يثورُ فتهاها

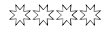


الشهيد

[مجزوء الخفيف]

عبس الخطبُ فابتسمُ	وطغى الهولُ فاقتحمُ
رابطَ الجأشِ والنُّهى	ثابتَ القلبِ والقدم
لم يُببالِ الأذى ولم	يَنُتْنِه طارئُ الألم
نفسُهُ طوعَ همّةٍ	وجمتُ دونها الهمم
تلتقي في مزاجها	بالأعاصير والحُمم
تجمعُ الهائجَ الخِضمُ	مَ إلى السراسخِ الأثم
وهي من عنصر الفدا	ء، ومن جوهر الكرم
ومن الحقِّ جـذوةٌ	لفحُّها حررَ الأمم

سارَ في منهجِ العُلا	يطرُقُ الخُلْدَ منزلاً
لا يبالي، مُكبَّلاً	ناله أم مُجَدَّلاً
فَهُوَ رهنٌ بما عزم	



ربَّما غاله الردى	وهو بالسجن مُرتَهَن
لم يُشيّع بدمعةٍ	من حبيبٍ ولا سَكَن
ربَّما أُدرجَ التُّرا	بَ سليباً من الكفن
لستَ تدري: بطاحُها	غَيَّبَتْهُ أم القُنن
لا تقلُ أين جسمُهُ	واسمُهُ في فم الزمن
إنه كوكبُ الهدى	لاح في غيبِ المحن

- المصدر: ط. دار الشرق الجديد (١٩٣٤).

أَرْسَلَ النُّورَ فِي الْعِيُو ن، فَمَا تَعْرِفُ الْوَسْنَ
وَرَمَى النَّارَ فِي الْقُلُو ب، فَمَا تَعْرِفُ الضُّغْنَ

أَيُّ وَجْهِ تَهْلَلَا يَرِدُ الْمَوْتَ مُقْبِلَا
صَعِدَ الرُّوحَ مُرْسِلَا لَحْنَهُ يُنْشِدُ الْمَلَا
أَنَا لَلَّهِ وَالْوَطَنُ

إلى الأحرار^(١)

أحرارنا! قد كشفتم عن «بطولتكم» غطاءها يوم توقيع الكفالات
أنتم رجالُ خطاباتٍ مُنمَّقةٍ كما علمنا، وأبطالُ «احتجاجات»
وقد شبعتم ظهوراً في مظاهرةٍ «مشروعةٍ» وسكرتم بالهتافات
ولو أصيب بجرحٍ بعضكم خطأً فيها، إذا لرتعتم بالحفافات
بل حكمةُ الله كانت في سلامتكم لأنكم غيرُ أهلٍ للشهادات

أضحت فلسطينُ من غيظٍ تصيح بكم: خلُّوا الطريقَ فلستم من رجالاتي
ذاك السجين^(٢) الذي أغلى كرامته فداؤه كلُّ طُلابِ الزعامات

(١) ألقت الشرطة البريطانية القبض على بعض الزعماء العرب واعتبرتهم مسؤولين عن المظاهرات التي قام بها الفلسطينيون وساقتهم إلى المحاكمة، ثم صدر عليهم الحكم بالسجن أو توقيع الكفالات، فوقعوا كلهم إلا المرحوم الشيخ عبدالقادر المظفر الذي فضل السجن على توقيع الكفالة (أحمد طوقان).
(٢) الإشارة إلى المرحوم الشيخ عبدالقادر المظفر (أحمد طوقان).

فلسطين مهد الشقاء^(١)

[مجزوء الكامل]

كان بعض الناس في الأقطار العربية المجاورة يرون الثراء الزائف الذي تمتعت به
قلة من السماسرة وباعة الأراضي العرب فتعمى قلوبهم عما وراء هذه البيوع من خطر

إخواننا أهل الوفاء	أهل المودة والولاء
من كل قطر بالعُرو	به ذي ازدهار وازدهاء
أحبابنا لا تُخدعوا	عنا بظاهرة الرخاء
ليست فلسطين الرُخيد	يئة غير مهد للشقاء
عُرِضت لكم خلف الرُّجا	ج، تميم في حل البهاء
هي هات ذلك إن في	بيع الثرى فقد الثراء
فيه الرحيل عن الربو	ع غداً إلى وادي الفناء ^(٢)
فاليوم أمرح كاسياً	وغداً سأنبذ بالعراء
وأضعتُ صادقَةَ الرُّجا	ء، فأين كاذبة الرجاء؟
من ذا ألوم سوى بني	وطني على هذا البلاء



للحق سطر في صحا	فتنا وللتضليل نهر
قلب صحائفها يطل	ل عليك بهتان وهجر

(١) ورد العنوان في بعض طبعات الديوان (فلسطين مهد الشهداء) وهو خطأ.

(٢) لقد تحققت تلك النبوءة (أحمد طوقان).

للخاملين نباهةٌ	فيها وللاغممار ذِكر
هذا يُقال له الزَّعي	مٌ.. كما يقال لذاك حُرٌّ
وهناك سِمسارُ البِلا	د، فإنه الشَّهْمُ الأغرُّ
فالمُدْحُ مثلُ القَدْحِ تَضُدُّ	مَنهُ لهم خُضْرٌ وَحُمْرٌ ^(٢)
تلك الصحافةُ «كيميا	ءٌ» ، لها بخلق الله سرٌّ
تَدْعُ الكرامةَ وَهِيَ هَزُّ	ل، والمروءةُ وَهِيَ سُخْرُ
أين الصحافيُّ الصَّريُّ	ح، تراه يُعلن ما يُسرُّ
صُلْبٌ فلا قُربى تَميدُ	لُ به، ولا مالٌ يَغُرُّ



منذ احتلالِ الغاصبي	نَ، ونحن نبُحث في السِياسه
شأنُ الضميرِ مع السِّيا	سَة، كالرقيق مع النُحاسه
مَرَّتْ عَلَيْنَا سِتُّ عَشْرَ	رَة، كُنْ مَجْلِبَةً التَّعاسه
فإلى متى يا ابنَ البِلا	د، وأنتَ تُؤخِّذُ بالحماسه؟
وإلى متى «زعماءُ» قَوُّ	مِكِ يخلبونك بالكياسه؟
ولكم أحطنا خائناً	منهم بهالات القداسه
ولكم أضاع حقوقنا الرُّ	رَجُلُ الموكلِ بالحراسه
والله ليس هناك إلد	لا كلُّ قنَّاصِ الرئاسه
تأتيه من بيع البِلا	د، وما إليه من الخساسه
و إذا اتَّقاكَ «فبالجرا	ئد»، والنجاسةُ للنجاسه ^(١)



(١) كثر في ذلك الحين تسليط الصحافة للنيل من كرامات الناس (أحمد طوقان).

يا قوم

هزلت قضيئكم فلا لحم هنناك ولا دم
حتى العظام فقد تعر رقاها الذئب وأنخموا
بليت قضيئكم فصا رت هيكلا يتهدم
ضمرت إلى «بلدية» فيها العدا تتحكم^(١)
أوضاعها مجهولة ومصيرها لا يعلم
يا قوم ليس عدوكم ممن يالين ويرحم
يا قوم ليس أمامكم إلا الجلاء فحرّموا^(٢)

(١) كان الخصام بين الأحزاب العربية وقتئذٍ على أشده بسبب انتخابات البلدية في فلسطين (تعليق لإبراهيم طوقان).

(٢) وقد وقع ذلك ويا للأسف (أحمد طوقان).

الإيمان الوطني

أوجماعه (الساار) (*)

[الخفيف]

ليت لي من جماعة «الساار» قوماً	يتفانون في خلاص البلاد
أو كإيمانهم رسوخاً وعمقاً	ثابت الأصل في قرار الفؤاد
مثل هذا الإيمان يضمن للأو	طان عزاً، ومثل هذا التفادي
لا كإيمان من ترى في فلسطين	ن، قصير المدى، كليل الزناد
يتداعى إذا تسلط وعد	أو وعيد عليه عند العوادي
أو قُطوب.. تخيب منه المساعي،	وابتسام... تذوب فيه المبادي
لا تلمني إن لم أجد من وميض	لرجاء ما بين هذا السواد

(*) الساار : مقاطعة تقع على الحدود بين فرنسا وألمانيا سكانها من الألمان، وقد ضمتها فرنسا إليها بعد الحرب العالمية الأولى، ثم أُجري فيها استفتاء بين السكان، فاختراروا الانضمام إلى ألمانيا.
- المصدر: ط. دار الشرق الجديد (١٩٣٥).

الشيخ المظفر^(١)

[الكامل]

انظر لما فعل «المظفر» إنه	نفع القضية غائباً لم يحضر
أحيا القلوب، ودونهن ودونه	غرف الحديد، وحاميات العسكر
عرضوا الكفالة والكرامة عنده	عبثاً، وهل عرض يقاس بجوهر؟
ورأى التحير في التخيّر سبباً	ففدى كرامته «بستة أشهر»
لم يخل ميدان الجهاد بسجنه	فلقد رماه بقلبه المتسعر
ولكم خلا بوجود جيش زاهر	يمشي إليه بخطوه المتعثر
إن «المظفر» من حديد جسمه	فيما أرى، وجسومهم من سكر

(١) الإشارة هنا إلى المرحوم الشيخ عبدالقادر المظفر (أحمد طوقان). عبدالقادر المظفر (١٨٨٠-١٩٤٩م) ولد في بيت المقدس، ودرس في الأزهر، وشارك في الحركة الوطنية في فلسطين.

السَّماسرة...١

[الكامل]

أما سَماسرةُ البلادِ فعصبَةٌ	عارٌ على أهل البلادِ بقاؤها
إبليسُ أعلن صاغراً إفلاسَهُ	لما تحقَّقَ عنده إغراؤها
يتنعمون مُكرِّمين، كأنما	لنعيمهم عمُّ البلادِ شقاؤها
هم أهلُ نجدتها، وإنْ أنكرتهم	وهُمُو، وأنفَكَ راغماً زعماؤها
وحماتها، وبهم يتمُّ خرابُها	وعلى يديهم بيعُها وشرائها
ومن العجائب إن كشفت قُذورهم	أنَّ الجرائدَ، بعضهنَّ، غطاؤها ^(١)
كيف الخلاصُ إذا النفوسُ تراحمَتْ	أطماعُها، وتدافعتْ أهواؤها ؟

(١) الإشارة إلى بعض الجرائد المأجورة التي كانت تدافع عن فئة من السماسرة وتستتر خيانتهم (أحمد طوقان).
- المصدر: ط. دار الشرق الجديد (١٩٣٥).

أيها الأقوياء (*)

[الخفيف]

قد شهدنا لعهدكم «بالعدالة»
وختمنا لجندكم بالبسالة
وعرفنا بكم صديقاً وفيّاً
كيف ننسى انتدابَه واحتلاله
وخجلنا من «لطفكم» يومَ قلتم:
وعدُّ بلفور نافذٌ لا محاله
كلُّ «أفضالكم» على الرأس والعِي
ن، وليستْ في حاجةٍ لدلاله
ولئن ساء حالنا فكفانا
أنكم عندنا بأحسن حاله
غير أن الطريقَ طالت علينا
وعليكم... فما لنا والإطاله ؟
أجلاءً عن البلاد تُريدو
نَ فنجلو، أم مَحَقْنَا والإزاله ؟^(١)

(*) موجهة إلى حكومة الانتداب البريطانية (أحمد طوقان).

(١) ولقد تحقق الجلاء عن الديار (أحمد طوقان).

زيادة الطين (*)

من كان يُنكر نُوحاً أو سفينتهُ فإن نوحاً بأمر الله قد عادا
حلّ الوبال «بعيبال» فمال به يا هيبة الله إبراقاً وإرعادا^(١)
في جارفٍ كعجيج البحر طاغية أمواجه تحمل الأسواق أمدادا
ولا تزال من الزلزال باقية تذكرها يُوقد الأكباد إيقادا^(٢)



منذ احتلتم وشؤم العيش يرهقنا فقرأ وجوراً وإعاساً وإفسادا
بفضلكم قد طغى طوفان «هجرتهم» وكان وعداً تلقيناه إيعادا^(٣)
واليوم، من شؤمكم ، نُبلى بكارثة هذا هو الطين والماء الذي زادا



(*) بمناسبة الطوفان الذي طغى على مدينة نابلس وضواحيها سنة ١٩٣٥ (أحمد طوقان).
(١) تقع مدينة نابلس بين جبلين: «عيبال» في الجهة الشمالية و«جرزيم» في الجهة الجنوبية (أحمد طوقان).
(٢) هو الزلزال الذي وقع سنة ١٩٢٧، وقد خسرت فيه نابلس الكثير من الأرواح والأموال (أحمد طوقان).
(٣) إشارة إلى الهجرة اليهودية إلى فلسطين وإلى وعد بلفور (أحمد طوقان).

إلى ثقیل (*)

[الخفیف]

أَنْتَ «كالاحتلال» زَهْوَاً وَكِبْراً
أَنْتَ «كالانتداب» عُجْباً وَتِيها
أَنْتَ «كالهجرة» التي فرضوها
ليس من حيلةٍ لِقَوْمِكَ فيها
أَنْتَ أَنْكَى من «بائع الأرض» عندي
أَنْتَ «أعداؤه» التي يدّعيها
لَكَ وَجْهٌ كَأَنَّهُ وَجْهٌ «سِمَسا
ر»، على شرط أن يكونَ وجيها
وَجَبِيْنٌ مِثْلُ «الجريدة» لَمَّا
لم تجد كاتباً عفيفاً نزيها
وحديثٌ فيه ابتذالٌ «احتجاج»
كَلِّمَّا نَمَّقَوْه عاد كَريها
جُمِعَتْ فَيَك «عُصْبَةٌ» لِلْبَلَايا
وأرى كلَّ أُمَّةٍ تَشْتَكِيها

- المصدر: جريدة «الدفاع» - يافا - ١٧/٢/١٩٣٥.

غاييتي

[مجزوء الرمل]

إن قلبي لبلادي	لا لحزبٍ أو زعيمٍ
لم أبعه لشقيقٍ	أو صديقٍ لي حميمٍ
ليس مني لو أراه	مرةً غيرَ سليمٍ
ولساني كفؤادي	نيطَ منه بالصميم
وغدي يُشبه يومي	وحديثي كقديمي
لم أهب غيظَ كريمٍ	لا ولا كيدَ لئيمٍ
غاييتي خدمةُ قومي	بشقائي أو نعيمي

- المصدر: ط. دار الشرق الجديد (١٩٣٥).

مناهج...!

[الوافر]

أمامك أيها العربيُّ يومٌ تشيبُ لهوله سُودُ النواصي
وأنتَ ، كما عهدتُكَ ، لا تبالي بغير مظاهرِ العبثِ الرخاصِ
مصيرُكَ باتَ يلمِسُه الأَداني وسار حديتُه بين الأَقاصي
فلا رَحْبُ القصورِ غداً بباقي لساكنها ولا ضيقُ الخصاصِ^(١)



لنا خصمان: ذو حَوْلٍ وطَوْلٍ وآخرُ ذو احتيالٍ واقتناصِ^(٢)
تواصوا بينهم فأتى وبالأُ وإذلاً لنا ذاك التواصي
مناهجٌ للإبادة واضحاتُ وبالحسنى تُنفَّذُ والرصاص

(١) لا حاجة إلى القول أن ذلك كله قد تحقق ويا للعار! (أحمد طوقان).
(٢) الدولة البريطانية المنتدبة والصهيونية هما الخصمان (أحمد طوقان).
- المصدر: ط. دار الشرق الجديد (١٩٣٥).

أنتم...! (*)

[الخفيف]

أنتم «المخلصون» للوطنية
أنتم الحاملون عبء القضية!
أنتم العاملون من غير قولٍ
بارك الله في الزنود القوية
«وبيان» منكم يعادل جيشاً
بمعدّات زحفه الحربية
«واجتماع» منكم يردّ علينا
غابر المجد من فتوح أمية
وخلص البلاد صار على البا
ب، وجاءت أعياده الوردية
ما جحدنا «أفضالكم» غير أنا
لم تزل في نفوسنا أمنيّة
في يدنا بقيّة من بلاد..
فاستريحوا كي لا تطير البقية

(*) موجهة إلى الزعماء الفلسطينيين (أحمد طوقان).

- المصدر: ط. دار الشرق الجديد (١٩٣٥).

١٠٠٠ (*)

[الطويل]

أرى عدداً في الشؤم لا كئلاثةٍ
وعَشْرٍ ، ولكن فاقه في المصائبِ
هو «الألف» لم تعرف فلسطينُ ضربةً
أشدَّ وأنكى منه يوماً لضاربٍ
يُهَاجِرُ أَلْفٌ.. ثم أَلْفٌ مُهْرَباً..
ويدخل أَلْفٌ سائحاً ، غيرَ آيبٍ
وأَلْفٌ «جوازٍ» ، ثم أَلْفٌ وسيلةٍ
لتسهيل ما يلقونه من مصاعبٍ
وفي البحر آلافٌ.. كأنَّ عبابه
وأمواجه مشحونةٌ في المراكبِ



بني وطني ، هل يقظةٌ بعد رقدةٍ ؟
وهل من شعاعٍ بين تلك الغياهبِ ؟
فو الله ما أدري ، ولليأس هبةٌ ،
أُنَادِي «أميناً» أم أُهَيِّبُ «براغب»^(١)

(*) موضوع هذه القصيدة هو هجرة اليهود إلى فلسطين بموافقة الحكومة البريطانية المنتدبة وبالطرق غير المشروعة (أحمد طوقان).

(١) الإشارة إلى سماحة الحاج أمين الحسيني وإلى المرحوم راغب باشا النشاشيبي، وكنا زعيمى الحزبين المتزاحمين في فلسطين (أحمد طوقان).

لمن الربيع...؟

[مجزوء الكامل]

أرأيتَ مملكةَ الربِّيدِ
ع، يُعيدُ رونقَها الربيعُ؟
ويَتَوَجَّ الراعي بها
مَلِكاً رعيَّته القطيع
الذئبُ يهرَّبُ به ويَلُ
ثم كَفَّه الحَمَلُ الوديع
«أذار» في رجب الفضا
عِ سفيرُ دولته الرفيع
هاتيك ألوانُ تشعُ
ع، وتلك ألحانُ تشيع
لمن الربيعُ وطيبه
وهواه والزهرُ البديع؟
فَرَحُ الربيعِ لمن له
أرضٌ، وليس لمن يبيع

- المصدر: ط. دار الشرق الجديد (١٩٣٥).

يا حسرتا

[الكامل]

يا حسرتا، ماذا دهى أهل الحمى ؟ فالعيشُ ذلٌّ والمصيرُ بوارٌ
أرأيتَ أيَّ كرامةٍ كانتَ لهمْ واليومَ كيفَ إلى الإهانة صاروا ؟
سهلَ الهوانُ على النفوس فلم يعدْ للجرح من ألمٍ... وخفَّ العار
همدتْ عزائمُهم ، فلو شبتْ لظىً لتثيرها فيهم، فليس تُثار
الظالمُ الباغي يسوسُ أمورهم واللعنُ والجاسوسُ والسفسار



يا من تَعَلَّلَ بالسياسة ظنُّها لَطُفْتُ ولانَ عَصِيَّتُها الجَبَّار
ما لطفُها؟ ما اللينُ ذاك؟ وكلُّهم مستعمرون، وكلُّه استعمار

- المصدر: ط. دار الشرق الجديد (١٩٣٥).

نعمة...! (*)

[الطويل]

يقولون في بيروت: أنتم بنعمةٍ تبيعونهم تُرباً، فيُعطونكم تبراً
شقيقتنا مهلاً! متى كان نعمةً هلاكُ ألوفِ الناسِ في واحدٍ أثرى ؟
وباذلُ هذا المالِ يعلمُ أنه يُسلمُ باليمنى إلى يده اليسرى
على أنها أوطاننا.. ما كنوزهم وأموالهم حتى تُساوى بها قدراً ؟
ولو كان قومي أهلَ بأسٍ ونخوةٍ إذن أصبحتُ للطامعين بها قبراً
ولكنهم قد آثروا السهلَ مركباً تُسيره الأهواءُ واجتنبوا الوعرا
وما حسرتي إلا على مُتعفِّفٍ يقومُ «لوجه الله» بالنهضة الكبرى

(*) كان اليهود الصهاينة يشترون الأراضي في فلسطين بأسعار عالية دون أن يفتن العرب في فلسطين وفي الأقطار المجاورة إلى أنهم كانوا يبيعون وطناً لا أرضاً، وكان في بيروت من يحسد أهل فلسطين على ذلك الثراء الزائف (أحمد طوقان).

أيتها الحكومة(*)

[المتقارب]

علامَ احتراسك؟ لا أعلمُ	وفيمَ احتشادك؟ لا أفهمُ
وهل في فلسطينَ ما ترهيبنَ	سوى أنه اجتمعَ الموسمُ ؟
جوادُ براكبه عاثرُ	وأين له الفارسُ المُعلمُ ؟
وسيفُ بحامله ساخرُ	وأين له الكفُّ والمِعصمُ ؟
وهذا بتهديده يدعي	وذاك بتنديده يزعم
معاذيلُ إلا من العنعناتِ	مشاغيلُ عن كلِّ ما يُكرم
مظاهرُ، ليس بها ما يُخيفُ	ولكنَّما خاف من يَظلم

(*) يقيم المسلمون في القدس كل عام في عيد الفصح موسماً يُسمى (موسم النبي موسى) تحضره الجماهير من المدن والقرى المجاورة. وكانت الحكومة المنتدبة تحتاط لهذا الموسم وتحشد له قوى الأمن خشية وقوع اصطدام بين الجموع العربية واليهود (أحمد طوقان).
- المصدر : ط. دار الشرق الجديد (١٩٣٥).

القدس^(١)

[البسيط]

دارَ الزعامةِ والأحزابِ كان لنا
قضيةً فيك، ضيَعنا أمانِها
هل تذكرين وقد جاءتكَ ناشئةٌ
غنيَّةٌ، دونها الأرواحُ تفديها ؟
تَوَدَّ لو وجدتُ يوماً أخا ثقةً
لديكَ يُوسِعُها برّاً ويحميها
ما كان كُفْواً عفيفَ النفسِ كافلُها
ولا أبيعاً حميَّ الأنفِ راعيها
ولا أفادت سوى الأحقادِ تُضرمُها
فوق البلادِ «زعاماتٌ» وتُذكيها
ولم تُبالِ بما تُلقِي لها حطباً
ولا بأيِّ كرامِ الناسِ ترميها
قضيةً نبذوها بعدما قُتِلَتْ
ما ضرَّ لو فتحوا قبراً يوارِيها

(١) بمناسبة التطاحن الحزبي الذي تفشَّى في فلسطين حينذاك، وكانت القدس، بوصفها عاصمة البلاد، مركز ذلك التطاحن (أحمد طوقان).
- المصدر : ط. دار الشرق الجديد (١٩٣٥).

شريعة الاستقلال^(١)

[الكامل]

يومٌ بداجية الزمان ضياءُ
يُزجي النسيمَ به هجيرٌ لافحٌ
ويرفُ من شظف المعيشة لينُّها
وإذا الرشادُ من الضلالة والعمى
وإذا من الفوضى نظامٌ مُعجزٌ
وإذا الخيامُ قصورُ أملاكِ الورى
وعلى ربوع الصين كبرٌ فيلقُ
تلك الخوارقُ إن طلبت أدلةً
نزل الكتابُ على النبي محمدٍ
لو لم يكن وحي السماء ونوره
سحرَ القلوب فراح يقذفها على
هيهات ما نكصوا على أعقابهم
حرية أي الكتاب وسؤددُ

وبهاؤه للخافقين بهاءُ
عجبا!! وتبسط ظلُّه الصحراء
ويسيل من وهج السرابِ الماء
ومن الشقاق تالفٌ وإخاء
وقيادة وسيادة ودهاء
وإذا القفارُ دمشقٌ والزوراء
وبأرض قسطنطين رفٌ لواء
ثبتَ البُراقُ بهنَّ والإسراء
ما يصنع الخطباءُ والشعراء؟!
لمحنته عارضةً له وذكاء
نارِ الجهادِ أولئك البسلاء
حتى انجلت عنهم وهم شهداء
وعزيمةٌ وكرامة وإباء



ناديت قومي لا أخصص مسلماً
إن الكتابَ شريعةً استقلالكم
أبناءً يعربُ في الخطوب سواءً
فتدبروه وأنتمُ الخلفاء



(١) أُلقيت في ذكرى المولد النبوي.

[الطويل]

سمعتُ بأبياتٍ لكوهينَ ملؤها
يقول لإسرائيلَ كانت بلادكم
أحقُّ لإسرائيلَ ما تسلبونه؟
فلسطينُ يا مهدَ الدياناتِ، ما الذي
أجيبني لماذا أنتِ واجمةٌ أسي؟
بلى إنه والله قد يكشف البلاء
يجيء غريبُ الدارِ، يطرد أهلها
ويدخل «شرعياً» ويأتي «مُهرَّباً»
هُمُ النكبةُ الكبرى على كلِّ كائنٍ
يقول هنا الفلاحُ ، وَهُوَ مُشَرَّدٌ
إذا كان حقِّي عند «كوهين» ضائعاً
سنُضْرَبُ حتى نستردَّ حقوقنا

أكاذيبُ ، من سيف الحقيقةِ نُصرَعُ(*)
فروحوا ارحلوا عنها ليدخل «يوشع»
خسنتم فحقُّ العُربِ أقوى وأنصع
أصابك؟ قُولي: ما لعينك تدمع ؟
وقُولي: لِمَ الإضرابُ؟ هل هو ينفعُ ؟
فتلتفت الدنيا إليها فتسمع
ويلعب فيها كيف شاء ويرتع
وما معه إلا السلاحُ المفرقع
هُمُ الخطرُ المنصبُ والشرُّ أجمع
على الأرضِ ، «قولوا: كيف أعنو وأخضع؟
فحقِّي لدى «جُون بول» يا قومُ أضيع
وما سننتمو بالمُضْرِبين هنا اصنعوا»

(*) نشرت «الدفاع» يوم السبت ٢٥/٤/١٩٣٩ في العدد ٥٧٧ ص ١ أبياتاً من نظم إبراهيم طوقان استخدمها كاتب مقال في جريدة «الدفاع» في معرض رده على شاعر عبري يتخيل بأن فلسطين أصبحت (أرض إسرائيل).

- القصيدة بدون عنوان.

- المصدر : «الكنوز - ما لم تعرفه عن إبراهيم طوقان» ، المتوكل طه (١٩٣٩).

[البسيط]

قَمَ لِلجِهَادِ وَنَبَهَ رَاقِدَ الِهَمَمِ وَسَيَّرَ الْجَيْشَ تُرْهِبَ عُصْبَةَ الْأُمَمِ (*)
أَعَصَبَةُ تَتَوَلَّى الْأَمْرَ فِي زَمَنِ أَصْبَحَتْ فِيهِ رَئِيسَ الْعُرْبِ وَالْعَجَمِ
اللَّهُ أَكْبَرُ هَذَا لَا يُطَاقُ وَلَا يَرْضَاهُ إِلَّا مَلِيكَ غَيْرُ مُحْتَرَمِ
وَأَنْتَ أَعْلَى مَقَاماً أَنْ تَنَامَ عَلَى ضِيمٍ وَحَوْلَكَ هَذَا الشَّعْبُ لَمْ يَنْمِ
عَجِبْتُ مَنْ عَصْبَةٍ قَامَتْ وَمَا طَلَبْتُ إِذْنًا، وَلَوْ شِئْتَ لَمْ تُوجَدْ وَلَمْ تَقُمْ
تَدَبَّرِ الْحَكْمَ لَا تَخْشَ عَوَاقِبُهُ بِدُونِ رَأْيِ الرَّئِيسِ الْفَرْدِ وَالْحَكْمِ
التَّفْتِزَانِيَّةُ الْغُرَاءُ غَاضِبَةٌ حَقُوقُهَا بَيْنَ مَغْصُوبٍ وَمُهْتَضَمِ
قَامَتْ فَذَلَّلَتْ التَّيْجَانَ قَاطِبَةً وَصَيَّرَتْ دَوْلَ الدُّنْيَا مِنَ الْخَدَمِ
مُسْتَعْمَرَاتُ لَهَا فِي الْكُونِ عَامِرَةٌ فَازَتْ بِهَا عَنُودٌ بِالسَّيْفِ وَالْقَلَمِ
نَبْتُونَ وَالْمَشْتَرِي فِي كَفِّهَا كَرَةٌ وَهَذِهِ الْأَرْضُ وَالْمَرِيخُ كَاللُّقَمِ
فَكَيْفَ نُغْضِي وَنَرْضَى عَنْ إِهَانَتِهَا فَلْنُعْلِنِ الْحَرْبَ شَعَوَاءً وَنَنْتَقِمِ
لَا يَسْلُمُ الْمَلِكُ فِي أَيْدِي الْعَدُوِّ إِذَا لَمْ نُعْمِدِ الْمَرْهَفَاتِ الْبَيْضَ فِي الْقَمَمِ
وَلَا يَدُومُ لَنَا مَلِكٌ نُعَزِّزُهُ مَا لَمْ نُخْضِبْ دِيَارَ الْمُعْتَدِي بِدَمِ
فَسَارِعُوا لَجِهَادٍ أَوْ يَحِلَّ بِنَا مَا حَلَّ بِالْمَلِكِ مِنْ عَادٍ وَمِنْ إِرَمِ



(*) القصيدة بلا عنوان وبلا تاريخ.

- المصدر : «الكنوز - ما لم تعرفه عن إبراهيم طوقان» ، المتوكل طه .

أميرة الحجّ ما أحلى ملابسها براقه تشغل العينين في الظلم
ألوانها فتحت غصبا منافسنا وأنعشت كل ذي همّ وذي سقم
فلست تنظر في أثناء طلعتها إلا عيونا تجاريها بلا سأم
انظر تجدكم محبّ في الطريق وكم شخص على الباب والطاقت مرنح
تمرّ مثل غزال الرمل نافرة وجه عبوس وثغر غير مبتسم
للعين منها نعيم غير منقطع وللنفود جحيم جدّ مضطرم
لا سيّما شعرها لما ترفعه بمشطها أو بأطراف من الضم
وتلفت الجيد دفعا كي ترفعه فيخفق القلب مذعورا من الألم



مولاي لا زلت في عزّ ومكرمة ماذا يقولون عن شعب بلا علم؟
والأمر أمرّ لكنّ جئت مقترحا فاسمع وسمّعك قولي أكبر النعم
اجعل لنا علما يحكي ملابسها واجعله ذا طرف كالسنّ منتلم



ديننا حبُّك يا هذا الوطن
سرُّنا فيه سواءُ والعلنُ

الأنش

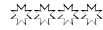
نشيد بطل الريف^(*)

[مشطور المتدارك]

في ثنايا العجا^ج والتحام السيوف^و
بينما الجو^و دا^ج والمنايا تطوف
يتهادى نسيم^و فيه أزكى سلام^و
نحو «عبد الكريم»^(١) الأمير الهمام
ريفنا غابنا نحن فيه الأسود ريفنا نحميه



كلنا يعجب^و بفتى المغرب
كلنا يطرب^و لانتصار الأبي
أين جيش العدا إن دعا للجهاد؟
أصبحوا أعبد^و بالسيوف الحداد
ريفنا غابنا نحن فيه الأسود ريفنا نحميه



طالما استعبدوا وأذلوا الرقاب^و
أيها الأي^د جاء يوم الحساب
فليذوقوا الزعاف^و بالظبا والأسل^و
ولنع^ل الهتاف^و للأمير البطل
ريفنا غابنا نحن فيه الأسود ريفنا نحميه



(*) «في أحد أيام الشتاء من عام ١٩٢٤ اجتمع إبراهيم طوقان وعبد الرحيم قليلات ومحمد فليفل في مقهى الكاريون.. (بيروت).. كانت البلاد العربية تعصف يومذاك بأخبار انتصارات العرب في شمال إفريقيا.. وخطر لإبراهيم.. أن يضع نشيداً لهذه الثورة.. فكان هذا النشيد الذي وضعه إبراهيم في تلك الجلسة التاريخية.. واستطاع.. الأستاذ محمد فليفل.. أن يضع لحناً قوياً... في تلك الجلسة» من كتاب: «شاعران معاصران» ص ١٢٢-١٢٣.

(١) عبد الكريم الخطابي (١٨٨٢-١٩٦٣) ولد بقرية أغادير، تخرج في جامعة القرويين، وعمل بالتدريس فيها، ثم عين قاضياً للقضاة بمليلة. قاد الثورة في الريف المغربي ضد المحتل الإسباني، ثم قبض عليه ونفي، واستطاع الهرب من السفينة عند مرورها في قناة السويس، وأمضى بقية حياته في مصر.

وداع^(*)

[الرمل]

لا تقل لله لبنان الأشم
لا تقل أشتاق الحان الخضم
عش كما أهواك مكفوفاً أصم
يا فؤادي واسل أيام الهوى

هل رأيت الروض أيام الخريف
ذابل الأزهار مسلوب الحفيف
متواري الحسن في الغيم الكثيف؟
يا فؤادي، أين أيام الهوى؟!

هل رأيت الطير في الروض يدور
هائماً يبحث عن عهد السرور
مرغماً ينساق والريح تثور؟
يا فؤادي، أين أيام الهوى؟!

(*) نظمها قبيل سفر الصديق الشيخ سعيد تقي الدين مهاجراً إلى جزائر الفلبين سنة ١٩٢٦ (أحمد طوقان).
وقد غنى هذا النشيد أحمد التنير. (سعيد تقي الدين: ١٩٠٠ - ١٩٦٠ م - كاتب قصصي لبناني، ولد في
بعقلين، تخرج في الجامعة الأميركية ببيروت، هاجر إلى الفلبين وعاد إلى لبنان عام ١٩٤٨، ثم هاجر إلى
أمريكا الجنوبية وتوفي هناك).
- المصدر: ط. دار الشرق الجديد (١٩٢٦).

لا تسلُني يا فؤادي عن هُناءٍ
لكَ في الروض وفي الطير عِزاءٍ
إنَّما العمرُ نعيمٌ وشقاءُ
يا فؤادي، وهنا ضلَّ الهوى !

فتية المغرب

[الرمل]

فتية المغرب هيّا للجهاد نحن أولى الناس بالأندلس
نحن أبطال فتاها «ابن زياد» ولها نُرخّص غالي الأنفس

قفّ على الشاطئ وانظر هل ترى لهب النار وأثار السفين
يوم لا «طارق» عاد القهقري لا، ولا أبأونا أسدّ العرين

يوم لا عزم الجبال الراسيات مُشبه عزم شباب المغرب
لا ولا همّة بحر الظلمات أشبهت همّة جيش العرب

يا فتى المغرب سلها من بنى دارها الحمراء تسمع عجباً
فأعدها لذويها وطناً تحسد الدنيا عليه العربا

نحن أهلوها وإن هبت صبا من رباها فعلينا أولاً
جنّة الفردوس هاتيك الربا كيف تبقى لسوانا نُزلاً؟

(*) «نظمه استجابة لطلب نفر من شبان مراكش الإسبانية كانوا يومذاك يتلقون العلم في مدرسة النجاح بنابلس» من كتاب: «شاعران معاصران» ص ١٢٤.

نشيد البراق لحن بدوي

[مجزوء الرجز]

لنا البُراق والحرم	لنا الحمى، لنا العلم
أرواحنا ، أموالنا	فدى البراق والحرم
نحن الشباب المسلم	والله لا نُسلم
نموت أو نُكرم	فدى البراق والحرم
دم العربي إن أبى ^(١)	يجري على حدّ الظُّبا
وحقُّنا أن نغضب	فدى البراق والحرم
شبابنا أهل الوفا	العار أن نُوقفا
سيروا بحق المصطفى	فدى البراق والحرم
لا تسمعوا كذب الوعود	أعداؤنا خانوا العهود
دُوسوا على رؤس اليهود	فدى البراق والحرم
شبابنا سدّوا الصفوف	قُوموا عليهم بالألوف
الله ما أحلى الحتوف	فدى البراق والحرم

(١) يوجد خلل وزني في الشطر. - المصدر: ط. دار القدس (١٩٢٩).

وطني أنت لي

(*) [المتدارك]

وطني أنت لي والخصم راغم	وطني أنت كل المني
وطني إنني إن تسلم سالم	وبك العز لي والهنا
يا شبابنا انهضوا	آن أن نهضنا
ولنعل الوطن	فلنعم الوطن
وانهضوا وارفعوا عاليًا	مجدكم خالداً ساميًا



وطني مجده في الكون أوجد	وطني صافح الكوكبا
وطني حسنه في الكون مفرد	جئة سهله والرأيا
يا شبابنا انهضوا	آن أن نهضنا
ولنعل الوطن	فلنعم الوطن
وانهضوا وارفعوا عاليًا	مجدكم خالداً ساميًا



وطني حيث لي محب ينطق	بلساني وما أشعر
وطني حيث لي فؤاد يخفق	وبه رايتي تُشعر
يا شبابنا انهضوا	آن أن نهضنا
ولنعل الوطن	فلنعم الوطن
وانهضوا وارفعوا عاليًا	مجدكم خالداً ساميًا



(*) هناك خلل وزني في بعض الأسطر .

نشيد النهضة

[الرمل]

ديننا حبك يا هذا الوطن سرنا فيه سواء والعلن
فارو يا تاريخ واشهد يا زمن



هل حمى مثل فلسطين حمى مجدها سطر في لوح السما
أي مجد مثله مهما سما إنه نور يضيء الأنجما
ديننا حبك يا هذا الوطن سرنا فيه سواء والعلن
فارو يا تاريخ واشهد يا زمن



حرم طهره فادي الوري^(١) وإليه المصطفى ليلاً سرى
وكذا البيعة حيث عمرا^(٢) حبنا حب أبي أن ينكرا
ديننا حبك يا هذا الوطن سرنا فيه سواء والعلن
فارو يا تاريخ واشهد يا زمن



المسيحي أخ للمسلم يا فلسطين بقلب وفم
فانشري حبهما في العلم رمزنا عقد الثريا في الدم
ديننا حبك يا هذا الوطن سرنا فيه سواء والعلن
فارو يا تاريخ واشهد يا زمن



يا فلسطين دمي وقف على أن تفوقي الشمس مجداً وعلاً
وعلى العهد بآلا أقبلا بك ملك الأرض طراً بدلاً
ديننا حبك يا هذا الوطن سرنا فيه سواء والعلن
فارو يا تاريخ واشهد يا زمن



(١) المسيح عليه السلام. (٢) عمر بن الخطاب.

موطني(*)

[الرمل]

موطني الجلال والجمال والسناء والبهاء في ربك
والحياة والنجاة والهناء والرجاء في هواك
هل أراك

سالمًا منعماً وغانماً مكرماً ؟

هل أراك في عاك

تبلغ السماء ؟

موطني

موطني الشباب لن يكل همُّه أن تستقل أو يبيد
نستقي من الردى ولن نكون للعدى كالعبيد

لا نريد

ذلنا المؤبدا وعيشنا المنكدا

لا نريد بل نُعيد

مجدنا التليد

موطني

(*) لحنه الأخوان: محمد وأحمد فليفل.

موطني الحسام واليراعُ لا الكلام والنزاعُ رمزنا
مجدنا وعهدنا وواجبُ إلى الوفا يهزنا

عزنا

غاية تُشرفُ وراية تُرفرفُ

يا هَنَّاكَ في عَلاكَ

قاهراً عداكَ

موطني

أطلقني ذاك العيارا

[مجزوء الرمل]

«في ذكرى وفاة الملك حسين»

«... وتوكل الشريف على الله، ونهض في صباح اليوم التاسع من شعبان سنة ١٣٣٤ - ٢
حزيران سنة ١٩١٦، قبل الفجر وببده بندقية أطلقها طلقة واحدة كان لدويها صدى في جدة
والطائف والمدينة...» (ملوك العرب للريحاني: ج ١)

(١)

أطلقني ذاك العيارا قَدْكَ ضِيماً واصطبارا

يُطَلِّبُ العِزُّ ابتدارا يُدْرِكُ المجدُّ اقتسارا

أطلقني ذاك العيارا

حَطَمِي القيدَ الثقيلَا واركبي الهولَ سبيلا

عاش يا نفسُ ذليلا بك من كان بخيلا

أطلقني ذاك العيارا

دَبَّرِي الأمرَ نهارا واطلبي الحقَّ جهارا

واهبطي الهيجاءَ دارا ذلٌّ من يُغفلُ ثارا

أطلقني ذاك العيارا

يا لأعناقِ الرجالِ كيف مالت بالحبالِ

هاكِ أشبالي ومالي وعتادي للقتالِ

أطلقني ذاك العيارا

أَعْنَقْتُ تسري انتشارا فكرةً تحملُ نارا

تهبطُ القلبُ قرارا تُلْهَبُ الصدرُ استعارا

أطلقني ذاك العيارا

- المصدر : ط. دار الشرق الجديد (١٩٣٤) .

علقتُ ثمَّ يداهُ بزنادٍ فطواه
أضرم البِيدَ سنأهُ ثم رددنَ صـداهُ
أطلقني ذاك العيارا

(٢)

انظري يومَ أغارا أيَّ أبطلِ أثارا
أيَّ كاسساتٍ أدارا بين صرعى وسُكاري
أطلقني ذاك العيارا

احشدي البِيدَ أُسودا واملأي الشامَ حقودا
ووعوداً وعهوداً وبُنوداً وبُنودا
أطلقني ذاك العيارا

المنايا تتبارى والأمانى الكبارا
طبَّقِي الأرضَ انتصارا واعتزازاً وافتخارا
أطلقني ذاك العيارا

اغدري غدرَ القويِّ بالحسين بنِ عليٍّ^(١)
لستِ بالخلِّ الوفيِّ للحليف العربيِّ
فاملأي التاريخَ عارا



أمتي قَدْكَ اصطبَّارا فاطلبي العزَّ ابتدارا
وخذي المجدَ اقتسارا هاجني الماضي اذكارا
أطلقني ذاك العيارا

(١) الضمير يعود إلى بريطانيا العظمى (أحمد طوقان).

نشيد رثاء غازي(*)

[الرمل]

رايةً روّعها خطبُ عراها خفقتُ والهةً فوق ذراها
والصبا مرّت بها نائحةً جزعاً تنعي إلى الدنيا فتاها
يا رايتي تجملّي وبعد غازي أملي واعتصمي بفيصل
أمنيةً المستقبل
كعهد غازي أشرفي على الحمى ورفري منيعةً بفيصل
ريحانةً المستقبل
يا سليل المرهفاتِ الباتراتُ وابنَ راياتِ المعالي الخالداتُ
نمّ رضيّ البالِ وانعمْ إنما عهدنا عهدك عزمٌ وثبات
نم بالهنا فإئنا وراء تحقيق المنى نبني بهنّ الوطننا
فيعتلي ويعتلي
ولم نزلْ له الفدا حتى ينال الفرقدا مكرماً مخلداً
مؤيداً بفيصل

(*) لحنه المرحوم يحيى اللبابيدي وأذيع من محطة القدس (أحمد طوقان) .

أشواق الحجاز

[المتقارب - المتدارك]

فؤادي وهام بحب النبي	بلاد الحجاز إليك هفا
ويا طيب ذاك الثرى الطيب	ويا حبذا زمزم والصفا
ملء الوادي، والأنجاد	ذكرى الهادي، والأمجاد
حول الحرم، أبداً باد	أثر الهمم، منذ القدم

بلاد الكرام شمس الهدى

عليك سلامي مدى سرمد



وطاف بكعبة ذاك الحرم	هنيئاً لمن حضر المشهدا
وظلله الركن لما استلم	ومن قبل الحجر الأسودا



وصحب النبي هداة الملا	بروحي ربوع النبي الأمين
عماد الحياة وركن العلا	ومشرق نور الكتاب المبين

ملء الوادي والأنجاد	ذكرى الهادي والأمجاد
حول الحرم أبداً باد	أثر الهمم منذ القدم

بلاد الكرام شمس الهدى

عليك سلامي مدى سرمد



- المصدر: ط. دار الشرق الجديد (١٩٣٩).

العمل

[الرجز]

مجدُّ البلادِ بالشبابِ العاملينِ
والاجتهادِ للعلی نهجٌ مبين
هَبِّوا إذنْ واجنوا الثمنَ عزَّ الوطنُ
مدى السنينِ
إنَّ العملَ يُحيي الأملَ
سرُّ الوجودِ فيه نسودُ
في العالمينِ

ما للكسولِ قيمةٌ بين الملا
ولا الخمولِ سلَّمٌ إلى العلا
إنَّ الهممَ تبني الأممُ خيرُ الشيمِ
أنْ نعملَا
إنَّ العملَ يُحيي الأملَ
سرُّ الوجودِ فيه نسودُ
في العالمينِ

- المصدر: دار الشرق الجديد (لم يحدد تاريخه).

عزمُ الشبابِ قوَّةُ لا تُغلبُ
ولا يهابُ أيُّ هولٍ يركبُ
لا ينثنى أو يجتنى
 ما يطلبُ
للوطنِ
إنَّ العملُ يُحيي الأملُ
سرُّ الوجودِ فيه نسودُ
 في العالمينِ

نشيد الربيع^(*)

قد بدا الربيعُ
وصفا الزمانُ
هيا يا إخوانُ
نجمعُ الأزهارَ والأثمارَ في الوديانُ

طابتِ النفوسُ
عمّتِ الأفراحُ
زالتِ الأتراحُ
كلُّ طيرٍ فوق غصنٍ، يُنشدُ الألحانُ
كلُّ لحنٍ بعد لحنٍ، يبعثُ الأشجانُ
فلتغنَّ أعذبَ الألحانُ

بهجةُ القلوبُ
بلبلُ شادٍ
هَامَ بالوادي
ذو حنينٍ - كغريبٍ - حنٌّ للأوطانُ

(*) لم نستطع وضع هذا النشيد ضمن بحر من البحور الشعرية المعروفة، لأنه لا يلتزم بأي قواعد البحور المقررة، ولعله من أوائل قصائد الشاعر.

والأغاني كالأماني، تُؤنسُ الولهانُ
يا لهُ من بلبلٍ حيرانُ
ذلك الغديرُ
ماؤهُ صافي
وردهُ شافي
من أتاهُ - يا هناءُ - ردهُ نشوانُ
طاف يجري - بين زهرٍ - ناعسِ الأجفانُ
وتدلّت فوقه الأغصانُ.

هيا يا إخوانُ
إنه الربيعُ
بهجةُ الجميعِ
فاض نوراً وسروراً، فاتنَ الألوانِ
قُم لصفو، قُم بلهو، واطرحِ الأحزانُ
ولنحيّ سيّدَ الأزمانِ.

وما قهر الموت سوى امرئ
يخلف بين الناس ذكراً

شعر

كارثة نابلس

[الخفيف]

أدموعُ النساءِ والأطفالِ تجرح القلبَ أم دموعُ الرجالِ ؟
بلدٌ كان آمناً مطمئناً فرماه القضاءُ بالزلزالِ
هَزَّةٌ، إثرَ هَزَّةٍ تركتهُ طَللاً دارساً من الأطلالِ
مادتِ الأرضُ ثم شَبَّتْ وألقتْ ما على ظهرها من الأثقالِ
فتهاوت ذاتَ اليمينِ ديارُ لفظتْ أهلها، وذاتَ الشمالِ
بعجاجٍ تثيره تركَ الدُّدُ يا ظلاماً، وشمسُها في الزوالِ
فإذا الدورُ وهى إمّا قبورُ تحتها أهلُها، وإمّا خوالِ
وأرقُّ النسيمِ لو مرَّ بالقا ثم منها لدكُّه، فهو بالِ

لا تقفُ سائلاً بنابلسَ التُّكُّ لى، فما عندها مجيبُ سؤالِ
أرأيتَ الطيورَ تنفرَ ذعراً من خِفافٍ عن سَرَحِها وثقالِ
هكذا نُفِّرَتْ عن الدورِ أهلُ عَمَرُوها، إلى كهوفِ الجبالِ
أرسومُ؟ وكنَّ قبلُ صُروحاً كلُّ صَرَحٍ عاتٍ على الدهرِ عالِ
فالتحفنا السماءَ بعد سُتُورِ وشُفوفٍ مُذالَةٍ وجِبالِ
ولياي الأعراسِ يا لَهْفَ قلبي عطَلَتْها تقلُّباتُ الليالي^(١)

(١) كانت تقام في اللحظة التي وقع فيها الزلزال حفلة زفاف كبرى للصديق السيد حكمة المصري وإخوانه وأبناء عمه (أحمد طوقان) .

- المصدر : ط. دار الشرق الجديد (١٩٢٧) .

أضحك الدهرُ يا ابنَ ودِّي وأبكى يومَ لم يخطرِ الأسى في بال

رُبَّ وادٍ كأنَّه النَّهْرُ الأَخْ خُطراتُ النسيمِ ذاتُ اعتلالٍ
غشيتهُ الطيورُ مختلفاتٍ رائعاتِ الألوانِ والأشكالِ
صادحاتٍ على أرائكٍ في الأيِّ لكِ، يصلنَ الغدوَّ بالآصالِ
نُغماتُ أرسلتها ذاتُ تسجيدٍ معِ وكُرٍّ في اللحنِ واسترسالِ
يا طيورَ الوادي غليلُ فؤادي كان يشفيه برْدُ تلك الظلالِ
يا طيورَ الوادي رزايا بلادي مزجتُ لي الغناءَ بالإعوالِ
كان واديكِ للسرورِ مألًّا فغدا بالثبورِ شرًّا مألًّا
كان «عيبال»^(١) من صدى الأُنسِ يهتزُّ رُ، فماذا سمعتِ في عيبال ؟
كان «جرزيم»^(٢) مَنْزهاً والغواني في ظلالٍ منه وماءٍ زلالٍ
أدموعُ عيوئه؟ أصبأه زفراتُ الإرمالِ والإثكالِ ؟

يا يدَ الموتِ ما عهدتُ ألوفاً منك هُوجاً تمتدُّ للإغتيالِ
طغتِ الحربُ خمسةً ما دهتُنا كثوانٍ مرَّتْ بغيرِ قتالِ
ووجوهُ المنونِ شتَّى، فبانَت كلُّها عندَ هذه الأهوالِ
من وحييدٍ لأمِّه وأبيه جمعوه مُفرِّقَ الأوصالِ

(١) «عيبال»: جبل يكتنف نابلس من الجهة الشمالية (أحمد طوقان) .

وَمُكِبٌّ عَلَىٰ بَنِيهِ بِوَجْهِ	خَلَطَ الدَّمْعَ بِالثَّرَى الْمُنْهَالِ
وَفَتَاةٍ لَّاذَتْ بِحِقْوِي أَبِيهَا	جَزَعَاءٌ، وَهُوَ ضَارِعٌ بِابْتِهَالِ
وَحَرِيضٍ رَأَى ابْنَهُ يُسَلِّمُ الرُّو	حَ قَرِيباً مِنْهُ بَعِيدَ الْمُنَالِ ^(١)
وَمَرِيضٍ وَعُودٌ صُرِّخَ الْمَوُ	تِ، وَكَانُوا يَدْعُونَ بِالْإِبْلَالِ
خُسْفٍ الْبَيْتُ بِالْمَرِيضِ، وَمِنْ عَا	دَ، وَبِالْمَحْصَنَاتِ وَالْأَطْفَالِ
قَدْ رَأَيْنَا فِي لَحْظَةٍ وَسَمِعْنَا	كَيْفَ تَلْهَوُ الْمُنُونُ بِالْأَجَالِ
هَهْنَا نِسْوَةٌ جِيَاعٌ بِلَا مَاءٍ	وَيَّ، سَتَرْنَ الْجِسْمَ بِالْأَسْمَالِ
هَهْنَا أَسْرَةٌ تُهَاجِرُ وَالْغَمُ	مُ بَدِيلُ الْأَثَاثِ فَوْقَ الرِّحَالِ
هَهْنَا مُبْتَلَىٌ بِفَقْدِ ذَوِيهِ	هَهْنَا مُعْدِمٌ كَثِيرُ الْعِيَالِ
مَلَأَ الْحَزْنَ كُلَّ قَلْبٍ وَأَوْدَتْ	رِيحُ يَأْسٍ بِنُضْرَةِ الْأَمَالِ

دِخْلَاءَ الْبِلَادِ، إِنَّ فِلَسْطِينَ	نَ لَأَرْضٍ كَنُوزُهَا مِنْ نِكَالِ
تَبْرُهَا صَفْرَةٌ الرَّدَى فَخْذُوهُ	عَنْ بَنِيهَا، وَأَذِنُوا بِارْتِحَالِ
رَبِّ لُطْفًا ! فَقَدْ أَتَانَا نَذِيرٌ	بُوبَاءٍ مِنْ بَعْدِ هَذَا الْوَبَالِ
وَجَرَادٌ، وَكُلُّ أَتٍ قَرِيبٌ،	أَوْ بَعْدَ الْأَمَحَالِ مِنْ إِحْمَالِ ؟
رَبِّ إِنْ الْكَرُوبَ تَتَرَى عَلَيْنَا	حَسْبُنَا كَرْبُ هَجْرَةٍ وَاحْتِلَالِ

(١) الحريض: الساقط الذي لا يستطيع النهوض (أحمد طوقان) .

سرّ الخلود^(١)

[الكامل]

لي بالحياة تعلق وتشدُّد
والعمر ما بعد المدى فيسندُ
نفسُ أردده وأعـلم أنه
للموت بين جوانحي يتردُّ
ويَلمُّ بي ألمُ أخاتله بما
يصف الطبيبُ فيستكين ويخمد
ويسرّني أني نجوتُ من الأذى
ويلي كائي إن نجوتُ مُخلد
وكأنني ضللتُ سيرَ منيَّتي
إن الطريق إلى الفناء مُعبَّد
هيهات لست بخادع عين الردى
عين الردى يَفْظي وعينك ترقد
أنا أنت بعد الموت لا مُستعبدُ
حُرّاً فأحقّره ولا مُستعبد
ورأيتُ خزافَ الحياة يُذلّها
فيدوسّها، ويُعرّضها فينضد
هل كان سعدٌ كما علمت من الورى
فيموت؟ كلا إن سعدَ لأوحد
هبتُ عواصفُ نعيه مصريّةً
فإذا بها شريقيّة تتمرّد

(١) في رثاء سعد زغلول.

- المصدر : ط. دار القدس (١٩٢٧) .

وطفقتُ أسألُ يومَه فإذا بهِ
 يومٌ لَعَمْرُ الموتِ أبكمُ أسود
 وارتبّتُ في الأقدارِ ليلةً نعيه
 ولَحَدْتُ رَيْبِي يومَ قِيلَ سيُلْحَدُ
 فُجِعْتُ بنو مصرٍ بفقدِ زعيمها
 اللهُ أكبرُ أيُّ أروعَ تفقّد ؟
 يا سعدُ يا ابنَ النيلِ رثِّقْ ماءهُ
 تُكَلِّ البَنينَ، وهل كسعدٍ يُولد ؟
 مصرُ التي فقدتْكَ قلبُ خافقُ
 والشرقُ أضلَعُه التي تتوقّد
 وكأنها كبدٌ يُصرَعُها الأسي
 وكأنه لَمَّا تعلقها يد
 عبدتْكَ مصرُ وأنتَ باعثُ مجدها
 إن البطولة منذ كانت تُعبد
 ربُّ البطولةِ عبدُها قذفتُ بهِ
 شملَ الخطوبِ يُبيدها ويُبدد
 يلقي الخطوبَ وقد طغى تيارُها
 فإذا بهِ صخرٌ هنالك جَلُمَد
 وإذا بها لُججٌ تدافعُ موجَّها
 فيصدها فتَحورُ عنه ويصمد
 وإذا بهِ فوقَ الأكفِّ مُكَلَّلُ
 بالغارِ يُكبره الورى ويُمجّد
 وإذا به تحت الصفيحِ بمعبد
 والكعبةُ الغراءُ حيثُ المعبد
 وإذا به عينُ الخلودِ وسِرُّه
 تعنوله حُرُّ الوجوهِ وتسجد

يا سعدُ شأْنُكَ والبطولةُ أنها
تجثو لَدَيْكَ وأنتَ أنتَ السيّد
اللهُ، في سبعٍ وستين انطوتُ
والموتُ مَضَاءُ العزيمةِ يطرد
نصبَ الحبائلِ جمّةً فتقطّعتُ
وعهدتُهُ يرمي السهامَ فيُقصد
ما كان في المنفى بأخفق منه في
مصرٍ يريشُ سهامه ويُسدد
ورأى بطولتك التي صمدتُ له
وكأنها درعٌ عليك مُسرّد
فرمى حباله وحطم قوسه
وأتى سريرك خائفاً يترصد
فسقاك خمرةً كأسه فعرفتُها
وجرعتُها، «وأنا انتهيتُ» تُردّد
نعم انتهيتُ وإنما تلك القوى
نورٌ يفيض وجذوةٌ لا تهمد
فهدتُ سبيلَ الشرقِ في ظلماته
فجری يُغورُ في الحياة ويُنجد
وهوتُ بكلّكلها على أعدائها
وتفرّعتُ مصرُ لمن يتنمرد
الفرقدُ الهادي يُحبّبه الثرى
فمتى يؤوب؟ وأين يطلع فرقد؟
يا حسرتاه على البلاد يُقيمها
غدرُ المنيةِ بالرئيس ويُقعد
زفرائها زفرائُ مصرَ تصدّعتُ
من هولهنّ قلوبُنا والأكبِد

«عيبال» منذ تزلزلت أركانه
ما انفك يسعده نذاك ويسعد^(١)
عزيتته بمصابه ووصلته
حسبي عزائك نعمة لا تُجحد
جود ختمت به الحياة وإنه
لختام ألف صنيعه لك تحمد
ولقد نُعيت له فبات وحرته
عين تسيل به وعين تجمد
هذا ثرى مصر التي أحببتّها
نم هادئاً يا سعد طاب المرقد
تفديك أفئدة تودّ لو أنّها
أمست هي الرمس الذي تتوسد
وتودّ لو أن الأزهير التي
قد كلّوك بها عيون تسهد
الروح والريحان خير تحية
والسلسبيل - ولست تظماً - مورد
لم يخل منك الذكر في وطن وما
برحت لذكرك لوعة تتجدد

(١) يشير إلى إعانة سعد لمنكوبي الزلزال بنابلس.

حريق الشام

[السريع]

(١)
إلى نديم

لَهْفِي عَلَى الشَّامِ وَسُكَّانِهَا
لَهْفَةً ظَامِي الرُّوحِ حَرَّانِهَا
مَا أَحْرَقَتْهَا النَّارُ لَكُنَّمَا
ضُلُوعُ مَفْتُونٍ بَغْزَلَانِهَا
وَالْحُبُّ إِمَّا أُضْرِمَتْ نَارُهُ
تَسْمَعُهُ الدُّنْيَا بِأَذَانِهَا
«نَدِيمُ» أَخْبَرَنِي فَقَدْ رَاعَنِي
تَشَبُّهُ النَّارِ بِغَيْطَانِهَا
هَلْ سَرَتْ النَّارُ إِلَى «تَيْنِهَا»
وَتُوتِهَا الْغُضُّ وَرُمَّانِهَا^(٢)

(١) قد يكون نديم البارودي أحد زملاء إبراهيم في الجامعة الأميركية .

(٢) إشارة إلى قصيدة «حدايق الشام» وما ترمز إليه.

- المصدر : ط. دار القدس (١٩٢٨) .

رثاءُ نافع العبوشي

[البسيط]

لَهْفِي عَلَى «نافع» لو كان ينفعهُ
لهفي.. وهيها ما في الموت نَفَاعُ
قد شَيَّعُوهُ إِلَى قَبْرِ يَحْفَ بِهِ
مِنِ المَهَابَةِ أَتْبَاعُ وَأَشْيَاعُ
حوثُهُ أوطأنهُ في جوفها فغدا
كأنما هو قلبٌ وهْيَ أضلاعُ
يا موطناً، في ثراه غاب سادَتُهُ
لو كان يخجل من باعوك ما باعوا

- المصدر : ط. دار الشرق الجديد (١٩٢٩) .

صاحب غمدان

[الطويل]

رثاء العلامة المرحوم جبر ضومط
(أستاذ الآداب العربية في جامعة بيروت الأميركية)

«أغمدان»^(١) ما يُبكيك يا كعبة الهدى؟
وفيم الأسي يا هيكل الفضل والندى^(٢)؟
عذرتك لو أصبحت وحدك مبتلى
أغمدان صبراً لست بالخطب أوحدا
لئن مات يا غمدان «جبر» فشدماً
أعد رجلاً للحياة وجنّدا
أتبكي على «جبر» وحولك جندُه؟
عزاؤك فيمن راح حوك واغتنى
لبانك روح ما يزال يمدُّهم
وظلك ممدود على الدهر سرّمد
ويا من رأى أركانك الشَّم في الرُّبا
تبوأن من جنّات لبنان مقعدا
حنوت على أم اللغات فصنّتها
وكنّت لها الصرح المنيع الممرّدا
وكان لها «جبر» أميناً وحامياً
إذا ما بغى الباغي عليها أو اعتدى
وللعلم في لبنان شيدت معاهد
فلم تُبق أيدي الجهل منهنّ معهدا^(٣)

(١) غمدان اسم قصر الفقيه في جبل لبنان (أحمد طوقان) .

(٢) هيكل الفضل: الجامعة الأميركية.

(٣) الإشارة إلى إغلاق المدارس في لبنان أيام الانتداب الفرنسي (أحمد طوقان) .

- المصدر : ط. دار الشرق الجديد (١٩٣٠) .

وأقبحُ ممّا قد جنّوهُ اعتذارُهم
فقالوا: يضيعُ المالُ في رفعِها سُدَى
وقد زعموها تُنفِدُ المالَ كثرةً
فهل تركوا مالاً هناك فينفدا ؟ !
مصاييحُ إن هم أطفأوها فإنّها
حَبّابُ شُومٍ كم أضلّت من اهتدى
وما لَهْفِي إلّا على ساعةٍ بها
صدقنا العدا، لا بارك الله في العدا
فكم من يدٍ بيضاءٍ للعُربِ عندهم
«ومن لك بالحرّ الذي يحفظ اليدا»^(١)
لئن خلّفوا لبنانَ يخبِط في الدجى
فغمدانُ يا لبنانُ ما انفكّ فرقدا

طريقُ الردى مهما يطلّ يلقّه الردى
قصيراً، وإن يوعُر يجده مُمهّدا
وموتُ الفتى تحني الثمانون ظهره
كموت الفتى في ميعةِ العمرِ أمردا
حياتك يا إنسانُ شتّى ضروبُها
تحيط بها شتّى ضروبٍ من الردى
وما قهر الموتُ القويّ سوى امرئٍ
يُخلّف بين الناسِ ذِكْراً مُخلّدا

(٢) تضمين شطر بيت للمتنبى هو:

وما قَتَلَ الأحرارَ كالعفو عنهم
ومن لك بالحرّ الذي يحفظ اليدا

يُخَلِّفَ طَيْبَ الذِّكْرِ، لَا كَالَّذِي قَضَى
(١) وَخَلَّفَ وَعِداً فِي فَلَسْطِينَ أَنْكَدَا
فَأَبْكَى بِهِ قَوْماً، وَأَضْحَكَ أُمَّةً
أَبَى إِلَهُهُ إِلَّا أَنْ تَهَيِّمَ تَشْرِداً
وَلَكِنْ خَيْرَ النَّاسِ مَنْ كَفَّ شَرَّهُ
عَنِ النَّاسِ أَوْ أَغْنَى الْحَيَاةَ وَأَسْعَدَا
«كَجَبْرِ» وَ«عَبْدِ اللَّهِ» (٢) طَابَ ثَرَاهُمَا
وَلَا زَالَ فَوَاحِ الشَّذَى رَيْقَ الْبُذَى
عَلَى خَيْرِ مَا يَرْجُوهُ كَانَ كِلَاهُمَا
جِهَاداً وَإِسْعَاداً وَغَيْباً وَمَشْهَداً
وَهَامَا هَيَاماً فِي هَوَى «مُضَرِّيَّةٍ»
كَمَا انْقَطَعَا دَهراً لَهَا وَتَجَرَّداً
فَكَمْ نَشَرَا مِنْ ذَلِكَ الْحَسَنِ مَا انْطَوَى
وَكَمْ آيَةٍ فِي ذَلِكَ السَّحَرِ جَدَّداً
بِلَاغَتُهَا افْتَنَّتْ «بَجْبَرٍ» وَأَثَرَتْ
فَصَاحَتُهَا «الْبَسْتَانُ» ظِلًّا وَمُورِداً
إِذَا لَغَةُ عَزَّتْ - وَلَوْ ضِيمَ أَهْلُهَا -
فَقَدْ أَوْشَكَ اسْتِقْلَالُهُمْ أَنْ يُوطَّداً

«لَجَبْرِ» يَدٌ عِنْدِي تَأَلَّقَ كَالضَّحَى
وَقَلَّ لَهَا شُكراً رِثَائِيكَ مُنْشِداً
غَشِيَّتُكَ فِي دَارِ بَبِيرُوتَ الْبُذَى
وَلِلْأَدَبِ الْعَالِي فِئَاءٌ وَمُنْتَدَى

(١) الإشارة إلى اللورد بلفور، صاحب الوعد المشؤوم للصهاينة بإعطائهم فلسطين وطناً قومياً لهم (أحمد طوقان).

(٢) عبدالله البستاني صاحب قاموس (البستان) وقد توفي بعد الأستاذ ضومط بأيام قليلة (أحمد طوقان).

وحفّ ذويك البِشْرُ من كلّ جانبٍ
وبين أساريِرِ الوجوهِ تَرَدُّداً
وأنستَ بي من فيضِ نورِكَ لمحةً
فأعليتَ من شأني مُعيناً ومُرشدًا
لقد كنتَ بي برّاً فيا برّ والدٍ
توسّمَ خيراً في ابنه فتعهدًا
ويا حسرتا أضحي بنُعماك نائحاً
وكنْتُ بها من قبل حينٍ مُغرّداً
عجبتُ لها من همّةٍ كان منتهى
حياتِكَ فيها حافلاً مثلَ مُبتدأ
فيا لُغتي تيهي «بجبرٍ» على اللُغى
ويا وطني رددْ بآثاره الصّدَى

الملك حسين

[الرمل]

رحمةُ الله عليه إنَّه
غاله اليأسُ، وكان الأمل
ويحَ قومٍ خذلوه بعدما
أخذوا الميثاقَ ألا يُخذلوا
شيمةُ الغدرِ بمن ينصرهم
ذهبتْ يا «ابنَ عليٍّ» مثلاً

ألَ بيتِ المصطفى لم تبرحوا
تَردون الموتَ في ظلِّ العُلا
كادتِ الكأسُ التي في «قُبُرسٍ»^(١)
تُشبه الكأسَ التي في «كَربِلا»

(١) نفى الإنجليز الملك حسين إلى قبرص بعد تخليه عن ملك الحجاز لابنه علي، وبقي فيها منفياً ست سنوات (١٩٢٥-١٩٢١م).

نسر الملوك^(*)

[الرمل]

رثاء المغفور له صاحب الجلالة فيصل الأول ملك العراق
«ألقيت في حفلة الأربعين التي أقيمت في مدينة نابلس»

شَيَّعي الليلَ وقُومي استقبلي

طلعة الشمس وراء الكرمل

واخشعي، يوشك أن يغشى الحمى

يا فلسطينُ سئى من «فيصل»

يا لها من ديمةٍ يرفعها

منكبُ الأفق لعين المجتلي

نشأتُ أَمناً وظلاً وهدىً

كهْدى النجم لِقُلُك مُقبل

ما دنا حتى همى الدمعُ، فهل

«إيلياء» الغيث فوق الجبل؟^(١)

ذلك القُلُك الذي يحمله

مثلُه منذ جرى لم يحمل

(*) سافر المغفور له صاحب الجلالة الهاشمية فيصل الأول ملك العراق إلى أوروبا ولكنه اضطر للعودة إلى العراق بسبب فتنة الآشوريين، ثم استأنف السفر إلى أوروبا فوافاه الأجل المحتوم في سويسرا، وقد نقل جثمانه الطاهر على ظهر باخرة وجيء به إلى حيفا حيث كانت فلسطين عن بكرة أبيها بانتظاره، أما فتنة الآشوريين المشار إليها في هذه القصيدة فقد وقف منها المغفور له صاحب الجلالة الملك غازي - وكان ولياً للعهد - موقفاً صلباً ووقعت بينه وبين البريطان مشادة عنيفة بشأنها (أحمد طوقان) .
(١) في التوراة أن القحط عمّ فلسطين في أيام النبي «إيلياء» فدعا الله من جبل الكرمل أن يكشف الكرب

لو تَعَدَّى لُجَّةَ الْبَحْرِ بِهِ
خَاضَ فِي لُجَّةِ دَمْعٍ مُسْبِلٍ
وَانْطَوَى الْعَاصِفُ وَالْمَوْجُ لَهُ
فَاكْتَسَى الْبَحْرُ غَضُونَ الْجَدُولِ
وَإِذَا بِالْقُلُوكَ يَجْرِي بَيْنَهَا
كَمَرُورِ الطَّيْفِ بَيْنَ الْمُقْلِ
يُكْرِمُ الرَّاقِدَ يَدْرِي أَنَّهُ
يُؤْثِرُ الرَّاحَةَ وَالْقَلْبَ الْخَلِي
رَاقِدٌ يَنْعَمُ فِي ضَجْعَتِهِ
خَلَّفَ الدُّنْيَا بِهِ فِي شُغْلٍ
أَيْقِظُ اللَّوْعَةَ فِيهَا وَالْأَسَى
وَعَفَا بَيْنَهُمَا لَمْ يَحْفَلِ
مُطَبَّقَ الْأَجْفَانِ عَنْ جَفْنٍ طَغَى
جَامِحِ الدَّمْعِ وَجَفْنٍ مُجْفَلِ
مُطْمَئِنِّ الْقَلْبِ مَا تُزْعِجُهُ
زَفَرَاتُ كَالْغَضَا الْمَشْتَعَلِ



مَا الَّذِي أَعَدَدْتَ مِنْ طَيْبِ الْقَرَى
يَا فِلَسْطِينَ لَضَيْفٍ مُعْجَلٍ ؟
لَا أَرَى أَرْضاً نَلَاقِيهِ بِهَا
قَدْ أَضَاعَ الْأَرْضَ بَيْعُ السُّقْلِ
فَاسْتُرِي وَجْهَكَ لَا يَلْمَحْ عَلَى
صَفْحَتِيهِ الْخَزْيِ فَوْقَ الْخُجْلِ



أَكْرَمِي ضَيْفَكَ إِنَّ أَحْبَبْتَهُ
بِأَمَانِيهِ الْكِبَارِ الْخُفْلِ

لا تقومي حوله مَعُولَةً
من جلال المُلْكِ أَلَّا تُعْوَلِي
واسألي الباغين ماذا هَالَهُمْ
منه في أَكْفَانِهِ إِنَّ تَسْأَلِي
راعهم حَيًّا وَمَيِّتًا فَاتَّقُوا
هِمَّةً جَبَّارَةً لَمْ تُخْذَلْ
ورأوا في كلِّ قلبٍ حَوْلَهُ
جذوة العزم ونور الأمل
بطلٌ قد عاد من ميدانهِ
ظافراً يا مرحباً بالبطل



فارسُ «الشُقراء» يجلو باسمها
غمرةً ليلتُها ما تنجلي^(١)
صاحبُ التاجين^(٢) في موكبهِ
رايةُ المجدِ المنيعِ الأطول
من رأى «نسرَ الملوكِ» المرتجى
طار من عُقبانه في جحفل
وسواء في الأعاصير مضوا
أم مَضَوْا في نَفَحَاتِ الشَّمَالِ
كجنود الله طارت خيلُهم
يومَ بدرٍ في سماء القسطل

(١) لما أُعلنت الثورة العربية الكبرى كان المغفور له الملك فيصل الأول خارج الحجاز في زيارة أعدها له الأتراك وعندما صمم باعث النهضة العربية على إعلان الثورة ضد الأتراك بعث إلى ابنه (الأمير) فيصل ببرقية جاء فيها (أرسلوا الفرس الشُقراء) دعوة منه لابنه بالعودة إلى الحجاز فعاد (أحمد طوقان) .
(٢) تاج سورية وتاج العراق (أحمد طوقان) .

من رأى ناراً على عاصفة
هكذا انقضَّ غَضوباً من عل
هبط المعقل يخشى حَدَثاً
ويمينُ الله حِرْزُ المعقل^(١)
أَشِرتُ «أشور» حتى جاءها
أمرها بين الظُّبَا والأَسَل
كلُّ لَوْمٍ وعَقْـووقٍ دُونَهُ
فعلُ «شمعون» لئيمِ «الموصل»^(٢)
ثورةُ الغاضِبِ للحقِّ تُرى
هذه، أم شَغَبٌ من وُكُلٍ؟^(٣)
ذلك السيفُ الذي جَرَدُهُ
فضحَّته عينُ هذا الصَّيقلِ
يا لَعينٍ سهرتُ عن «فيصل»
تحرص المُلْكُ له ما تَأتلي
رأتِ الغدرَ فأَذاها، فهل
تحمل الضَّيْمَ ولما تغفل؟
خُلِقَ في ابنك «غازي» لم يكنْ
بغريبٍ عن قريبِ المنهل
لم يُطَقْ شِبْلُكَ ضيماً سيَّدي،
فاستمعْ للعذر قبل العَذَلِ
قد يكون الحزمُ في العزمِ وقد
يُكْتَبُ التوفيقُ للمستعجلِ

(١) يشير الشاعر إلى عودة المغفور له الملك فيصل إلى العراق إثر فتنة الآشوريين (أحمد طوقان).

(٢) شمعون هو زعيم الفتنة الآشورية (أحمد طوقان).

(٣) يتساءل الشاعر هل هذه ثورة قام بها الآشوريون من تلقاء أنفسهم أم فتنة حرضهم عليها الأجانب

غَضَبُهُ مِنْ رَجُلٍ فِي أُمَّةٍ
جَعَلَتْهُ أُمَّةً فِي رَجُلٍ



مِنْ هَذَا لِلْمِثْلِ الْأَعْلَى يَجِدُ
فِي بَنِي هَاشِمٍ أَعْلَى مِثْلٍ
أَيُّكُمْ يَا آلَ بَيْتِ الْمَصْطَفَى
مَا قَضَى مُسْتَشْهِدًا مِنْذُ «عَلِيٍّ» ؟
لَا أَحَاشِي بَيْنَكُمْ مِنْ أَحَدٍ
فَكُمِي الْحَرْبُ صَبْرًا وَالْأَعَزُّ
كُلُّكُمْ يَنْشَأُ قَلْبًا وَيدًا
وَلِسَانًا فِي جِهَادِ الْمَبْطُلِ
فَتَحِ الْخُلْدُ لَكُمْ هَيْكَلُهُ
فَإِذَا أَنْتُمْ بُدُورُ الْهَيْكَلِ
ضَمَّ جَبْرِيلُ جَنَاحِيهِ عَلَى
سُودِدِ مَحْضٍ وَثُبُلٍ أَمِثْلِ
وَأَطَافِ الْمَاءِ الْأَعْلَى بِمَنْ
عَزَمَهُ فِي الْحَقِّ عَزْمُ الرِّسْلِ
فَيَصِلُ شَيْدُ مُلْكَائِهِ لَمْ يَزَلْ
بِحِمَى اللَّهِ وَ«غَازِيٍّ» يَعْتَلِي
وَبِشَعْبِ بَذْلِ الرُّوحِ، وَمَنْ
يَنْشُدُ الْمُلْكَ وَطِيدًا يَبْذُلُ
لَيْسَ مِنْ «حَامٍ» لَكَيْدٍ يَنْبَرِي
فِيهِ أَوْ «مُنْتَدَبٍ» مُخْتَلِ

أَضْرَمُوا النَّارَ وَصَبُّوا فَوْقَهَا
دَمَهُمْ حُرّاً أَبِياً يَغْتَلِي
صَهَرُوا الْأَغْلَالَ وَانْصَاعُوا إِلَى
دَنَسِ الْأَرْضِ فَقَالُوا اغْتَسِلِي
وَإِذَا دَجَلَةٌ عَذِبٌ وَرَدُّهَا
وَإِذَا النَّخْلُ كَرِيمُ الْمَأْكَلِ
وَإِذَا بَغْدَادُ مِمَّا ازْدَهَرَتْ
حَلِيَّةُ التَّارِيخِ بَعْدَ الْعَطَلِ
وَوَقَاهَا اللَّهُ ، وَالْعَوْنُ بِهِ ،
دُولَ الْغَدْرِ وَغَدَرَ الدُّوَلِ

وردٌ يغيض وهجرة تتدفق^(*)

[الكامل]

رثاء المرحوم موسى كاظم باشا الحسيني

وجهُ القضيةِ من جهادك مُشرقٌ
وعلى جهادك من وقارك رونقٌ
للهِ قلبُك في الكهولةِ إنَّه
ترك الشبيبةَ في حياءٍ تُطرق
قلبُ وراءَ الشيبِ مُتقدُّ الصَّبَا
كالجمر تحت رماده يَتحرَّق
أقدمتَ حتى ظلُّ يعجب واجماً
جيشٌ من الأيام حولك مُحَدِّق
تلك الثمانون التي وقَّيَتْها
في نصفها عذرٌ لمن لا يلحق
لكن سبقتَ بها، فما لمقصِّر
سببٌ لمعذرةٍ به يتعلَّق
عمُرَتْها كالدوح ، ظاهرٌ عُوْدِه
صلُّبٌ وما ينفك غَضاً يُورِق



وطني أخاف عليك قوماً أصبحوا

يتساءلون: مَنْ الزعيمُ الأليق؟^(١)

(*) «منذ عشرة أيام كان الاحتفال الأربعين بوفاة موسى كاظم باشا الحسيني.. قالوا: يجب أن أرثيه. نعم، لأنه حضر جنازة عمي الحاج حافظ و(حضر) حفلة تأبينه.. أضيف إلى ذلك عنعنات عائلية حزبية يجب أن أحتفظ معها بشيء كثير من الموازنة». من رسالة الشاعر إلى عمر فروخ، وقد وردت الرسالة في كتاب «شاعران معاصران»، ص ١٣٩.

(١) يشير الشاعر إلى ما كان يتردد بين الناس من اختلاف على من سيخلف المرحوم موسى كاظم باشا الحسيني في رئاسة اللجنة التنفيذية العربية وهي التي كانت توجه الحركة الوطنية في فلسطين، ويُذكر القارئ أن المغفور له موسى كاظم باشا الحسيني هو والد شهيد فلسطين المرحوم عبدالقادر الحسيني طيب الله ثراهما (أحمد طوقان).

لا تفتحوا بابَ الشَّقَاقِ فَإِنَّهُ
بابٌ على سُودِ العَوَاقِبِ مُغْلَقٌ
واللهِ لا يُرجى الخَلاصُ وأمرُكم
فوضى، وشملُ العَاملينِ مُمَزَّقٌ
أين الصفوفُ تَنسَقَتُ فكأنما
هي حائِطٌ دونِ الهَوَانِ وخندقٌ؟
أين القلوبُ تَأَلَّفَتُ فتدافعتُ
تغشى اللهيبَ، وكلُّ قلبٍ فيلقُ؟
أين الأكفُ تصافحت وتساجلتُ
تبني وتصنع للخَلاصِ وتُنْفِقُ؟
أما الزعامَةُ فالحوادثُ أُمُّها
تُعْطَى على قَدْرِ الفِداءِ وتُرزَقُ



يا ابنَ البلادِ، وأنتَ سيِّدُ أرضِها
وسمائِها، إني عليك لَمَشْفِقٌ
انظرْ لعيشِكَ هل يسرُّكَ أَنَّهُ
وَرْدٌ يَغِيضُ وهِجْرَةٌ تَتَدَفَّقُ
ماذا يَرِدُ الظلمَ عنكَ، أحسرةٌ
أم زفرةٌ، أم عَبرةٌ تترقرقُ؟
أم بئكَ الشكوى تظنُّ بيَّانها
سِحْرًا، وحجَّتْها الضحى يتألق!

لا تلجأَنَّ إِذَا ظَلِمْتَ لِمَنْطِقٍ
فَهَنَّاكَ أَضِيعُ مَا يَكُونُ الْمَنْطِقُ



أَفْضَى الرَّئِيسُ إِلَى ظِلَالِ نَعِيمِهِ
وَارْتَاكِ قَلْبُ بِالْقَضِيَّةِ يَخْفِقُ
أَثَارُهُ مَلَأَ الْعَيُونَ، وَرُوحُهُ
مَلَأَ الصُّدُورَ ، وَذَكَرُهُ لَا يَخْلُقُ

تعزية البيت الهاشمي

إلى روح المغفور له الملك علي بن الحسين

[الطويل]

بني هاشم بين المنايا وبينكم
ترات^(١) وما تغفو المنايا عن الوثر
مضت «أبي الأشبال»^(٢) يستشهد الوغى
وراياته فيها على دول الغدر
وما نكبت عن «شاكِر»^(٣) بعد «فيصل»
وغالت «علياً»^(٤) واللواعج في الصدر
مقامات أقيال تغيب شمسوها
وغارات أبطال تُرد عن النصر
بني هاشم لا أخدمت جمراتكم
ولا أعمدت أسياكم نُوب الدهر
بأوجهكم تنفض حالكه الدجى
وأيمانكم ترفض مجفلة القطر
ونيطت «بعبد الله» آمال أمة
وفي ظل «غازي» عود أيامها الغر

(١) وردت الكلمة في طبعتي دار الشرق الجديد ودار القدس (ترات)، ولكنها وردت في كتاب : «شاعران

معاصران» لعمر فروخ «ترات»، وأرجح أن تكون الكلمة (ترات) لأنها أكثر انسجاماً مع السياق .

(٢) (أبو الأشبال) هو المغفور له صاحب الجلالة الملك حسين بن علي بن عون (أحمد طوقان).

(٣) (شاكِر) هو المغفور له الأمير شاكِر بن زيد من أبطال العرب (أحمد طوقان).

(٤) «علي» : هو علي بن الحسين ملك الحجاز .

رثاء الشيخ سعيد الكرّمي^(*)

[الخفيف]

أيها الموتُ، أيّ مجلسٍ أنسٍ
ووقارٍ عطّلتَ بعد سعيدٍ ؟
أدبٌ كالرياض في الحسن والطّي
ب، قريبٌ جناهُ للمستفيد
وكأنّي بعلمه البحرُ عمقاً
واتّساعاً، نغشاه عذبَ الورود
ونُفوسُ الجُلّاس تأنف، إلّا
عنده، أن تكون رهنَ القيود
بغزيرٍ من علمه ومُفيدٍ
وقريبٍ من حفظه وبعيدٍ
وغريبٍ من أنسه وعجيبٍ
وطريفٍ من ظرّفه وتليدٍ
جامعُ الفضل في الرواية والشّع
رٍ إلى الأصمعيّ، طبعُ «الوليد»^(١)
سَلَفٌ صالح، بقيّة قومٍ
بارك الله عهدهم في العهود

(*) هو المرحوم الشيخ سعيد الكرّمي (١٨٥٢ - ١٩٣٥م) قاضي قضاة إمارة شرق الأردن ومن زعماء فلسطين، وقد حكم عليه السفاح جمال باشا بالإعدام بعد أن ثبت عليه العمل لمصلحة القضية العربية ثم خُفّض حكم الإعدام إلى السجن المؤبد، وبقي رحمه الله مسجوناً في سجن دمشق حتى زوال الحكم العثماني عن البلاد، هذا وكان المرحوم الشيخ سعيد الكرّمي من أدياء فلسطين المعروفين، وكان راوية للشعر (أحمد طوقان).

(١) الوليد هو الشاعر البحّري المشهور (أحمد طوقان).

- المصدر : ط. دار الشرق الجديد (١٩٣٥) .

عرفوا الخيرَ، أكرموا فاعليه
جهلوا اللؤمَ جهلهم للجحود
وإذا ما تجرّدوا لعداءٍ
وقفوا بالعداء عند حدود..
ليت قومي تَخَلَّقوا بكريم الـ
خُلُقِ هذا، عند الخصام الشديد
ما أشدَّ افتقارنا لسمو الـ
خُلُقِ في هذه الليالي السُّود
ما لكم بعضُكم يمزّق بعضاً
أفرغتم من العدو اللدود^(١) ؟
اذهبوا في البلاد طولاً وعرضاً
وانظروا ما لخصمكم من جهود
والمسوا باليدين صرّحاً منيعاً
شاد أركانه بعزمٍ وطيد
شاده فوق مجدكم، وبناهُ
مُشمِخراً على رُفات الجدود
كلُّ هذا استفاده بين فوضى
وشِقّاقٍ، وذَلّةٍ، وهُجود
واشتغالٍ بالتُرّهات وحبِّ الدُّ
ذاتٍ عن نافعٍ عميمٍ مجيد
شهد الله أنّ تلك حياةٌ
فُضِّلَتْ فوقها حياةُ العبيد

(١) كانت النعرات الحزبية في فلسطين حينذاك على أشدها (أحمد طوقان).

أصبح الموتُ نعمةً يُحسد المَيِّتُ
تُعليها مؤسداً في الصعيد
وسعيدٌ من نال مثلَ «سعيد»
بعد دارِ الفناءِ دارَ الخلود
فهنيئاً لك النعيمُ مُقيماً
أنتَ فيه جارُ العزيزِ الحميد

رثاء أبي المكارم

[البسيط]

(١) في رثاء الشاعر العراقي عبدالمحسن الكاظمي

سَلْ جَنَّةَ الشَّعْرِ مَا أَلَوَى بدوحتها
حتى خلتُ من ظلالِ الحسَنِ والطَّيِّبِ
ومن تَصَدَّى يَرُدُّ السَّيْلَ مُزْدَحِماً
لَمَّا تَحَدَّرَ من شَمِّ الْأَهَاضِيِّ ؟
ومن أغار على تلك الخيام ضُحًى
يُبِيحُ تقويضَها من بعدِ تطنُّيبِ ؟
هي المنيَّةُ ما تنفكُ سَالِبَةً
فما تُغادر حياً غيرَ مسلُوبِ
حقُّ العروبةِ أن تأسى لشاعرها
وتذرفَ الدمعَ مُنْهَلاً بمسكوبِ
وتُرسلَ الزفرةَ الحَرَّى مُصَدَّعَةً
ضُلُوعَ كُلِّ عَمِيدِ القلبِ مكروبِ
مَنْ للقريض عريقاً في عروبتِه
يأتي بسَحَرَيْنِ من معنًى وتركيبِ ؟
ومَنْ لَغَرِّ القوافي وَهْيَ مُشْرِقَةٌ
«كأوجه البدويَّاتِ الرَّعَابِيَّ» ؟^(٢)
«أبا المكارم» قم في الحفل مرتجلاً
مَهْدَبَاتِكَ لَمْ تُصَقِّلْ بتهذيبِ^(٣)

(١) عبدالمحسن الكاظمي (١٨٦٥-١٩٣٥م) ولد في بغداد، واستهواه الأدب فحفظ شعراً كثيراً، واتصل بجمال الدين الأفغالي عند مروره بالعراق، طورد من السلطات العثمانية، فلجأ إلى الهند، ثم دخل مصر وأقام فيها بقية حياته.

(٢) تضمين شطر بيت للمتنبى هو: ما أوجه الحَصْرَ المستحسنات به كأوجه البدويَّاتِ الرَّعَابِيَّ

(٣) كان الشاعر الكاظمي رحمه الله يرتجل الشعر ارتجالاً كلما عنَّ له (أحمد طوقان) .

وَأَضْرَمَ النَّارَ إِنَّ الْقَوْمَ هَامِدَةٌ
قُلُوبُهُمْ، ذَلَّ قَلْبٌ غَيْرُ مَشْبُوبٍ
وَانْفَحْ إِبَاءَكَ فِي أَنْفَاهُمْ غَضَبًا
فَقَدْ تُحَرِّكُ أَصْنَامَ الْمُحَارِبِ
تَمَكَّنَ الذَّلُّ مِنْ قَوْمِي فَلَا عَجَبُ
أَلَّا يُبَالُوا بِتَقْرِيعِ وَتَأْنِيبِ
مَا أَشْرَفَ الْعَذَرَ لَوْ أَنَّ الْوَعَى نَثَرْتُ
أَشْلَاءَهُمْ بَيْنَ مَطْعُونٍ وَمَضْرُوبٍ
لَكِنْ دَهَنَتْهُمْ أَسَالِيبُ الْعُدَاةِ وَهُمْ
سَاهُونَ لَاهُونَ عَنْ تِلْكَ الْأَسَالِيبِ
وَيَقْنَعُونَ بِمَبْذُولٍ يُلَوِّحُهُ
مُسْتَعْمَرُوهُمْ بِتَبْعِيدِ وَتَقْرِيبِ
كَأَنَّهُمْ لَمْ يُشَيِّدْ مَجْدٌ أَوْلَهُمْ
عَلَى السِّيُوفِ وَأَطْرَافِ الْأَنْابِيبِ
يَا رَائِدًا كُلَّ أَرْضٍ أَهْلُهَا عَرَبٌ
يَجْتَازُهَا نَضْوُ تَصْعِيدٍ وَتَصَوِيبِ
وَمُنْشِدًا عَنْدهُمْ عِلْمًا وَمَعْرِفَةً
بِحَالِهِمْ بَيْنَ إِدْلَاجٍ وَتَأْوِيبِ
هَلْ جِئْتَ مِنْهُمْ أَنْسَاءً عَيْشُهُمْ رَغْدٌ ؟
أَمْ هَلْ نَزَلْتَ بِقُطْرٍ غَيْرٍ مِنْكَوْبِ ؟
أَمْ أَيُّ رَاعٍ بَلَا ذَنْبٍ يَجَاوِرُهُ
إِنْ لَمْ تَجِدْ رَاعِيًا شَرًّا مِنَ الذَّيْبِ ؟



تَبَوَّأَ الْكَاضِمِيُّ الْخُلْدَ مَنْزِلَةً
يَلْقَى مِنَ اللَّهِ فِيهَا خَيْرَ تَرْحِيبِ

«أبا المكارم» أشرف من علاك وقل
أرى فلسطين أم دنيا الأعاجيب ؟
وانظر إلينا وسرّح في الحمى بصراً
عن الهدى لم يكن يوماً بمحجوب
تجد قوياً وفى وعد الدخيل ولم
يكن لنا منه إلا وعد عُرقوب
ومرّ سبع وعشر في البلاد له
وحكمه مزج ترهيب وترغيب^(١)
قد تنتهي هذه الدنيا وفي يده
مصيرنا رهن تدريب وتجريب
حال أرى شرها في الناس مُنتشراً
وخيرها للمطايا والمحاسيب

هل في فلسطين بعد البؤس من دعة؟
أم للزمان ابتسام بعد تقطيب ؟
كم حَقَّق العزم والإعجال من أمل
وخاب قصد بأمهال وتقليب

(١) وردت في طبعة دار الشرق الجديد «تجريب»، وأظنها خطأ مطبعياً .

رثاء أديب منصور^(*)

[المتقارب]

عرفتُ «أديباً» فأحببتُهُ
وسرعان ما غاب هذا الحبيبُ
ويا لهَفي، الآنَ كَلَمْتُهُ
وفي لحظةٍ بات لا يستجيب
ويا حسرتي للردى، مَرَقْتُ
يداه رداءَ الشبابِ القشيب
وكان نضيراً على مَنْكَبَيْهِ
فأصبح منه سليباً خضيب
دعاني البكاءُ فلَبَّيْتُهُ
جَزوعاً عليه بدمعٍ صبيب
وسرتُ بموكبه خاشعاً
أُشَيِّعه بين حفلٍ مهيب
تُفيض أكاليله طيبها
ودون شمائله كلُّ طيب
وعدتُ عن القبرِ في العائدينَ
أمامي نحيبٌ وخلفي نحيب
وفي كلِّ نفسٍ له لوعةٌ
وفي كلِّ قلبٍ عليه لهيب

(*) كان المرحوم أديب منصور من موظفي محطة الإذاعة في القدس، وكان يعمل مع المرحوم إبراهيم، وفي أحد الأيام وضع مجرمون من الإرهابيين اليهود قنبلة موقوتة في مكاتب الإذاعة فانفجرت القنبلة مودية بحياة المرحوم أديب منصور، فقرأه إبراهيم بهذه القصيدة وألقاها في حفلة الأربعين التي أقيمت في جمعية الشبان المسيحية في القدس تخليداً لذكرى المرحوم أديب (أحمد طوقان).
- المصدر : ط. دار الشرق الجديد (١٩٣٩).

عرفتُ «أديباً» حميدَ الخصالِ
وأُحببتُ فيه الذكيَّ اللبيب
وروحاً على القلبِ مثلَ النسيمِ
يهبُ فيُنْعَشُ قلبَ الكئيبِ
وكان قريراً بآماله
فأدعو له اللهَ ألا تخيب
وكان يراها بعين الأريبِ
ولكنَّ للدهرِ عينَ الرقيبِ
ويكلاهما بالنشاطِ العجيبِ
وللدهرِ في الناسِ شأنٌ عجيب
تَناولَ ذاكَ الفؤادَ الخصبَ
فأصبحَ وهُوَ الفؤادُ الجديبِ
وحطَّمَ بنيانَ آمالهِ
بكفِّيَ لئيمِ خؤونِ رهيبي

عزاءً لكم، أيها الأقربون،
جُميلاً لنا فيه أوفى نصيب
لئن باعدتُ رَحِمَ بيننا
لقد كان فينا الحبيبَ القريب
بنا ما بكم من غليل الأسى
بقلبٍ ألحَّ عليه الوجيب
ومرَّ بنا يومُه «الأربعون»
يُجددُ لي ذكرَ يومِ عصيب

فَقَدْتُ فَتًى كَانَ فِي أُسْرَتِي
مَلَأَ الْقَرِيبَ وَعَوْنَ الْغَرِيبِ^(١)
أَبِيًّا عَلَى الضِّيمِ، عَفَّ الْيَدَيْنِ،
نَقَى السَّرِيرَةَ مِمَّا يُرِيبُ
فَذَاكَ ابْنُ عَمٍّ، وَهَذَا صَدِيقٌ
وَذَاكَ «عَفِيفٌ»، وَهَذَا «أَدِيبٌ»

(١) الإشارة إلى المرحوم ابن العم عفيف طوقان مهندس لواء القدس الذي قُتل بسبب انفجار لغم أرضي تحت سيارته وهو مسافر على طريق بيت جبرين في لواء الخليل (أحمد طوقان) .

وليكن مثل أبيه إننا
لم نُوفِّرْ عادةً في شعرنا

شعر الغزل

غرام بعد ملام

[المجتث]

مَرَّتْ تَمِيسُ بِبُرْدَةٍ	تَشْمُ فِي الرُّوضِ وَرْدَهُ
فَقُلْتُ: هَذَا غَزَالٌ	قَدْ زَيْنَ الْوَرْدُ خَدَّهُ
فَكَيْفَ يَهْبِطُ رَوْضاً	لَشَمِّهِ وَهُوَ عِنْدَهُ؟
أَصْغْتُ لِقَوْلِي وَجَاءَتْ	فَفَوَّحَ الزَّهْرُ نَدَّهُ!
وَالْغَصْنُ مَالٌ لَدِيهَا	كَمَنْ يَخْرُ لِسَجْدِهِ!
دَنْتُ وَقَالَتْ بَعْنَفٍ	وَالْعَيْنُ كَالْجَمْرِ حِدَّهُ:
مَنْ الَّذِي بَرِيَاظِي؟	فَاهْتَزَّ جَسْمِي بِشِدَّةٍ
وَقُلْتُ: «رَفَقاً بِحَالِي	فَالْحُبُّ أَدْرَكَ حَدَّهُ
قَلْبِي مَضَى مِنْ ضُلُوعِي	فَجِئْتُ كِي أُسْتَرِدَّهُ»

قَالَتْ: «فَوَادُكَ هَذَا
لَقَدْ شَكَكَ لِحَبٍّ
فَكَيْفَ - وَهُوَ وَدُودٌ -
مَا فَارَقَ الصَّدْرَ يَوْمًا

عِنْدِي ، وَأَحْسَنْتُ وَرْدَهُ
بِالنَّارِ أَحْرَقَ جِلْدَهُ
لَمْ تَحْتَرَمْ فِيهِ وَدَّهُ؟
لَوْ كُنْتُ أَحْكَمْتُ وَصْدَهُ»

فَقُلْتُ: «يَا هِنْدُ صَدْرِي
لُومِي عَيْوَنَكَ لِمَا
إِنْ ذَاكَ فَرَّ فَوَادِي
فَاسْتَضَحَكَتْ هِنْدُ تِيهَاً
مَالَتْ عَلَيَّ بِخَدٍّ
قَبَّلْتُهَا فَاعْتَرَانِي
شَكَرْتُهَا... وَاتَّفَقْنَا

مَا كَانَ أَحْكَمَ سَدَّهُ!
مَكَّنْتِهَا أَنْ تَقْدَهُ!
عَلَيْكَ يَنْشُرُ حَمْدَهُ
وَأَسْرَعْتُ كِي تَرِدَهُ
بِاللِّثَمِ أَشْتَارَ شَهْدَهُ
لِعَوْدَةِ الْقَلْبِ رِعْدَهُ
أَنْ نَلْتَقِيَ بَعْدَ مُدَّةٍ

- المصدر: مجلة «المعرض»، ٥، ٨، ١٩٢٤.

مصدر الشاعرية

[الخفيف]

حمل الحاجبُ المزججُ [سلباً] [ووجوباً] أهدابهُ الشاذنيّه
فرايينا، الأهدابُ، [مُنْجذِبَاتٍ] تلكُ حالُ [الضِدِّينِ] في [الجاذبيّه]
قد دعتُهُ العلومُ [مِغْناطيساً] ودعونا مِصدرَ الشاعريّه

- المصدر: مجلة «العروة الوثقى» - بيروت - يناير - ١٩٢٥ .

عارضِي نَوْحِي بسجع

[مشطور الرمل]

عصفتْ بالأمس رِيحٌ صرصرُ
فالتوى غُصْنُ شَبَابِي الأخضر
ورأيت الزهرَ عنه يُنْثَرُ
مثلما يُنْثَرُ دَمِي

يا شَبَابِي أنتَ أحرى بدمي
لا بدمعي أو شكَاياتِ فمي
خلّ عني... فصِحَابِي لُؤْمِي
ملأوا باللوم سمعي

سئموا نَوْحِي وعافوا منطقي
هم ذوو أفئدةٍ لم تخفق
أنا - إنْ يدروا - بحتفي ملتق
وغداً يهدأ روعي

وطأة الليلِ على قلبي الحزينُ
مزجتْ منه بأنفاسي أنين
ماله وقعُ بسمعِ العالمين
وبسمعي أيّ وقع

- المصدر : مجلة «المعرض» - بيروت - ١٩٢٥/٢/٢٢م.

أنتِ يا ورقاء من دون الأنعام
تسمعين النوحَ مني في الظلام
فإذا ما نُحِتُ يا رمزَ السلام
عارضني نوحى بسجّع

عيناى مطبقتان

[مجزوء الكامل]

القلبُ متَّصلُ الوجيد
ف ، تكاد تسحقه ضلوعي
والليلُ ما رمتُ الكرى
إلا حبانى بالدموع
والفجرُ في مهوى سَحي
ق ، لا يُبشِّرُ بالطلوع
والكونُ نائمٌ والفكرُ هائمٌ
يتلمَّسُ الحسناءَ فا
تننتي بهاتيك الربوع



عيناى مطبقتان... لـ
كِنِّي أرى تلك النجوم
مُتألِّقاتٍ في الفضاء
ء ، على غياهبه تعوم
فإخال فاتنتي تَمُتُ
نَعُ بينهنَّ بما تروم
فأَجِيلُ عَيْنَا تنهلُ حزنًا
فأرى النجومَ تريدُ أنْ
تنقضَّ فوقى كالرُّجوم



- المصدر : مجلة «العروة الوثقى» - بيروت - ١٩٢٥ .

لا شيء يَخْتَرِقُ السَّكْو
نَ، سوى هَدِيلِ حمائمِي
حملته لي بعضُ النِّسَا
ثم في الظلام القَـمَاتِمِ
فوددتُ لو يُشَقِّى الفؤَا
دُ من الأَسَى المِـتَقَادِمِ
فإذا الهديلُ لا يَستَمِيلُ
قلباً يسير به الهوى
في لُجَّة المِـتَلَاطِمِ



عَبَثاً أُخَفِّفَ عَنْ فؤَا
دِ، لا يَـقَرُّ لَه قَرَارُ
عَبَثاً أَعْلَلَه بُلْفُ
يَاهَا، وقد شَطَّ المِزَارُ
حَذَرْتُهُ حُبِّاً عَوَا
قَبْهُ اللِّوَاعِجُ والدمارُ
لَهُ قَلْبٌ أَغْوَاهُ حُبُّ
فإذا به جُمُّ العِثَا
رِ، ويستجير ولا يُجَارُ



شوق وعتاب

[الخفيف]

كيف أغويتني وأمعنت صدًا
يا حبيباً أعطى قليلاً وأكدى
ودَّ قلبي لو يجهل الحبَّ لما
أنَّ راه يحول سَقْماً ووَجْداً
وشكت أضلعي من القلب ناراً
هل عهدن الهوى سلاماً وبرداً؟!



طلع الفجرُ باسماء فتأمل
بنجوم الدجى ترئج سُهْداً
هي مثلي حيرى وعمَّ قريب
تتوارى مع الظلام وتهدا
لك حمْلَتْها رسالة شوقٍ
وعتاب، أظنَّها لا تُؤدى



قلت للطير حين أصبح يشدو:
«أيها الطير عم صباحاً!» فرداً
ثم غننى أنشودةً عن حبيب
لم يكن ظالماً ولا خان عهداً
أضرمَ الذكريات بي ثم ولَّى
لا رماك الصيَّاد... أسرفت جداً



- المصدر : مجلة «المعرض» - بيروت - ١٦/٥/١٩٢٦م.

جمع الله في مُحيا حبيبي
أقحواناً، ويسميناً، ووردا
وابتساماً لا يهجر الثغر إلا
عند قولي له: أتنجز وعداً؟
لا عرفت الوفا، ولا كان وعد
يجعل البسمة الوديعه حِقدًا

عند شبّاكي

[مجزوء الوافر]

بُكوري عند شُبّاكي لأنشَقَ طيِّبَ رِيّاكِ
ولا سلوى سوى نجوى أُسرُّ بها لغناك
أُسرِّحُ نحوه طَرْفًا أمْنٌ فيه بمراكَ
وطَرْفًا في قرار «الدّا» موعوداً بلقياك
تمرُّ عليّ ساعاتُ أشيِّعها بذكراك
وأخشى أن يرفّ الجَفُّ نُّ ، يحرمني مُحياك



طلعتُ ، فما لقلبي شا ء ، يفضحني فَسَمّاك
صباحَ النور من دَنَفٍ تَنهَّدَ ، ثُمَّ حياك
سلامَ الرُّوحِ والرَّيحا ن ، أنتِ نعيمُ دنياك
مررتُ ، وقيل مرّ النّاءُ س ، هل أبصرتُ إلّاك؟



وداعاً يا مُعدَّبتي وعينُ الله ترعاك
وداعَ سُويعَةٍ تمضي على جمرٍ والِقاك
وأنسى ليلةً سلفتُ وطَرْفي ساهرُ باك

- المصدر : ط. دار الشرق الجديد (١٩٢٦).

ومضجع أضلعٍ مُنِيتُ بنيَـرانٍ وأشواك



شكرتُ اللهَ أنَّ «الدَّاءَ» ر^(١)، تجمعنِي وإيَّاكَ
وتُلَقِّينَ السَّوْأَلَ عَلَيَّ يَ، في أمرٍ تَعِدُّكَ
وحيـنَ أُجِيبُ تَمْنَحْنِي ابتسَامَ الشُّكْرِ عَيْنَاكَ



هَجَرْتُ «الدَّارَ» أَضْرِبُ فِي فِضَاءِ اللهِ لَوْلَاكَ
ولولا رَحْمَةُ الْعَيْنَيْنِ مِن قَلْبَاءَ بَاتِ يَهُوَاكَ
وعطفٌ مِن لَدُنْكَ عَلَيَّ أَسَى فِي النَفْسِ فَتَّكَ
إِذْ لَرَأَيْتَنِي يَوْمًا صَرِيحاً تَحْتَ شُبَّاكِ



(١) المقصود بالدار: الجامعة الأميركية، والقصيدة في فتاة فلسطينية تدعى «ماري صفوري» أحبها الشاعر، وكانت طالبة في الجامعة الأميركية.

في المكتبة

وغيريرة في المكتبة بجمالها مُتنقِّبة
أبصرتها عند الصبا ح الغضُّ تُشبهه كوكبه
جلستُ لتقرأ أو لتد كتب ما المعلوم رثبه
فدنوتُ أسترُقُّ الخطى حتى جلستُ بمقرِّبه
وحبستُ، حتى لا أرى، أنفاسي المتلهَّبه
ونهيْتُ قلبي عن خُفو قِ فاضح، فتجنَّبه



راقبتُها، فشهدتُ أنْ نَ اللهَ أجزَلَ في الهبه
حملَ الثرى منها على نُورِ اليدين وقَلَّبه
وسقاه في الفردوس مَخْ ثُومَ الرحيقِ ورُكَّبه
فإذا بها مَلَكٌ تَنَزَّ زَلَ للقلوب المتعبه
يا ليت حظَّ كتابها لضلوعي المتعذِّبه
حُضِنَتْه تقرأ ما حوى وحنْتُ عليه وما انتبه
فإذا انتهى وجهٌ ونا لَ ذكاؤُها ما استوعبه
سمحتُ لأنمُلها^(١) الجمي لَ بريقها كي تَقْلِبَه



(١) «أنمل بمعنى أنملة لم يرد في اللغة» من كتاب: «شاعران معاصران» لعمر فروخ، ص ٨٧.

وسمعتُ وَهْيَ تَغْمَغُمُ الدُّ	كَلِمَاتِ نَجْوَى مُطَرِّبِهِ
ورأيتُ في الفمِ بَدْعَةً	خَالِبَةً مُسْتَعَذِبَةً
إحدى الثَنَايَا النِّيِّرا	تِ، بَدَتْ، وَلَيْسَ لَهَا شَبَهُ
مَثْلُومَةً مِنْ طَرْفِهَا	لَا تَحْسَبَنَّهَا مَثْلَبَهُ
هي، لو علمتَ، من المحَا	سَنِ عِنْدَ أَرْفَعِ مَرْتَبِهِ
هي مصدرُ «السَّيِّنَاتِ» تُكْدُ	سَبَبُهَا صَدَى، مَا أَعَذِبَهُ



وَأَمَّا وَقَلْبٍ قَدْ رَأَتْ	فِي السَّاجِدِينَ تَقْلُوبَهُ
صَلَّى لَجَبَّارِ الْجَمَا	لِ، وَلَا يَزَالُ مُعَذِّبَهُ
خَفَقَانُهُ مَتَوَاصِلٌ	وَاللَّيْلُ يَنْشُرُ غِيَهَبَهُ
مُتَعَذِّبٌ بِنَهَارِهِ	حَتَّى يَزُورَ الْمَكْتَبَهُ
وَأَمَّا وَعَيْنُكَ وَالْقُوَى السُّدُ	سِحْرِيَّةِ الْمُتَحَجِّبِهِ
مَا رُمْتُ أَكْثَرَ مِنْ حَدِيدٍ	ثِ، طَيِّبٌ تَغْرِكُ طَيِّبَهُ
وَأُرُومُ سِنَّكَ ضَاحِكًا	حَتَّى يَلُوحَ وَأَرْقُبَهُ



سلام عليك

[المتقارب]

سلامٌ عليكِ ولو شقَّني
من الوجد واليأس ما شقَّني
أُداري غرامكِ جهدَ الحليمِ
فما يستريح وما أنثني
وقلبي كما يشتهيهِ الهوى
لغير جمالكِ لم يُذعنِ
خَفوقٌ ولو شئتِ سَكْنَتِ
ولو شاء غيركِ لم يسكنِ
سقيماً ولو شئتِ أبرأتهِ
بعطفكِ من دائهِ المزمِنِ
إذا كنتِ منه تجاه اليمينِ
يخفُّ إلى جانبي الأيمنِ
ألا إنه مُرهقٌ يستجيرُ
فتترثي له أدمعُ الأعينِ

- المصدر: ط . دار القدس (١٩٢٦).

نزيهة

[المجتث]

رأيتُها ألفَ مرّةٍ	فلم تجد لي بنظرةٍ
حتى غدوتُ وما لي	على التجلُّدِ قُدره
فباح بالحبِّ دمي	ونلتُ بالحبِّ شهره
فهل أتاكَ حديثي	ففيه للغيدِ عبره ؟
يا غادةً في جبين الدُّ	جَمالِ واللفظِ غُره
متى تجودين للنَّفْ	سِ بالهنا والمسرّه ؟
عجبتُ للحبِّ إني	أرى الحسانَ بكثره
خُلِقْنَ من طلعة الفَجْ	رٍ ، وهُو يفتح صدره
فما ابتغيتُ وعيْنِي	كِ من هـواهنَّ ذره
لكن لحُسنكِ والذِّ	له ، فتَحَ الحبُّ زهره
أنتِ الحديثُ وشُغلي	لدى العشيِّ وبُكره
لم تغربي يا ذُكاء الدُّ	جَمالِ عني فُتره
فهل لقلبٍ كئيبٍ	يا مُنيّتي من مَبرّه ؟

- المصدر: ط . دار القدس (١٩٢٧).

[الخفيف]

أطفئي غلّتي بقُبلة نَعْرِ
كوثريّ اللَّمى بِرودِ الثنايا
وابسمي لي لعلّ فيضاً من النُّو
ن، يُريني من الضلال هُدايا
أنتِ لا تعلمين ما لوعة الوجْد
د، ألا إنها نذيرُ المنايا !
أنتِ لا تدركين ما يصنع الشُّو
ق، إذا هبَّ عاصفاً بالحنايا
إن في أضلعي لَناراً تَلْظِي
طار من هولها فؤادي شظايا

- المصدر: «شاعران معاصران»، د. عمر فروخ (١٩٢٧).

معين الجمال

أَسْعِدْنِي بِزُورَةٍ أَوْ عِدْنِي طَالَ عَهْدِي بِلَوْعَتِي وَحْنِي
أَدْعِي الْهَجَرَ كَاذِباً وَغِرَامِي فِي قَرَارٍ مِنَ الْفَوَادِ مَكِينِ
غِيضَ دَمْعِي وَكَانَ رِيّاً لِرُوحِي مِنْ غَلِيلِ الْأَسَى فَمَنْ يَرُونِي
يَا مَعِينَ الْجَمَالَ أَذْبَلْتَ قَلْبِي أَنْعَشِينِي بِنَهْلَةٍ أَنْعَشِينِي
يَا مَعِينَ الْجَمَالَ، قَطْرَةَ مَاءٍ أَوْ أَفِيضِي ابْتِسَامَةً تُحْيِينِي



ضَجَعْتِي فِي الرِّيَاضِ بَيْنَ الرِّيحِ مِنْ قَرِيباً مِنْ مَاءِ عَيْنِ مَعِينِ
فَتَنَاوَلْتُ أَفْحَوَاناً نَدِيّاً وَنَدَاهُ كَاللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ
وَنَزَعْتُ الْأَوْرَاقَ عَنْهَا تَبَاعاً أَتَحَرَّى شَكِّي بِهَا وَيَقِينِي
فَإِذَا وَافَقْتُ مَنَائِي تَفَاءُداً تَ، وَإِلَّا كَذَبْتُ فِيهَا ظَنُونِي
ذَاكَ لَهْوٌ فِيهِ الْعِزَاءُ لِنَفْسِي فَاضْحَكِي مِنْ تَعَلُّلِي وَجَنُونِي



طُفْتُ بَيْنَ الْأَزْهَارِ، وَالنَّشْرُ مِنْ نَشْدٍ رَكَ فِيهَا وَدَقَّةُ التَّكْوِينِ
قَطَرَاتُ النَّدَى عَلَيْهَا دَمُوعِي أَنْتِ أَدْرِي مِنِّي بِمَا يُبْكِينِي
أَنْتَقِي طَاقَةً وَذَوْقَكَ يَهْدِي نِي إِلَى الرَّائِعَاتِ فِي التَّلْوِينِ
يَا حَيَاةَ الْقُلُوبِ وَيْلِي عَلَيْهَا ذَبَلْتُ مِنْ بَقَائِهَا فِي يَمِينِي

- المصدر : ط. دار الشرق الجديد (١٩٢٨).

فخُذِيهَا عَسَى تُرَدُّ إِلَيْهَا الرُّوحُ، إِنِّي أَخَافُ مَرَأَى الْمُنُونِ



لَ، وَمَا أَبْعَدَ الْكَرَى عَنْ جَفُونِي	مَا أَشَدَّ الْهَوَى، وَمَا أَطْوَلَ اللَّيْ
لِخِيَالٍ سَرَى فَأَذْكَى شَجُونِي	رُبَّ نَكْرَى - وَمَا هَجَعْتُ - اسْتَحَالَتْ
فِي الدِّيَاجِي كَمَا تَلَاشَى أُنِينِي	ضَمَمْنِي، ثُمَّ رَدَّنِي وَتَلَاشَى
لِي دُعْرًا بِصَرْخَةٍ فِي السُّكُونِ	رَاعَنِي أَمْرُهُ فَتَنَّبَهْتُ مَنْ حَوْ
تُ، فَنَامُوا وَلِلْأَسَى خَلْفُونِي	سَالُونِي فَلَمْ أُجِبْ، بَلْ تَنَاوَمْ



وَانْجَلَى اللَّيْلُ عَنْ صَبَاحٍ مُبِينِ	مَرْحَبًا بِالْحَيَاةِ عَادَ صَدَاها
تَتَغَنَّى فِي مَائَسَاتِ الْغُصُونِ	سُفْرَاءُ الصَّبَاحِ نُورٌ وَطِيرٌ
رُشْجِي الْغِنَاءِ عَذْبُ الْمَجُونِ	وَنَسِيمٌ يَدَاعِبُ الدَّوْحَ، وَالْبَحْ
وَجَمَالُ الْجِبَالِ مَلَأَ الْعُيُونِ	وَجَلَالَ الْوُدَيَانِ مَلَأَ الْحَنَايَا
لِ، وَثَلَجَ نَقَاؤُهُ كَالْجَبِينِ	فِي اخْضِرَارٍ كَأَنَّهُ أَمْلِي فِي



وَمُعِينِي إِنْ لَمْ أَجِدْ مِنْ مُعِينِ	إِنَّمَا هَذِهِ الطَّبِيعَةُ أُنْسِي
أَبْدَعَتْهُ يَمِينُهَا مِنْ فَنُونِ	أَتَقَرَّى جَمَالَ ذَاتِكَ فِي مَا
رَ وَطِيبِ الْوُرُودِ وَالْيَاسْمِينِ	فِي الْغَدِيرِ الصَّافِي، وَأَنْشُودَةَ الطَّيِّ
أُسْعِدِينِي بِزُورَةٍ أَوْ عِدِينِي	غَيْرَ أَنِّي مَا ازْدَدْتُ إِلَّا حَنِينًا



حملتني نحو الحمى أشجاني

[الخفيف]

نَبَّهْتُني صَوَادِحُ الْأَطْيَارِ

تَتَغَنَّى عَلَى ذُرَى الْأَشْجَارِ

وَتَجَلَّتْ مَلِيكَهُ الْأَنْوَارِ

فَوْقَ عَرْشِ الصَّبَاحِ تَرشُّفُ طَلَأٌ مِنْ ثَغُورِ الْأَقْصَاحِ عَلَا وَنَهْلَا

فَتَمَنَّيْتُ لَوْ شَقِيقَةً رُوحِي بَاكَرْتُني إِلَى جَنَى الْأَزْهَارِ



أَنَا فِي رَوْضَةٍ أَبَاحَتْ جَنَاهَا

كُلُّ ذِي صَبُوءٍ كُنَّيْبٍ أَتَاهَا

هَا هُنَا وَرْدَةٌ يَفُوحُ شَذَاهَا

هَا هُنَا نَرْجِسٌ يُحْيِي الْأَقْصَا وَالِدَوَالِي تُعَانِقُ التُّفَاحَا

بَادِرِي نَسْتَبِقُ مَعًا وَارِفَ الظِّلِّ لِي، وَنَقْضِي النَّهَارَ بَعْدَ النَّهَارِ



ضَحَكِ الرُّوضُ حِينَ فَاضَتْ عَيُونُهُ

وَتَرَامِي فَوْقَ الثَّرَى يَاسْمِينُهُ

هَامَ صَفْصَافُهُ فَنَاحَتْ غُصُونُهُ

– المصدر: ط. دار الشرق الجديد (١٩٢٨).

فسواء هيامه وهيامي غير أني أبكي على أيامي
فجعتني بك النوى حين شبت لوعة في الضلوع ذات أوار



مرّ عامٌ أخفي عن الناس ما بي
من حنينٍ مُبرحٍ وعذابٍ
ولقد يسألون فيم اكتئابي
ويحهم كيف يبصرون دموعي
ثم لا يدركون ما بضلوعي ؟
ولقد يكتّم المحبُّ هواه
فتبوح الدُموعُ بالأسرار



ذاكرُ أنتَ عهدنا يا غديرُ
يوم كنّا والعيشُ غصُّ نضير
وعلى ضفتيك كنّا نسير
فرويتَ الحديثَ عنا شُجوناً وأخذنا عليك ألا تخونا
فأعدّ لي ذاك الحديثَ فإني أذهلتني النوى عن التذكّار



ذاكرُ أنتَ والأزاهيرُ تندي
كم نظمنا منهنّ للجيد عِقدًا
فإذا هبتِ الصُّبا فاح نداءً
وانقضى اللهو مؤذناً بالفراق
فدوى العِقدُ من طويل العناق

لم يزلْ خيطُهُ يلوحُ وجسمي يتوارى سَقْماً عن الأبصارِ



يا ابنةَ الأيكِ غَرْدِي أو فَنُوحِي
فعسى يَأْمُ الهديلُ جروحي
نَقْدَ الصبرِ عن شقيقةِ رُوحِي
فاحملي هذه الرسالة عَنِّي
واسجعي إنْ أَتَيْتِهَا فوق غُصْنِ
فَهْيُ عند الأصيلِ تُصغي إلى الطَّيْرِ
رِ عساها تروح بالأخبارِ



حملتني نحو الحمى أشجاني
فتَهَيَّأتُ من جلال المكانِ
وإذا فوق مقلتي يدان
فتلمستُ نضرةً ونعيماً
وَتَعَرَّفْتُ ما لثمتُ قديماً
قلتُ يا مرحباً وقَبِلْتُ كَفْأً
أَنْزَلْتَنِي ضيفاً بأكرم دارِ



خطرأتُ النسيم في واديكِ
صَبَّحتُني بقبلةٍ من فيكِ
ثم عادت بقبلةٍ تُشفيكِ
فسلاماً يا وادي الرُّمَّانِ
فُزْتُ بِالرُّوحِ منك والريِّحانِ
واحنيني إلى ديارك والرُّمِّ
مَـانُ دانٍ يُظِلُّ أهلَ الديارِ



منديل حسناء

[البسيط]

ما رونقُ الفجرِ والظلماءُ عاكفةُ
إذا تَنَفَّسَ نُوراً في حناياها
فهبتِ الطيرُ تدعو الطيرَ مُرسِلةُ
من الأغاريِدِ أحلاها وأشجّاهها
ولا الورودُ كأمثالِ الخدودِ وقد
تفتّحتْ في الرياضِ الفيحِ تغشاها
كلا ولا قطراتُ الطلِّ كامنَةٌ
في الأقحوانِ وأمُّ الشَّهْدِ ترعاها
يوماً بأجملَ من «ميٍّ» إذا ابتسمتْ
تحت النُّقابِ ولاحت لي ثناياها
غداً تفارقني «ميٍّ» وفي كبدي
شوقٌ أكابده أهاً وأواها

- المصدر: ط. دار القدس (١٩٢٨).

كيف عيناك يا عمر

كيفَ عيناكَ يا «عُمَرُ» ^(١)	أنا أدماهما السهرُ
وعَصِيٌّ من الدُّمُو	ع طغى الهمُّ فأنهمر
وخِيَالُ الْمَ بي	من حبيبٍ لدى السَّحر
طاف حيناً بمضجعي	وتوارى عن النظر
أتبعته جوانيحي	مهجتي عندما نَفَر



أين «ليلي» على شوا	طىءَ بيروتَ يا عمر
كان من فَرَعِها الظلا	مُ ومن وجهها القمر
وسميري مُقْبَلٌ	طيبُ اللَّثَمِ والسمر
ومُدامي وقد ظفر	تُ بها نشوةُ الظفر



مَنْ مُعِيدُ مَسَرَّتِي	والزمانَ الذي غبر
حين لم أفتكر بِهَجْ	رٍ ، ولا الهاجرُ افتكر
ولقد قيل في الحيا	ة ، هي اللمحُ بالبصر
هكذا يذهب السُّرو	رُ سريعاً إذا حضر



(١) قصيدة بعث بها الشاعر إلى صديقه عمر فروخ وكان يشكو ألماً في عينيه.

حيرة

[الكامل]

وقد رآها مستلقية نائمة

فأنقَرَ الأحلامَ من عينيها	ما كنتُ أرغبُ أن أُسميَ قاسياً
ويدي تحاذرُ أن تُمدَّ إليها	والشوقُ يدفعني إلى إيقاظها
فأقامَ غيرَ مُفارقٍ جفنيها	وكانما شَعَرَ الرقَّادُ بنعمةٍ
مرأى تَقْلُبُها على جنبِها ؟	ويلٌ لقلبي ، كيف لم يفتكُ بهِ
يا شوقٌ ويحك لا ترُعْ نهديها	وتنهَّدتُ ممَّا تُكنُّ ضلوعُها
ينكبُّ مُرْتَشِفاً ندى خديها	حسبي جوىً أني نظرتُ لشعرها
ويُثيرني مُتوسِّداً رُديها	وأغارُ منه إذا اطمأنَّ بها الكرى

صبرٍ لديّ، وقد حنوتُ عليها	أرنبو بلهفةٍ عاشقٍ لم يبقَ من
وأودُّ لو أجثو على قدميها	فيصدني أدبي فأبعدُ هيبه
وتَلَهَّبُ، فاحترتُ في أمرِها	فالنفسُ بين تهيبٍ ممَّا ترى
فوقعتُ لا أصحو على شفتيها	ولعلَّ أشواقي بلغنَ بي المدى

- المصدر: ط. دار الشرق الجديد (١٩٢٨).

الحبيب الذاهل^(١)

على لسان (م...)

[الخفيف]

قُمْ حبيبي وأطفئ المصباحا قد أباح الهوى لنا ما أباحا
حبذا الاعتناق إن كانت الظلُّ ممة سترًا من دونه ووشاحا
تحبس العين عن ملذّة مرًا هـ، ولكن تُسرّح الأرواحا
قم حبيبي وأطفئ المصباحا

رقد الكون غير تلك العيون في السماوات ساهرات الجفون
لا تخفها؛ فلن تبوح بسرٍّ وسواها يُثير سوء الظنون
وأراها أحنى وأوفى من الأهم لـ، وكم بين أهلنا من خوون
لا تخفها؛ وانظر لها باسماتٍ مبديات لنا وجوهاً وضاحا
قم حبيبي وأطفئ المصباحا

كم سهرنا من قبل ليلاً طويلاً فشكا الصمت فيه منّا العويلا
وبغى البين أشهراً لا يبالي ما نقاسيه صبوّة ونحولاً

(١) من اختيار شقيق الشاعر أحمد طوقان.
- المصدر: ط. دار الشرق الجديد (١٩٢٨).

فالتقينا؛ إن اللقاء قصيرٌ فانتهره وخلّ عنك الذهولا
ولنودّع تلك الهموم اللواتي يتوثّبن في الدجى أشباحا
قُمْ حبيبي وأطفئ المصباحا

هل نسيتَ الأسفارَ والأخطارا يا حبيبي؟ وكيف جئنا فرارا؟
غفلةً الناسِ مرةً نعمةً الحُبِّ ب، ويا ليتها تكون مرارا
ويلك اسمع قلبَ الزمانِ فقد دقَّ ق ثلاثاً لا تُستردّ قصارا
ليروعنك الصباحُ إذا لا ح قريباً، فلا تقلّ كيف لاحا
قُمْ حبيبي وأطفئ المصباحا

لذّة العيش^(١)

[الرمل]

لَذَّةُ الْعَيْشِ بِسَفْحِ «الكرمل»
لَيْلَةَ الْكَرْمَلِ عُودِي كَرَمًا
لَيْلَةَ الْكَرْمَلِ عُودِي وَاسْأَلِي
عَنْ مُحِبٍّ كَادَ يُودِي سَقَمًا



لَيْلَةَ الْكَرْمَلِ عُودِي وَانْظُرِي
أَيَّ قَلْبٍ قَطَعَتْهُ الرُّفَرَاتُ
أَيَّ نَفْسٍ زَهَقَتْ بَعْدَ جَوَى ؟
أَيَّ رُوحٍ قَدْ تَلَا شَتْ حَسَرَاتُ ؟
لَيْسَ لِي غَيْرُ الْبُكَاءِ وَالسَّهْرِ
وَهُمَا لِلدَّهْرِ عِنْدِي حَسَنَاتُ



فِيهِمَا ذَكَرَى الْإِقَاءِ الْأَوَّلِ
أُرْشَفَ الْأَدْمَعَ مِنْهَا وَاللُّمَى
فَصِلِي اللَّيْلَ بِلَيْلٍ أَطْوَلَ
يَا جَفَوْنِي وَانْزِفِي الدَّمْعَ دَمَا



كَنْتُ أَجْنِي ثَمَرًا حَلَوَ الْجَنَى
رُبَّ طَيِّيرٍ.. فَوَقَهُ لَمْ يَقْعِ
حَوْمُ الدَّهْرِ عَلَيْهِ وَانْثَنِي
يَدْعِي مِنْ خَيْبَةٍ مَا يَدْعِي

(١) من قصائده في م.ص.

- المصدر: ط. دار القدس (١٩٢٩).

هل درى، يا ويحَه، أَنَّ المَنى
فى الهوى لا تُجتنى بالخُدَع؟



إنَّما يُدرك أَقصى الأملِ
ثابتُ القلبِ على ما عزمَا
من يَرُمُّ أمراً بقلبٍ حُولِ
ينقضُّ الدهرُ له ما أبرمَا

وحي رسالة^(١)

[السريع]

رسالةً واهاً لها واهاً
شرقتُ بالدمع لفحواها
من غادةٍ عذّبتني نأياًها
ما ضرَّ لو كنتُ وإياها
أُضراسُها تؤلمها ليتني
أشكو الذي سبَّبَ شكواها
تلك ثناياها التي نَضَّدتُ
عقُدينِ والمكسورُ إحداها
أثارُها في شفتي لم تزلْ
يا ضلَّ من يجهل معناها
رشفْتُ منها سلسلاً بارداً
صادفَ نيرانِي فأطفأها
في ليلةٍ لم أدرِ ساعاتِها
أضعتُ طُولاها وقُصرَها
حتى طغى الصبحُ بأنوارِهِ
على نجومِ الليلِ يغشاها
ورجَّعَ الطيرُ أغاريدهُ
شجواً فأبكاني وأبكاها
فقلتُ يا طيرُ كذا عاجلاً
قمتَ على اللذاتِ تنعاهَا

(١) من قصائده في م.ص.

وقلتُ يا طيرُ متى نلتقي ؟
يا طيرُ هل أحيا وألقاها ؟
ثمّ تعانقنا فله ما
تذرف عيناى وعيناها
قبّلتُها في فمها قبلةً
ما كان أزكاها وأحلاها
وقبّلتُني مثلاًها قبلةً
ما زلتُ أستنشق ريّاها
تلك هي الزادُ غداة النوى
قد يهلك العاشقُ لولاها
حبّيتي عُودي إلى ربوةٍ
أضحى فؤادي رهنَ مَغنّاها
يا مُنيّتي عُودي نُعدّ ليلةً
ما زال قلبي يتمنّاها
ذقتُ بها منك الذّ الهوى
فكيف أنساكِ وأنساها

في دير قديس

[البسيط]

لم ألقَ بين لياليِّ التي سلفتُ	كليلةٍ بثُّها في دير قديسِ
ضمنتُ حسناءً لم يُخلَقْ لها مثْلُ	بين الحسانِ ولا حورُ الفراديسِ
ما عرشُ بلقيسَ في إبانِ دولتها	ولا سليمانُ مزفوفاً لبلقيسِ
يوماً بأعظمَ مناً في السريرِ وقد	دام العناقُ إلى قرع النواقيسِ

- المصدر: ط. دار الشرق الجديد (١٩٢٩)

إلى ذات المنديل^(١)

[مجزوء الوافر]

نزيهةً ليس للمُنْدِي	لِ فيما بيننا حاجة
وإنَّ سِرِّكَ أنْ يَبْقَى	فأنوارُك وهَّاجه
فيا من تأمر الحُسْنَ	فيُلقي دونها تاجه
فقد قَطَّعتِ بالدلِّ	عُرى قلبي وأوداجه

(١) المقطوعة من اختيار شقيق الشاعر أحمد طوقان.

- المصدر: ط. دار الشرق الجديد (١٩٢٩).

إلى م....^(١)

[الكامل]

خَلَّفْتُ قَلْبِي فَوْقَ سَفْحِ «الكرمل» حَيْرَانٌ يَسْأَلُ عَنْكَ أَهْلَ الْمَنْزِلِ
خَلَّفْتُهُ يَهْفُو عَلَى غُرْفِ الْهَوَى فِي شَكْلِ طَيْرٍ بَيْنَهُمْ مُتَنَقِّلِ
لَمْ يَعْلَمُوا مَا سِرُّهُ، فَإِذَا بَكَى حَسْبُوه يَضْحَكُ لِلرَّبِيعِ الْمُقْبَلِ

(١) المقطوعة من اختيار شقيق الشاعر أحمد طوقان.

- المصدر: ط. دار الشرق الجديد (١٩٢٩).

الزهرتان والشاعر

[الكامل]

يا زهرة الوادي أتيتُ بزهرةٍ
لك من رُبَا لبنانٍ فاح شذاها
والزهرُ أبهى منظرًا مع أمه
فنقلتها معها فزاد بهاها
وحفظتها لك في الطريق من الأذى
ولأجل عينك أضلعي مَثَواها
وجمعتُ في أذارٍ بينكما فما
أحلاك في قلبي وما أحلاها
إني جمعتُكما ولكن لم يطلُ
أنسي بقربكما فواهاً واهاً
واهاً على ساعاتٍ لهوٍ كنتما
يا زهرتي هُناها وصفاها
واهاً على رُوحٍ التي خلّفتها
بين الرُّبَا؛ والروحُ حيث هواها
واهاً عليها مهجةٌ ضيّعتُها
فإذا سألْتُكما فهل ألقاها؟

- المصدر: ط. دار الشرق الجديد (١٩٢٩).

وداعاً

[المتقارب]

وداعاً سأقتل هذا الهوى وأدفنه في ضلوع السنين
أردُّ رسائلِكِ الباقيات فرُدِّي رسائلَ قلبي الحزين
ولكنْ تعالِي.. ألم تغدري؟!



وداعاً سأسحق تلك المنى وأنسفها بدداً في الفضا
سأهزأ بالعشق والعاشقين وأذهب مستهتراً بالقضا
ولكنْ تعالِي.. ألم تغدري؟!



وداعاً وهيئات أن نلتقي فما أنا بعدُ المحبُّ الحبيبُ
أطيعي ذويكِ بما يشتهون فإنَّ لهم فوق حقَّ الغريب
ولكنْ تعالِي.. ألم تغدري؟!



- المصدر: جريدة «لسان الحال» - بيروت - ١٩٢٩/٥/٢٣ -

اغفري لي

إلى م. ٠٠

[الخفيف]

ر، فقد كنت غائباً عن صوابي
صرخة الهول عند مرأى عذابي
أو بكائي على أمانى الشباب
هالني ما قرأته في الكتاب
لم يكن فيه ذرة لا رتيابي
وتعالي أشرح إليك مُصابي

اغفري لي إذا اتهمتك بالغد
اغفري لي ، لعل ما كان مئي
وصدى اليأس رجعتَه ضلوعي
لم تكوني كما زعمت، ولكن
ولعمري رأيت منك وفاءً
اغفري لي ما قلته في جنوني

ي، أظلل النجوم تحت جناحه
وسقاها الهوى علالة راحه
نَجَّتني من وروده وأقاحه
ولكم خاب مثلها في كفاحه
هدمته إلى سواء التراب
صرح فيها مُشيئاً من سحاب ؟

رُبَّ صرح مُمرِّدٍ من أمانى
قد نمت حوله الأزهير شتى
فنزلناه آمنين زماناً
لم تحرك منه العواصف ركناً
ثم كانت يدٌ، سأسكت عنها
أين تلك السماء؟ هل كان ذاك الصد

نَ مُحبٍ حيائه ذكريات

اغفري لي فإن أشقى المحبِّين

- المصدر: ط. دار الشرق الجديد (١٩٢٩).

أينما كنتُ هيجَ القلبُ ذكرى
ما هنا؟ إنها رسومُ دموعٍ،
وهنا؟ طائرٌ يُعيد حديثاً
يا حياتي، لا تغضبي، وتعالِي
حسبُ قلبي عذابه، فاغفري لي
صورتُها أثارُنا الباقيات
وهنا؟ أمِ إنها قُبُلات
لم تغبْ عنه هذه الكلمات:
عانقيني وأقصري من عتابي
يا حياتي فقد لقيتُ عقابي

خطرة في الهوى

[الطويل]

بُلْهَنِيَّةَ العيشِ الذي كان أرغدا
وما أطيَّبَ المفترَّ والمتوردا
تولَّى صباه اليومَ يرجعه غدا ؟
سواك: فؤادي، والأمانى، والهدى
هواك، وسقمي، والحنين المؤبدا

أعيدي إلى المُضْنَى وإنْ بَعْدَ المدى
تَبَارَكَ هذا الوجهُ ما أَوْضَحَ السنى
فقدتُكَ فَقْدَانِ الصَّبَا، وهلِ امرؤُ
فقدتُكَ لَكُنِّي فقدتُ ثلاثةً
وأبقيت لي غيرَ القنوطِ ثلاثةً:

إذا هي لم تنعم بظلكَ سرمدا
إذا أنا لم أمددْ لذاك الجنى يدا
حرامٌ على المحزون أنْ يتنهدا
ولم ألقَ في أهليك حُبًّا ولا ندى
وردتُ ثناياها مع الكأسِ موردا
ولم يروِ شعري عندليبك مُنشدًا

أيا «وادي الرمان»! ^(١) لا طبتَ وادياً
ويا «وادي الرمان»! لا ساغَ طعمهُ
ويا «وادي الرمان»! واهاً وعندهم
كأنِّي لم أنزلْ ديارك مَرَّةً
ولم تسقني كأسَ المدام حبيبةً
ولم تُوح لي شِعراً ولا قمتُ مُنشدًا

يسامحك الرحمنُ لم تكُ مُسعداً ^(٢)
وراعك إشفائي على هوةِ الردى ؟
أُقلِّبُ في الأفلاك طَرْفاً مُسهداً ؟
بمن ^(٣) أنتَ تهوى، هل أطقَتَ تجلداً!؟

أخي وحبيبي كنتُ أرجوكَ مُسعداً
ألم ترني في مصرَ أطلبَ شافياً
ألم ترني في مضجعي مُتقلِّباً
ومن عجبٍ أنا شبَّيهان في الهوى

(١) وادي الرمان : قرب قرية كفر كنة في شمالي فلسطين .

(٢) عتاب إلى أخيه (أحمد) وكان ذلك يوم قدوم إبراهيم إلى القاهرة للمعالجة والاستشفاء في شهر آب ١٩٢٩ (أحمد طوقان).

(٣) الباء هنا للقسم .

- المصدر: ط. الشرق الجديد (١٩٢٩).

رَمَانُ كَفْرِكْنَا^(١)

[الخفيف]

جزتُ بالحيِّ في العشيِّ فهبتُ
نفحةً أنعشتُ فؤادي المعنى
قلتُ: منها، ودرتُ أنظرُ حولي
نظراتِ الملهوفِ يسرى ويمنى
وإذا طيبٌ جنيُّ من الرُّمِّ
مَآنٍ مثلُ النُّهودِ لو هي تُجنى
وافقتُ نظرتي نداءً غلامٍ:
«ناصرِي يا رَمَانُ!» من «كَفْرِكْنَا»
قلتُ أسرعْ به فِدَى لكَ مالي
وترنُّمٌ بذكره وتغنُّ
يا رسولَ الحبيبِ من حيثُ لم تدُ
ر، لقد جئتُني بما أتمنى

(١) كَفْرِكْنَا من قرى الجليل شمالي فلسطين ، أحبَّ الشاعر فتاة من هذه القرية كانت طالبة في الجامعة الأميركية.

عنتُ الدهر

[الخفيف]

يومَ كنّا نقول: «عاكسنا الدهرُ
رُّ»، وجدنا من صَحْبِنَا من يَلمُ
فيقولون: «اتَّقِ اللهَ واقنَعْ
كم تظَلَّمتَ طامعاً يا ظَلم
هذه «نزهة» وأنتَ تَراها
كلَّ يومٍ، فما عساكَ تَرومُ؟
ويَحَهم لو يَروُن ما صَنعَ الدهرُ
رُّ لقالوا: مُعَذِّبُ مشئوم
كنتَ أرجو لو أن «نزهة» أضحتُ
في مكانٍ قد كنتُ فيه أُقيم
لم يكن ما رجوتُ حتى تَرحَلُ
تُ، فَمَنْ ظالمٌ وَمَنْ مَظْلومٌ؟

- المصدر: ط. دار القدس (١٩٢٩) .

إلى ل...^(١)

[المجتث]

أَيْنَ الرِّسَالَاتُ وَالشُّوْ
قُ؟ فَالْجَوَابُ تَأْخَّرُ
كَمْ قَلْتِ: «شَوْقِي كَثِيرٌ»
أَظُنُّ شَوْقِي أَكْثَرُ
أَسْأَلُ الْبَدْرَ حَيَّرَا
نَ عَنكَ إِنَّهُ هُوَ أَسْفَرُ
ذَكَرْتُ وَجْهَكَ فِيهِ
وَالشَّيْءُ بِالشَّيْءِ يُذَكَّرُ
كُونِي بِوَدِّكَ كَالْبَدْرِ
رَ، فَهُوَ يَخْفَى وَيُظْهِرُ

(١) المقطوعة من اختيار شقيق الشاعر أحمد طوقان.

- المصدر: ط. دار الشرق الجديد (١٩٢٩).

إلى م.. أيضاً^(١)

[المجتث]

إلى الحبيب الذي فا	زَ غَيْرُنَا بَوْصَالِهِ
ولم نَفْزِ مِنْهُ إِلَّا	بَصْدَهُ وَدَلَالِهِ
وَمَنْ تَعَلَّمَ مِنْهُ الصِّدْقَ	صُدُودَ طَيْفِ خِيَالِهِ
هَلْ تُجَرَّبُ شَيْئاً	مِنْ الْهَوَى وَاحْتِمَالِهِ
عَسَاكَ تَعْرِفُ مَا قَدْ	عَرَفْتُ مِنْ أَهْوَالِهِ
عَسَاكَ تَسْهَدُ، أَفْدِي	كَ، لَيْلَةً مِنْ طَوَالِهِ
لَكِنْ أَرَاكَ سَعِيداً	خَلَّ الشَّقِيَّ بِحَالِهِ

(١) المقطوعة من اختيار شقيق الشاعر أحمد طوقان.

- المصدر: ط. دار الشرق الجديد (١٩٢٩).

اقتباسات من القرآن^(*)

[البسيط - مجزوء الرمل]

(١)

مُسَهَّدُونَ وَهُمْ حَيْرَىٰ مُحَاجِرُهُمْ
تَنُوطُهَا بِنَجُومِ اللَّيْلِ أَسْبَابُ
إِنْ يَخْبُ لِلْحَبِّ فِي أَكْبَادِهِمْ قَبَسُ
سَقَتْهُمْ مِنْ شَرَابِ الْمُهْلِ أَكْوَابُ
وَكَيْفَ يَبْغُونَ عَنْ نَارِ الْهَوَىٰ حَوْلًا
«وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابُ»^(١)

(٢)

أَنَا بِالرَّحْمَنِ مِنْ حُو
رٍ، يُكْسِرْنَ جُفُونَنَا
دَارِجَاتٍ كَحَمَامِ الدُّ
أَيْكِ، يَبْهَرْنَ الْعَيُونَنَا
قَلْتُ مَنْ هُنَّ وَقَوْلِي
كَانَ جَهْلًا وَجَنُونَنَا
فَانْبَرَتْ مِنْهُنَّ حُسْنًا
ءُ، فَأَذَكَّتْنِي شُجُونَنَا
نَحْنُ مِنْ سُمْنِكَ وَجَدًا
«وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا»^(٢)

(١) من سورة ص «٤٢».

(٢) من سورة طه «٤٠».

(٣)

كبدى من فراقها بينَ بَيْننا
فمَتى موعِدُ اللقاء؟ وأيننا؟
رَبُّ طَيْرٍ مُهاجِرٍ غابَ عَنّا
شاقه وَكُرُهُ فَعادَ إِليننا
كُنْتَ تَبْكِينَ لو رأيتِ بكائى
وقديماً أبكى جميلُ بُثْثيننا
غَيرَ أَنى أَلَفْتُ هَمِّى وَغَمِّى
«فَكُلِّى واشربى وَقَرِّى عيننا»^(١)

(١) من سورة مريم «٢٦».

ما لك والذكريات

[المنسرح]

ما لك والذكرياتُ تذعُرُها
تثير مكنونَها وتنشرُها؟
معوذةٌ في الشجون أَدفَنُها
وفي زوايا السنين أذخرُها
أذهل عنها وربَّما ذهلتُ
عني وقد جئتُ بي تُذكِّرُها
يا مُسْعِرَ النارِ كيف أطفئُها
- سامحك الله - حين تسعُرُها
أما تراني يدي على كبدي
أكاد من زفرةٍ أطيِّرها؟

يا ربَّ نفسٍ لله مُسَلِّمةٍ
قام نبيُّ الهوى يُنصِّرُها
أعيا على الدهر غمُّرُ جانبها
ما بال غمزِ العيونِ يقهرُها ؟
كلَّفَتْها السيرَ والسُّرى شغفاً
ألدُّ حالِ الغرامِ أخطرُها
خلَّفتُ بيروتَ مُنعِماً طلباً
لكرمليّاتٍ حيث «عزُّورها»

- المصدر: ط. دار القدس (١٩٢٩).

بلغتُها والظلامُ مُشتمِلٌ
على البرايا والنومُ يسكرها
التمسُ البابَ لا أفوز بهِ
أطوف بالدار لستُ أبصرها
حتى هداني وميضُ ساريةِ
أعقبه قاصفٌ يفجرها
سعيْتُ للبابِ ثمَّ أطرقه
أقفاله الصلبُ لو أكسرها
ما تنثني نفسُ طالبٍ وردتُ
ظمأى ومرعى الحَمامِ مصدرها
وانفتح البابُ عن مُصلِّبةِ
خيفةٍ شرٌّ هناك يُنذرُها
قلتُ: مَسَا الخيرِ، هل لملتجئٍ
لديكِ نَعْمى هيهات يكفرها؟
قالت: على الرحب! قلتُ: هل نزلتُ
أنسه داركم تُعمِّرها؟
قالت: أخوها؟ فقلت: «ذاك أنا»
قالت: «أنسى لها نخبِرها؟
قد أخذ النومُ جفنتها ملأً
بعد انتظارٍ ترى أنشعرها؟»
قلتُ: «دعيها غداً أفاجئها
أحلامُها الغُرَّ لا أنقُرُها
أقضي رقادي في غير مضجعتها
أخشى إذا استيقظتُ أسهرها»
قالت: «ترى الضوء؟ ذاك مضجعتها
كن جارها، والصباح تبدرها

أَرَاكَ بَـــــــرّاً وَرَبّاً أَحْ
مُغْفِرِي بَاخْتِ لَهُ يُكَدِّرْهَا!
قَرَابَةُ الْمَكْرِ أَصْبَحَتْ ثَقَلَةً
أَعَشَقُ بَعْضَ الْقُلُوبِ أَمْكَرْهَا
يَا لَكَ بِلَهَاءٍ وَدَعَتْ وَمَضَتْ
أُتْنِي عَلَى لُطْفِهَا وَأَشْكُرْهَا

رَجْرَأَ، وَهِي هَات لَات مُزْدَجَرِ
أَيَّةُ نَفْسٍ هَوَجَاءَ أَزْجَرَهَا ؟
صَبْرَكَ يَا نَفْسُ، لَات مُصْطَبَرِ
مَا لَمْ تَكُن جَارَتِي تُصَبِّرَهَا
لَمْ أَدْرِ حِينَ انْسَلَّتْ أَطْلُبَهَا
خُطَى الْمَحْبِّينَ، مَنْ يَسِيرَهَا
حُورِيَّةٌ فِي السَّرِيرِ رَاقِدَةٌ
وَدَّ «رَفَائِيلُ» لَوْ يُصَوِّرَهَا
يَا مَعْدَنَ الْحَسَنِ أَنْتِ مَعْدَنُهَا
يَا جَوْهَرَ الْحَبِّ أَنْتِ جَوْهَرَهَا
إِنْ أَنْسَ لَا أَنْسَ وَجَهَهَا وَبِهِ
غَبَّ انْتِظَارِي بَادٍ تَحْيُرَهَا
عَاطِفَةٌ جِيدَهَا، مُوسَّدَةٌ
ذِرَاعُهَا وَالدَّمُوعُ تَغْمُرَهَا
وَالْوَجْهُ وَالصَّدْرُ بَادِيَانِ سَوَى
مَا انْتَالِ مِنْ قَرْعِهَا يُخَمِّرَهَا
وَالشُّوقُ بَيْنَ الضَّلُوعِ أَعْرَفُهُ
مِنْ زَفْرَةٍ كَالسَّعِيرِ تَزْفِرَهَا

يَصِيبُنِي لِفَحُّهَا عَلَى كَبِدٍ
فِي بُرَحِ الشَّوْقِ ذَابَ أَكْثَرُهَا
وَتَمَّ رَمَّانَةٌ قَدْ اضْطَرَبْتُ
وَاقْتَرَبْتُ تَرْبُهَا تُحَذِّرُهَا
تَقُولُ: أَخْتَاهُ تَحْتَنَا لَهْبٌ
يَصْهَرُنَا دَائِباً وَيَصْهَرُهَا

إِنْ أَنْسَ لَا أَنْسَ وَجْهَهَا وَبِهِ
غِبُّ أَنْتَظَارِي بَادٍ تَحْيُرُهَا
الْمَحْ بَيْنَ الْجَفَوْنَ لَوْلَوْ
فَازَ بِهَا النَّوْمُ وَهُوَ يَأْسُرُهَا
أَطْبَقَ أَهْدَابَهَا فَقَيَّدَهَا
لَوْلَا اضْطِرَابُ يَكَادِ يَنْثُرُهَا

يَا مَعْدَنَ الْحُسْنِ أَنْتِ مَعْدَنُهَا
يَا جَوْهَرَ الْحَبِّ أَنْتِ جَوْهَرُهَا
قَيِّدُ ذِرَاعِي غَصِيونُ بَائِتِهَا
أَوِي إِلَى ظِلِّهَا وَأَهْصُرُهَا

فرحتي...!

[مجزوء الرمل]

فرحتي يومَ أراها جئتني نارُ هواها

جئتُ الحسنِ لديها طيبُها وقفْ عليها
ورَدُّها في وجنتيها ثَمَلُ من مقلتيها
هي ريحانةُ قلبي
ليتها كانت بقربي

فرحتي يومَ أراها جئتني نارُ هواها
ونعيمي في شقائي

كان لي في الحبِّ عهدٌ ربِّ ماضٍ لا يُـرَدُّ
فالتقى خَدُّ وخَدُّ والتقى دمعٌ وشَهْدُ
جفَّ، يا أيَّامُ، دمعي
ضاق بالآلامِ ذرعي

فرحتي يومَ أراها جئتني نارُ هواها
ونعيمي في شقائي

- المصدر: ط. دار الشرق الجديد (١٩٣٠).

بلبلُ فوق الغصونِ ساحرُ جَمُ الفنونِ
يا أخا الصوتِ الحنونِ لستَ تدري ما شجونِ
تَتَسَلَّى، تَتَفَلَّى
وتراني، أَتَقَلَّى
فرحتي يومَ أراها جَنَّتِي نارُ هواها
ونعيمي في شقائي

سمع البلبلُ شجوي باكياً أيامَ لهوي
فهفا البلبلُ نحوي هاتفاً: أصغِ لشدوي
قلتُ يا بلبلُ دعني
عُدْ إلى الدوحِ وغَنِّ
فرحتي يومَ أراها جَنَّتِي نارُ هواها
ونعيمي في شقائي

نُحْ معي فالنوحُ أُولَى بَعْدَ من أهوى وأحلى
طربَ القلبُ ومَلَأَ أيُّها البلبلُ هَلَأَ
بجناحيك انقلبنا
وبمن أهوى رجعتنا

فرحتي يومَ أراها جنّتي نارُ هواها
ونعيمي في شقائي

الهوى أبلى شبابي جاعني من كلّ بابٍ
من صدودٍ لعتابٍ من عذابٍ لعذابٍ
كلُّ هذا لا يطاقُ
ثم لا يحلو الفراقُ
فرحتي يومَ أراها جنّتي نارُ هواها
ونعيمي في شقائي

عيشُنا ركضُ بركضٍ بعضُنا في إثر بعضٍ
والصَّبَا يومٌ ويمضي ليته يمضي ويُرضي
يا فؤادي ما بكائي؟
أثرى يُجدي ندائي؟
فرحتي يومَ أراها جنّتي نارُ هواها
ونعيمي في شقائي

ذكرى (*)

[الخفيف]

جئتَ تتلو عليَّ صفحةً ماضٍ	منَّها الحبُّ والأسى بين صُحفي ^(١)
صاحِ دُعها وخُذْ سواها فإني	قد تبينتها لأول حَرْفٍ
صاحِ دُعها؛ فقد دفنتُ أمانِي	يَ ، ولهوي يا حسرتاه وقصفي
وخَلْتُ أضلعي فأمسى خلياً	غزلي في هوى الحسانِ ووصفي
وليالٍ ظفرتُ فيها من الدهـ	ر - على بخله - بنعمةٍ عطف
ساهرٍ في ظلامها أقبس النـ	ر لقلبي بلثم خدَّ وكفَّ
وفمٍ كلَّما شكَا ألمَ الوجـ	د ، تعلَّقَتْهُ بقُطْفٍ ورشَف
وجُفونٍ ما بين قتلٍ بعنفٍ	أنا منها وبين قتلٍ بلطف
صاحِ يكفي! فقد تولَّتْ ليالٍ	شيَّعتُها المنى، بربِّكَ يكفي

(*) بمناسبة رسالة أتاه بها صديق من أصدقائه (أحمد طوقان).

(١) القصيدة من اختيار شقيق الشاعر أحمد طوقان.

- المصدر: ط. دار الشرق الجديد (١٩٣٠).

التفاتة

[المتقارب]

تَلَفَّتْ قَلْبِي إِلَى الْكَرْمِلِ
وَحَنُّ إِلَى عَهْدِهِ الْأَوَّلِ
وَمَرَّتْ بِهِ ذَكْرِيَّاتُ الْهَوَى
رَوَّاجِعَ مِنْ ذَلِكَ الْمُنْزِلِ
تَلَفَّتْ كَمَا شِئْتُ وَاخْفَقْتُ لَهُ
سَحَائِبُ هَمِّكَ لَا تَنْجِلِي

- المصدر: ط. دار القدس (١٩٣٠).

يوم الثلاثاء

[المجتث]

حسبتُ أنَّ الشبابا	ولَّى حميداً وغابا
وما ظننتُ فؤادي	إلا اهتدى وأنابا
هيهاتَ لم يُرضِ قلبي	من الهوى ما أصابا
يا نظرةً لم أُردها	سأقتُ إليَّ عذابا
لم أدرِ أنَّ الزوايا	يا قلبُ فيها خبايا
رددتَ ماضي عهودي	عليّ، فاحملْ هوايا



حسبتُ أن دموعي	جفتُ وأقوتُ ربوعي
وخِلْتُ نارَ فؤادي	خبتُ وراءِ ضلوعي
فأين وجدي وسُهدي	وصبوتي وولوعي؟!
وكان يومُ الثلاثاء	شهدتُ فيه العُجبا
اليومُ يومُ الصبايا	روافلاً «بالملايا»
لئن أترنَّ شجوني	ففي الزوايا خبايا



لاحتُ وجوهُ ملاحُ	خلفَ الحجابِ صباحُ

- المصدر : ط. دار الشرق الجديد (١٩٣٠).

لكنْ بخلنْ ولمّا بخلنْ هبّتْ رياحُ
هَذَا نِقَابٌ، وهذا شَعْرٌ وهذا وشاحُ
فانصبْ نُورٌ وطيبٌ على القلوب انصبابا
كم للجمال مزايا وكم له من سجايا
لولاكِ يا ريحُ كانت بين الزوايا خبايا

حلفت ألا تكلميني

حلفت ألا تكلميني وسوء حظي قبل اليمين
إن ترحميني تُعذّبيني أو تظلميني لا تُنصّفيني



يا من هواها أجرى دموعي وأشعل النار في ضلوعي
لما تيقّنت من خضوعي حلفت ألا تكلميني



عرفت وجدي وطول سُهدي وكيف أرعى في الحبّ عهدي
الله حسبي، أبعد ودي حلفت ألا تكلميني؟



حملت في القلب منك غمّا أذاب جسمي لحماً وعظماً
وكنت أقسى عليّ لمّا حلفت ألا تكلميني

هذا فؤادي ليدك رهنٌ ذهبت عنه فيما أظنُّ
غداً أنادي إذا أحنُّ: «حلفت ألا تكلميني»



- المصدر: ط. دار القدس (١٩٣٠).

بعد عام

[المجتث]

إليها...

هواك أصبح نسيًا	كلوعتي مَنسيًا
قد كان شغلًا لقلبي	فصار قلبي خليًا
كأن حلو الأمانِي	والوصل لم تكُ شيًا
مسحتُ آثارَ حبٍّ	كانت على شفتيًا
فيا جفونُ استقرِّي	عاد الرقادُ شهِيًا
وارقصْ على حبِّ ليلا	ك، يا فوادُ مليًا

- المصدر: ط. دار الشرق الجديد (١٩٣٠).

هواك جبار

[السريع]

هواك جبارٌ على القلب جارٌ

أمان!! أمان!!

من زفرة الليلِ وغمِّ النهارِ

أمان!

يا أُملي يا نورَ مستقبلِي أوقعني صمتك في مُشكِـلِ

ما خبأ الدهرُ بعينيك لي؟

هل ابتسامٌ فيهما أم دموعٌ؟ تُذيبُ قلبي كمدًا في الضلوعِ

يا ليت مكنونَهُما ينجلي

سعادٌ لا يهدأ هذا الفؤادُ ولن يذوقَ الجفنُ حلوَ الرقادِ

ما لم تصافيني الهوى يا سعادُ

لو كان حظِّي منك أن تعلمي ما تصنعُ الأشواقُ بالمغرمِ

لرقّ لي قلبُك والدمعُ جادُ

أبصرتُ في جُنج الدجى طائفاً كلمحة البرقِ سرى خاطفا

ثم دنا يصعقني هاتفا:

(١) نظمها في فتاة لبنانية اسمها «سعاد الخطيب» .

«سعادٌ، لم تخطر على بالها ولم تكن موضعَ آمالها..»

ثم تَوَلَّى يسبقُ العاصفا

أصبحتُ لا يَشْفِي غليلي ابتسامٌ ولا انحناءُ الرأسِ عند السلامِ

أولى بنا لو نتشاكى الغرامُ

يا حبَّذا لُقيا على موعدٍ وحبَّذا أخذُ يدٍ في يدٍ

حتى يقولَ الناسُ هامتْ وهامُ!

ماذا أصاب الروضَ حتى ذوى وا لهفأً والغصنَ حتى التوى ؟

وأيُّ بُردٍ للربيعِ انطوى ؟

الروضُ يُملِي يا سعادُ العبرُ في زهرٍ مثلِ الأمانِي انتثرُ

يا روضةَ الحسنِ حذارِ الهوى:

هواكِ جَبَّارٌ على القلبِ جارٌ

أمانُ ! أمانُ !

من زفرةِ الليلِ وغمُّ النهارِ

أمانُ!

إلى ذات العصابة الزرقاء^(١)

[الكامل]

رُوحِي فداءً عصابة زرقاءٍ لَمْتُ شعورَ مليحةٍ حسناءٍ
ما زَيْنْتُكِ وإنما زَيْنْتُهَا بجوارها لجبينك الوضاء
ودُنُوها من مُقْلَةٍ مكحولةٍ فتَّانةٍ، فتَّاكةٍ، حوراء
إنَّ الجمالَ إذا تَجَمَّعَ شملُهُ فالويلُ كلَّ الويلِ للشعراء

(١) المقطوعة من اختيار شقيق الشاعر أحمد طوقان.

- المصدر: ط. دار الشرق الجديد (١٩٣١).

طيف الأمل

هوئى بقلبي نزلا	«ألا وما» ^(١) أعجبه
أبني عليه أملا	هوئى على علاقه
يذهب عني مثلاً	هوئى لمن لم أرها
كل حديث نُقِلَا	أقبل عنها راضياً
أترابها قلت: بلى	قيل: سمتُ خُلُقاً على
قلت: لها.. واكتملا	قيل: انتهى الحسنُ لها
جَلَّ مِنْ اسمِ وعلا	قيل: اسمُها «محاسنُ»
رضيتُ منها بدلا	لا طاب لي عيشٌ إذا

(١) وردت العبارة في الطبعة (لا ما) ، وأظن في الأمر خطأ مطبعياً لأن الوزن والسياق يرجحان (ألا وما).

بهاء^(١)

[مجزوء الوافر]

«بَها!» لم تقع العينُ
على أبهى ولا ألطفُ
ولا أدنى إلى القلبِ
ولا أشهى ولا أظرف
شُغِفْتُ بها ومن يبلُ
غرائبَ دَلَّها يُشغَفُ
وهامَ بها أخي [...]
حتى باع ما أَلَّفَ
وقد صَنَّفَ في الحبِّ
عن العلم الذي صَنَّفَ
وقال: الشمسُ والبدرُ
ولا والله ما أنصف
دع الشمسَ التي تُخسَفُ
فُ، والبدرَ الذي يُخسَفُ
«بَها» فتنَّةُ «رام الله»
«ه»، مَنْ شَتَّى ومن صَيَّفَ
شفتُ نظرُها المَدَنُ
فَ، لَمَّا أوشك المَدَنُ

(١) «ولي جارة اسمها بهية وتسمي نفسها بهاء، وهي بهاء حقيقة..» (ولقد كانت بهاء هذه فلاحه في رام

الله وكانت جميلة جداً). من رسالة الشاعر إلى عمر فروخ، وردت في كتاب: «شاعران معاصران»، ص ١٠٠.
- المصدر: ط. دار القدس (١٩٣١).

وكم خالٍ من الأسْقَا
م ، ردّوه وقمّد أشـرف



«بَها» تطلع والشمسُ
فبادرتُ إلى المشـرف
غدتْ معطُفُها ازدانَ
بغصن البانّةِ الأهيف
صباح النّور والنُّوَا
ر والوردِ وما قـوَف
تردّ تحيّة الكفّ
بغمزة جفنها الأوطف



لئن أشغلتها عنّي
طيورٌ حولها تُعاف
وما تُطعمها الحبّ
بل الكرم الذي يُقطّف
فبين جوانحي طيرٌ
على أيكتها رفرف

الغرام الأول^(١)

[مشطور الرجز]

عهد غرامي الأول	هيهات ما ترجع لي
أنت ومهجتي معاً	أنت وحلو الأمل
وليلة زاهرة	سامرة بالقُبل
وهجعة ، أحلامها	صَحَّتْ فلم تُأوّل
على ذراع خَـضِلٍ	عند فؤادٍ ثَمَلٍ
أنت وما أودعته	في يد ماضٍ مُسبَلٍ
أنت وما أضعته	بين شعابٍ «الكرمل»

هيهات ما ترجع لي

(١) المقطوعة من اختيار شقيق الشاعر أحمد طوقان.

- المصدر: ط. دار الشرق الجديد (١٩٣١).

اشربي

[مجزوء الرمل]

اشربي أنتِ وحَسبي	نشوةٌ من مُقلتيكِ
اشربي أنتِ وحَسبي	نظرةٌ في وجنتيكِ
اشربي أنتِ وحَسبي	نهلةٌ من شفتيكِ
اشربي أنتِ ومالي	وحياتي في يديكِ

نَقْلُ الكأسِ حديثاً	عن ثناياكِ العذابِ
أنَّه لولا شذاها	لم يكن لذَّ وطاب
لم يكن يُسكر لولا	أنَّه مَسَّ الرُّضابِ
اشربي أنتِ وحَدَّثْ	أنتِ عنها يا شراب

أنشديني ، أطربيني	بهوى الأندلسِ
أرسلني اللحنَ شجياً	كالصَّبَا في الغَلَسِ
هو يا رُوحِي لروحي	كالندى للفرجسِ
إن أنفاسك فيه	لَحَياةُ الأُنُفُسِ

- المصدر: ط. دار الشرق الجديد (١٩٣٢).

[المجتث]

يا حُسْنَهَا من «رياضٍ» ملءُ العيونِ نضارَهْ (*)
شهدتُها في ديارٍ تُنسي الغريبَ دياره
أهدى الربيعُ إليها على المدى أذاره
نسيمه وشذاهُ تبدو بكلِّ إشاره
وزاد ما شاء فيها من عِقةٍ وطهاره
وقال لم أعطِ هذا إلا لأَمِّكَ «ســــــــارَه»

(*) نظمت الأبيات لطفلة لبنانية اسمها «رياض الخطيب»، وهي بدون عنوان.
- المصدر: «الكنوز - ما لم يعرف عن إبراهيم طوقان»، المتوكل طه (١٩٣٢) .

[الكامل]

يا كوثرَ الظُّرفِ النَّميرِ ومصدرَ اللِّ
هل يستحقُّ المدحَ منكِ شويعرُ
القربُ منكِ إمارةٌ وكفى بهِ
ما زرتكم إلا وفزتُ بغبطةٍ
فالسَّمعُ من سحرِ الحديثِ بمعزلٍ
والعينُ من بَشَرِ الوجوهِ غنيَّةٌ
والقلبُ أطربُ ما يكونُ خفوقُهُ
فلكلِّ جارحةٍ لديَّ نصيبُها
وشمائِلُ لو كنتُ أبلغُ غايةً
جُمعَ التليدُ إلى الطريفِ بها فما
المجدُ منها والمروءةُ والندى
لُطْفِ الغزيرِ وأهلَ كلِّ ثناءٍ^(*)
مثلي وأنتِ أميرةُ الشعراءِ؟
شرفاً أتية به على الأمراءِ
ورجعتُ أحملُ أجملَ النُّعماءِ
عن كلِّ ذاتِ صوادحِ غُناء
عن كلِّ بدرٍ مُشرقٍ وذُكاء
لزيارةٍ في أهله ولقاء
في داركم من هذه الآلاءِ
من عدها لعددتُ في البلُغاءِ
زَانِ البنينِ تراه في الآباءِ
وغريبُ حُسْنٍ في عجيبِ ذُكاءِ

(*) القصيدة بلا عنوان .

- المصدر: «الكنوز - ما لم يعرف عن إبراهيم طوقان»، المتوكل طه، (١٩٣٢).

[البسيط]

صدقت ، ما أنت كالخنساء في شبه
أين الشقاء من النعمى إذا انتسبا؟
أم ابن «صخر» إذا قست «الرياض»^(١) به
أم أين وجه أزال الحزن رونقه
وأفضل الشعر عندي ما يفيض به
وأنت كاسمك «سارة» لا بل أنت مصدره
بنت الخطيب ، وهل بيت الخطيب سوى
فداؤك المحصنات الغيد مُحَصَّنَةٌ
لبنان يحسد فيك الغوطتين على
ما شئت شاعرة ما شئت نائرة
أديبة لا يمل الدهر مجلسها
خطيبة كُشِفَ الخطبُ الجليلُ بما
وحكمة هي بنت الدهر ما نزلت
وشعلة من ذكاء لو يؤانسها
ولا أُحسدت عن روح أخف ولا
لا زلت في ظل عرّ وارف أبداً

(*) القصيدة بلا عنوان، وقد قيلت في فتاة لبنانية اسمها سارة الخطيب.

(١) رياض: ابنة سارة الخطيب.

(٢) البيت فيه خلل عروضي.

أعجب الهوى

[الطويل]

تَعَلَّقَهَا قَلْبِي وَلَمْ أَدْرِ مَا اسْمُهَا
وَمَا كَانَ إِلَّا فِي الطَّرِيقِ لِقَاؤُنَا
أَمَّا عَجَبٌ - وَالْأَرْضُ مَلَأَى بِمِثْلِهَا -
وَمَا بِأَلْهَا لَمْ تَحْمِلِ الْوَجْدَ وَالْهُوَى
أَرَاهَا فَلَمْ أَمْلِكْ تَهَالُكَ وَاهِنٍ
فِيخْطِفُ لَوْنِي فَرَطُ مَا أَنَا وَاجِدٌ
يُخَيِّلُ لِي أَنِّي دَنَوْتُ فَأَعْرَضْتُ
ظَنَنْتُ بِهَا سُوءًا وَلَمْ تَجْنِ بَعْدُ مَا
وَيُعَرِّبُ عَنْ سِرِّ الضُّلُوعِ شَحُوبُهَا
وَأَقْسَمُ لَوْ حَدَّثْتُهَا وَتَكَشَّفْتُ

وَفِي عَيْنِهَا مَا بِي وَمَا سَمِعْتُ بِاسْمِي
وَلَحْظُ - كَبَاقِي النَّاسِ - يَرْمِي وَلَا يُصَمِّي
هُيَامِي بِهَا دُونَ الْحِسَانِ عَلَى رَغْمِي؟
لَغَيْرِي؟ لَهُ رُوحِي وَلَمْ يَعْدُهُ جَسْمِي
بِجَنْبِي مَسْلُوبِ الْجَرَاءَةِ وَالْعَزَمِ
بِهَا وَبِمَا يُلْقِي هَوَاهَا عَلَى وَهْمِي
فَأَصْرَفُ وَجْهِي مُثْقَلِ الصَّدْرِ بِالْغَمِ
يُظَنُّ بِهِ، مَا أَشْبَهَ الظَّنَّ بِالْإِنَّمِ
إِذَا مَا تَلَاقَيْنَا ، فَبَيْتُ إِذْنِ زَعْمِي
سَرَايُنَا مَا شَذَّ عَنْ هَمِّهَا هَمِّي

هُوَى أَلْفَتْ شَتَّى الْقُلُوبِ يَمِينُهُ
إِذَا كَانَ فِي دُنْيَا الْهُوَى مِثْلَمَا أَرَى
وَكَمْ قَطَعَتْ يُسْرَاهُ مِنْ صِلَةِ الرَّحِمِ
فَأَيُّ عَجِيبٍ فِي هَوَى الْعُمَى وَالصَّمِّ

- المصدر: ط. دار الشرق الجديد (١٩٣٢).

غادة إشبيلية

[السريع]

أفدي بروحي غيدَ إشبيلية
وإنْ أذقنَ القلبَ صابَ العذابِ

~~~~~

علقتُ منهنَّ بتربِّ النهارِ  
وجهاً، وصنو الليلِ قرعاً وعينِ  
في مثلها يخلعُ مثلي العذارُ  
ولا يبالِي كيف أمسى، وأين  
أشربُ منَ فيها وكأسِ العُقارِ  
معاً، فكيف الصحوُ من سكرتين ؟  
لهفي عليها يومَ شطِّ المزارِ  
وساقها البينُ إلى «النَّيرَينِ»<sup>(١)</sup>

ودعَّتها ، ومُهجتي مُشفيةً  
لم يشفني رشفُ الثنايا العذابِ  
وودعَّتْ بالنظرةِ المغريةِ  
تصحَّبُ لبيَّ معها في الرُّكابِ

~~~~~

- المصدر: ط. دار الشرق الجديد (١٩٣٢).

- «ملاحظة خصوصية: نظم الشاعر طوقان هذا الموشح في راقصة أندلسية إشبيلية كانت في مرقص النجار، ثم انتقلت إلى دمشق، وقد لا يكون انجذابه إليها بدافع جمالها وخفة روحها بمقدار ما كان يتقراه في خلقها من الدم العربي، وما كان يلاحظه من الفن الغربي في ثيابها ورقصاتِها. من هنا نشأ الميل وحوله يدور موضوع هذا الموشح» ملخص عن اعتراف الشاعر - جريدة البرق - بيروت - ١٩٣٢/٨/٣م.

(١) النيرين: النيرب اسم قريتين إحداهما قرب دمشق، والأخرى قرب حلب. يلمح من البيت أن الراقصة سافرت بعد مكثها في بيروت إلى دمشق» من كتاب «شاعران معاصران»، ص ٩٣.

يا أعصُرَ الأندلسِ الخالياتُ
قد فاز من عاش بتلك الربوعُ
أهكذا كانت هناك الحياةُ
مُتَرَفَةً الأيامُ ملءَ الضلوعِ ؟
أهكذا الفتنةُ في الغانيات
ونشوةُ الوصلِ، وَحَرُّ الولوعِ ؟
لئن مضى عهدُ ذويننا وفاتُ
ولم يَعُدْ من أملٍ في الرجوعِ

فدَمَّمتي بعهدهم مُوفيه
أردّ ماضيهم ببذل الشبابِ
أنا «ابنُ زيدون» وتصبو ليّه
«وَلَادَةٌ» في دمها والإهاب



أولُ عهدي بفنون الهوى
بيروتُ، أُنعمُ بالهوى الأولِ
وقيل هل يرشد قلبُ غوى
والرشدُ غيٌّ في الصَّبَا المقبلِ
مددتُ - لما قلتُ قلبي ارتوى -
يدي، فردّته عن المنهلِ

بيروت ، لو شئتُ دفعتُ النوى
طوعاً، ولم أهجرك، فالويلُ لي

في ذمّة الله مُنى مُوديه
باسقة خضراء، لُدن رطاب
لعلّ في أختك يا سُوريه
حُسن عزاءٍ عن جليل المصاب



يلذّ لي يا عينُ أن تسهدي
وتشتري الصفو بطيب الكرى
لي رقدة طويلة في غدٍ
لله ما أعمقها في الثرى
ألم تَرَي طير الصّبا في يدي ؟
أخشى مع الغفلة أن ينفرا
طال جناحاه وقد يهتدي
إلى أعالي دوحه مُبكرا

أرى الثلاثين ستعدو بيّه
مُغيرة أفراسُها في اقتراب
وبعد عشرٍ يلتوي عُوديه
وينضب الزيت ويخبو الشهاب^(١)



(١) ولكن توفاه الله قبل أن يُتم الأربعين، فقد قضى نحبه وهو في السادسة والثلاثين من عمره (أحمد طوقان).

لا بد لي إن عشتُ أن أعطفَا
على رُبا الأندلسِ الناضره
وأجتلي أشباحَ عهدِ الصُّفا
راقصةً فتَّانةً ساحره
هناك لا أملك أن أذرفَا
دمعي على أيامنا الغابره
عساك يا دمعَ مُحِبٍّ وفي
تردِّ جنَّاتِ المنى زاهره

يومئذٍ أُلقي على عُودِيَه
لحنَ الهوى أمزجه بالعتابِ
أفدي بروحي غيدَ إشبيليه
وإن أذقنَ القلبَ صابَ العذابِ

عاش كلانا بالمنى^(*)

[مجزوء الرجز]

كان هزارة طربا	بالحسن مُفْتَنَّا
فابتسم الحبُّ له	فأحسن الظنَّا
ثمَّ رماه بالتي	تُبدِّلُ اللحنا
بات يهيمُ نائحا	وطالما غنى

حُكِّمَ به الحبُّ قضى	ما أظلمَ القاضي
حسبك أن ترضى به	فإنني راضٍ
دَعَكَ من الماضي فلو	عُدْتَ إلى الماضي
وجدتَ وصلَ ساعةٍ	ودهرَ إعراضٍ

صَحَّ الذي جربته	عند «أبي سلمى»
الحبُّ يقتادُ الفتى	وقلبه أعمى
يسمو به حتى إذا	بَوَّاه النجما
رمى به من حالقٍ	يحطمه حطما

(*) موجهة إلى الشاعر عبد الكريم الكرمي (أبي سلمى) صديق المرحوم إبراهيم (أحمد طوقان).
- المصدر : ط. دار الشرق الجديد (١٩٣٢) .

عاش كلانا بالمنى نُرسلُها شِعِرا
تلك رُفَاتُ بليْت تبعثها الذكرى
نصوغُها ابتسامَةً أو دمعَةً تُذْرى
نشقى به حتى تَحْيَ نَ الراحةَ الكبرى

طير الصبا(*)

طيرُ الصَّبَا ولَّى	وكان لي جارُ
قُلْتُ له: «هَلْ	تعود للدار؟»
فقال لي: «كَلَّا	وطَّارُ
أظنُّه مَلًّا	منِّي الجوارُ
خُلِّفني أبكي	عهدَ الهوى
خُلِّعتُ من مُلُكي	عرشي هوى
عاش على الفتكِ	قلبٌ غوى
واليومَ في ضَنِّكَ	واهي القوى
قال «أبو سلمى» ^(١)	زَيْنُ أَتْرابي:
«صَبَّاكَ قَدْ هَمًّا..	خَلَّ التَّصَابِي
فهاج لي غَمًّا	أَقْتَلَ مِمَّا بي
قُلْتُ: «نَعَمْ حَتْمًا	وَشَابَ أَحْبَابِي

(*) «هل تستنتج من ذلك يا عمر [من هذه الأبيات] أنني صرت على أبواب الستين أو أبواب السبعين؟ هذا شعور خاص لي يكذبه الواقع ، لقد كنت في القدس منذ أيام، وأتيت من الأعمال ما يدل على خلاف هذا الشعر».

من رسالة الشاعر إلى د.عمر فروخ، وردت في مقال «ذكرى شاعر» لعمر فروخ نشرت في مجلة «الألواح» - مصر - ع ١٩٦، ٢٠ - يوليو ١٩٥١

(١) أبوسلمى: هو الشاعر عبدالكريم الكرمي صديق إبراهيم طوقان.

المغامرة

[الخفيف]

رُبَّ يَوْمٍ كَأَنَّمَا كَرَعَ الْبَحْدُ
رَ، فَغَطَّى السَّمَاءَ بِالْمُعْصِرَاتِ
يَتَزَاحَمْنَ فِي الْفُضَاءِ الْهُوَيْنَى
مُسْبِلَاتِ الذُّيُولِ مِنْهُمِرَاتِ
جَمَدِ الْقَرِّ مَعَشَرَ الطَّيْرِ حَتَّى
بَكَمْتُ فِي الْوُكُونِ مَرْتَكِمَاتِ
عَصَفِ الشُّوقِ يَوْمَ ذَاكَ بِأَضْلَا
عِي، فَأَزْرَى بِثُورَةِ الْعَاصِفَاتِ
لَمْ يَزَلْ بِي حَتَّى تَجَشَّمْتُ هَوْلَ السُّدِّ
سَيَّرَ عَدُوًّا إِلَى الْحَبِيبِ الْمُؤَاتِي
أَتَقَرَّى بَيْنَ الْهَضَابِ طَرِيقِي
مُسْتَنْيِرًا مَقَادِحَ الزَّفَرَاتِ
أَتَرَعْتُ لِي كَأْسَ الْمَدَامِ وَقَالَتْ:
هَآكِ، لَا تَرَفُضْنِيَّهَا بِحَيَاتِي!
قُلْتُ: مِنْهَا اشْرَبِي قَلِيلًا فَلَمَّا
مَزَجْتُهَا بِرِيقِهَا، قُلْتُ: هَاتِي!

- المصدر : «شاعران معاصران» ، د.عمر فروخ (١٩٢٢).

ذكرى عشية زهراء

[الكامل]

هل «كفرُكنة» مُرجعٌ لي ذكرُها
ما فاتني من عنفوان شبابي!^{١٩}
أم في صباياها وفي رُمانها
ما يبعث المدفونَ من أرابي
لو تنفع الذكرى ذكرتُ عشيةً
زهراءَ بين كواعبِ أتراب
فيهنَّ أسرةُ القلوبِ بحسنها
ودلالها وحديثُها الخلاب
روحٌ أخفُّ من النسيمِ وخاطرٌ
كالبرقِ مقرونٌ بحُسنِ جواب
غرُّ ثناياها وأشهد أنها
ممزوجةٌ رشفاتُها بشراب
نُلقي أحاجي بيننا فتثيرنا
للضحك خاطئةٌ وذاتُ صواب
ونُرددُ الألحانَ، بين شجيرةٍ
تُمرِّي مدامعنا، وبين عذاب

- المصدر: ط. دار الشرق الجديد (١٩٣٣) .

ولقد نُعْرَضُ باللقاء لموعِدٍ
فيها، ونُسلكها طريقَ عتاب

قمنا وقد سقط الندى وتزاحفتُ
سُجُفُ الغمامِ ثَقِيلَةَ الأهدابِ
تُخْفِي مُحْيَا البدرِ ثمَّ تُبَيِّنُهُ
عبثُ المليحةِ دوننا بنقابِ
وجفتْ مضاجعُها الجنوبُ وملؤها
خفقانُ مضطرمِ الهوى وثأبِ
بتنا على صفوٍ وخوفٍ تَفَرُّقِ
للعاشقين مُهَيَّئِ الأسبابِ

«نيسانُ» هان عليَّ حكمُكَ بالنوى
لَمَّا تحطَّمتِ المنى في «أب..»
يا ليت من فَجعتْ فؤادي بالمنى
لم تُبقِ لي ذكرى تُطِيلُ عذابي

هدية رمان^(١)

[الخفيف]

قد فهمنا من الهدية معنى
غير معنى الرمان من «كفرنا»
فأثارت ذكرى وهاجت جراحاً
تركنتني من الصبابات مضمناً
قريّة يُقرن اسمها باسم «إبرا
هيم»، ممّا تفيض حبّاً وحسناً
ملعباً للصبأ وقد كان يُوحى
كلّ يومٍ مهما أفاض وأثنى

(١) «قالها حين أرسل إليه فكتور بشارة من الناصرة ومصباح كنعان هدية رمان قالوا إنها من كفرنا».

صورتها المكبرة(*)

[السريع]

بَرَّحَ بي الشوقُ فلما طغى
فزعتُ للرسم فكبرته
وما شفى داءً، ولكنما
قلبي شكا البعدَ فعَلَلته
ولم أجِدْ في الرسم أخلاقها
جَرَّبْتُها حيناً وجَرَّبته
منتظري في غرفتي دهره
جُودُ بخيلٍ ما تَعوَّدته
ظلَّ وقد ناجيته باسماً
ولم يمانع حين قبَلته
عرفتُ للرسم إبداعه
وعدتُ للرسم فأنكرته
قد فاته دلٌّ تعرَّفته
فيها ، ومَطْلُ كم تذوَّقته
لو جاءني الرسامُ بالمشتهى
كفرتُ وأشركته

(*) كان إبراهيم قد أعطى الأستاذ مصطفى فروخ صورة صغيرة لمغربيتا (راقصة إسبانية تعرّف إليها ببيروت) وطلب منه أن يكبرها بالالوان المائية، وأنهى مصطفى فروخ الصورة وأرسلها إلى إبراهيم فأعجب بها إبراهيم فقال: «ولا زالت أنامل مصطفى تخرج المبدع». من كتاب: «شاعران معاصران» لعمر فروخ، ص ٩٥.

بعد أعوام... للذئب، لا للحب، رياها

[السريع]

كم قائلٍ لو كنتَ تلقاها لأنكرتُ عيناكَ مرآها
ذابلةً، ناحلةً، قد محتُ يدُ الأسي القاسي مُحيّاها
لا تلقها، لا ترها، إنها مرَّ بها الموتُ فأخطاها



وسائلٍ هل بقيتُ فضلةً لديكَ من حبِّها وذكرها!
قد مرَّ عامان وها ثالثُ وواحدُ كافٍ لتنساها
وأنتَ كالنحلة من زهرةٍ لزهرةٍ تُسليكُ إياها



أخطاتما لم تعرفا ما الهوى كلاكما عن كنهه تاهَا
السقمُ لا يصرف وجهَ امرئٍ عن وجه محبوبه وإن شاها
كلا ولا يُقصيه يوماً ولو كان من الأسقام أعداها
والموتُ ما أبلى هوى عاشقٍ ومهجة المعشوقِ أبلاها
دونكَ قيساً مثلاً إنَّهُ إن جئتَ بالأمثال أعلاها
ما زال يغشى قبرَ ليلى إلى أن أسلم الروحَ فلبَّأها



ألا ترى النحلة مهما حلا زهرُ الربا لم تنسَ مأواها
تطلبتُ عيني سواها، وقد تعلَّقَ القلبُ بمغناها

- المصدر: جريدة «الجزيرة» - يافا - ١٩٣٥/٢/٨.

نعم، تذوّقتُ هوى غيرها فلم يطبُّ للقلب إلّاها
وإنْ أجدُ حُسناً فمن حُسْنِها أو نفحةً فتلك رِيّاها
أو قلتُ في شكواي (أها) سرّتُ وردّدَ الوادي صدى أها



مظلومةٌ سيقتُ إلى ظالمٍ نَغَصَ مَгдаها ومَسراها
كان أبوها راعياً غاشماً للذئبِ لا للحبِّ رِيّاها



إلى الممرضة الروسية(*)

[السريع]

يا حلوة العينين يا قاسية	سرعان ما أصبحت لي ناسية
أما أنا فلست أنسى يداً	ناعمة تجود بالعافية
لئن شفى الطبُّ ضنِّي عارضاً	فمهجتي أنتِ لها شافية
وإبرة الآسي على نفعها	أفعلُ منها نظرةً ساجية
تبعثها عيناكِ في أضلعي	فيأضةً بعطفها، آسِية
تلاُم قلباً نكأت جرحه	فعاد يهوى مرةً ثانية
وتُطفئ النارَ التي حُرِّكتُ	فأرجعُنها زفرةً حامِية

قيصرة الحسنِ ، ألا أشتكي	إليكِ من جوركِ يا طاغية؟
هل كان نسيانُكِ لي هفوةً	أم خُطةً أشراكُها خافية ؟
سيِّدتي، ذنبُكِ مهما يكنُ	تغفره أَعذارُكِ الواهية

(١) «يبدو أنها كانت في نابلس في عيادة أحد الأطباء، وكان إبراهيم يتردد على ذلك الطبيب ليصير حقنه بإبر.. والظاهر من المقطوعة أن هذه الممرضة الروسية هي التي كانت تتولى أمر حقنه بتلك الإبر» من كتاب: «شاعران معاصران» ص ٩٨.

ناشدتك الإسلام

[السريع]

إلى فوز...

يا «فوز» ويلي منك يا قاسية	عَذَّبْتَنِي ظُلماً ، كفى ما بية
أراك في اليوم ثلاثاً ولا	أنال إلا النظرة الجافية
والله لو تدرين ما قصتي	ما كنت عن حالي إذن راضيه
بل كنت لي عوناً على غربتي	وكنت لي راحمةً آسيه
مرضت أياماً ولم تطلعي	ظلمتُ فيها مهجتي داميه
أسأل عنك الناس مستخيراً	ولهان أدعو لك بالعافيه
حتى إذا أبليت يا منيتي	خَفَّفَ عني الله بلوائيه
بشراك يا قلبي فقد أصبحت	تغدو إلى مَلْعِبِها ثانيه
مليكة ما بين أترابها	يا ليتني كنت مع الحاشيه
يا وردة تُرسل أنوارها	فيضاً على الكون من الرابيه
يا ربة المنديل من تحته	نُبْعَةُ حُسْنِ ثَرَّةٍ صافيه
ناشدتك الإسلام لا تقتلي	أخاك في دينك يا قاسيه

- المصدر : ط. دار الشرق الجديد (١٩٣٥).

إلى ذات السوار

[الهج]

هـبـيـنـي لا أَسْمِيـكِ	ولا أَظْهـر حُبِّـكِ
وتُلْقـى بـيـنـنـا الحُجُبُ	فأُحْيـا لا أُلَاقـيـكِ
هـبـي ما شئتِ؛ إِنَّ القَلْدَ	بَ، ما انْفَكَّ يـنـاجـيـكِ
ويرتـاح إلى النـجـوى	وفي النـجـوى يُحْيِيـكِ
ويطغى اللـيـلُ والشـوقُ	فـيـدعوكِ ويـبـكيـكِ
ويستأنس بالصـبـحِ	لـما يـرويه عـن فـيـكِ

- المصدر : ط. دار الشرق الجديد (١٩٣٥).

بلا عنوان

[الرمل]

لم تزل تهجرني منذ سنين ليتني أنعم يوماً برضاك

كنتُ في روضٍ أنيقٍ فإذا بحبيبين من الطير هناك

إنهما طارا يكونان معاً ومعاً لفهما دوح الأراك

ليتنا يا هاجري مثلهما في تعاطينا الهوى، لكن أراك

لم تزل تهجرني منذ سنين ليتني أنعم يوماً برضاك

ههنا نرجسةٌ قبلها عاشقٌ هام بها يدعى نسيمٌ

منحته طيبها يُشفى به كلُّ ذي قلبٍ من الهجر سقيم

ليتنا يا هاجري مثلهما في تساقينا الهوى، لكن أراك

لم تزل تهجرني منذ سنين ليتني أنعم يوماً برضاك

في ظلام الليل لاحت نجمةٌ وهفا نجمٌ إليها مُطرقاً

يا حبيبَ الروحِ ها إنهما في عتابٍ وانقضى، فاعتنقا

ليتنا يا هاجري مثلهما في تشاكينا الهوى، لكن أراك

- المصدر : ط. دار الشرق الجديد (١٩٤٠).

لم تزل تهجرني منذ سنين ليتني أنعم يوماً برضاك

شملَ الكونَ الرضا حتى غدا وهو طيبٌ وجمال وصفا

يا ملولَ القلبِ ما في الكون من عاشقينِ اثنينِ إلا ائتلفا

فمتى يا هاجري منك الرضا؟ ومتى يصفو الهوى؟ لكن أراك

لم تزل تهجرني منذ سنين ليتني أنعم يوماً برضاك

مآتم في حنايا القلب

[مجزوء الوافر]

ألا لا تذكر الناسا	لصبُّ شارف الياسا
لقد غطى على عيني	هواها ومحا الناسا
فيا من ذوب القلب	ويا من شيب الراسا
لقد أمعنت بالخاف	حق إيلاماً وإتعاسا
ويا لله ما لاقى	ويا لله ما قاسى
ألم يأن لهذا القل	حب، أن يعرف إيناسا؟
ألا تملاً يا حب	بغير الدمع لي كاسا



يلومون دعوا اللوم	فلا أسمع وسواسا
ومن يبقى له عقل	إذا ما قدّها ماسا؟
مآتم في حنايا القل	حب، هل تُصبح أعراسا؟



- المصدر: مجلة «الأحد» - دمشق - ١٩٤٢/٣/٢٢، ولا يعرف تاريخ نظمها .

[مجزوء الكامل]

إِنَّ الَّتِي عَانَقْتُهَا أَخَذْتُ عَنِ الرُّوضِ الشَّمَائِلِ (*)
أَلَفْتُ مَنَادِمَةَ الْغَدِيدِ وَحَاوَرْتُ ظِلَّ الْخَمَائِلِ
وَتَعَلَّمْتُ مِنْ طَيْرِهَا لَحْنَ الْعُنَادِلِ وَالْبَلَابِلِ
تَالِلِهِ لَمْ تَتْرَكَ غَرَا ثُبُّ حُسْنِهَا قَوْلًا لِقَائِلِ

(*) المقطوعة بلا عنوان، وبلا تاريخ.

[المجتث]

كفأك يا قلبُ شكوى
من حبٍّ سلمى و«سلموى» !
واحترتَ يا قلبُ فانظرُ
بأيِّ نارٍ تُشكوى ؟!
تُذيقني الحبَّ «مُراً»
تخاله أنتَ «حُلوا»
إني لأجـزـعُ إن قـيـد
لـ : عاد قلبُك يـهـوى !
فقد وقعتُ بـبـلـوى !
نهضتُ منها لـبـلـوى !
وفي الزوايا بقايا
أبغى إليها سـلـوا !
يا قلبُ وحدك فاخفق
لا أسـتـطـيع رُئـوا !

- المصدر: «إبراهيم طوقان في وطنياته ووجدانياته»، البدوي المثلث، وهي بلا تاريخ، وبلا عنوان.

[البسيط]

قامتُ إليَّ على خوفٍ تكلمني
ملهوفةً وتُسِرُّ القولَ في أذني
فمسّني شَعْرُها في الخدِّ فانسربتُ
في رعدةٍ منه عَمَّتْ سائرَ البدنِ
ما وحشةُ الليلِ والأكوانِ ساكنةُ
غرقى المحاجرِ في بحرٍ من الوسنِ
أبيتُ سهرانَ رِيَّانِ الدموعِ بهِ
طاوي الضلوعِ على مُستبسلِ الحزنِ
كلا ولا البحرُ يعلوه الشحوبُ لدى
نعيبه كشحوبِ الوجهِ من شجنِ
ولا أشعةُ نجمٍ حوله انبثقتُ
بهنَّ رجعةُ شيخٍ مُدبرٍ يَفَنُ
كشعرها ومُحيّاها إذا اعتنقا
ومقلتاها وقلبي حين ترمقني

- المصدر: «إبراهيم طوقان في وطنياته ووجدانياته»، البدوي الملتئم، وهي بلا تاريخ، وبلا عنوان.

[الرجز]

لم تدري ماذا قد أصاب قلبي
أصابه بعض شُواظِ الحبِّ
رمته عن بُعدٍ معاً وقُربِ
إحدى غواني «جِلَق»^(١) وحسبي
فراح خفاقاً شديداً الضربِ
يُنذر بالويل وطول الكَرْبِ
فجئتُ أَسْتَشِيرُ «أهلَ الطِبِّ»
إنْ شاء يُذكي ناره أو يُخبي

(١) جِلَق: من أسماء مدينة دمشق .

- المصدر: «إبراهيم طوقان في وطنياته ووجدانياته»، البدوي الملتئم، وهي بلا تاريخ، وبلا عنوان.

لا تهبُ قلبكَ الكريمَ لئيماً
تحت رجليه عابثاً يُلقيه

الشعر

[الطويل]

لعمركَ إن جَارَ الزمانُ وفَرَّقَا وهذا زمانٌ غدرُهُ ليس يُتَّقَى^(١)
فيا رَسْمُ كُنْ ضِدَّ الزمانِ وغدرِهِ بضمِّكَ جَسْمَيْنَا فَإِنَّ لَكَ البقا
كلانا صديقٌ والفؤادان واحدٌ ولو كان دَيْنٌ عن أخيه تفرَّقَا
وأُدعى كما يُدعى^(٢)، وأشقى شقاءَهُ ويشقى شقائِي إن ألمَ بي الشَّقَا
ستجمعنا هذي الوُرَيْقَةُ إن قُضتْ علينا النوى في الأرض أن نتفرَّقَا

(١) وُجِدَتِ الأبيات على ظهر صورة فوتوغرافية جمعت بين الشاعر وصديقه «إبراهيم مطر»، وقد كتبَ عليها : «نظم هذه الأبيات قلب مملوء بالإخلاص والمحبة الطاهرة». والمقطوعة بدون عنوان.
(٢) في المصدر وردت الكلمة «أُدعى» والسياق يفترض أن تكون «يُدعى» ولعلَّ في الأمر خطأ مطبعياً.

ملائكة الرحمة^(*)

[مجزوء الكامل]

بِإِضْهِ الحَمَائِمِ حَسْبُهُنَّ أَنِّي أُرَدُّ سَجْعَهُنَّ
رَمَزُ السَّلَامَةِ وَالْوَدَا عَةٍ مِنْذُ بَدْءِ الْخَلْقِ هُنَّ
فِي كُلِّ رَوْضٍ فُوقَ دَا نِيَّةِ الْقَطُوفِ لِهِنَّ أَنَّهُ
وَيَمْلُنَ وَالْأَغْصَانُ مَا خَطَرَ النِّسِيمِ بِرَوْضِهِنَّ
فَإِذَا صَلَاهُنَّ الْهَجْدِ رُهِبْنَ نَحْوَ غَدِيرِهِنَّ
يَهْبِطْنَ بَعْدَ الْحَوْمِ مِنْ لَ الْوَحْيِ، لَا تَدْرِي بِهِنَّ
فَإِذَا وَقَعْنَ عَلَى الْغَدِيدِ رٍ، تَرْتَبْتُ أَسْرَابُهُنَّ
صَفَائِنَ طَوْلَ الضَّقَّتِي نِ، تَعَرَّجًا بِوَقُوفِهِنَّ
كُلُّ تُقْبَلُ رَسْمَهَا فِي الْمَاءِ سَاعَةً شَرِبَهُنَّ
يُطْفَنُ حَرَّ جُسُومِهِنَّ نَ بَغْمَسَهُنَّ صَدُورُهُنَّ
يَقَعُ الرَّشَاشُ إِذَا انْتَفَضَ نَ لَأَلْنَا لِرُؤُوسِهِنَّ
وَيَطْرُنَ بَعْدَ الْإِبْتِرَا دِ إِلَى الْغُصُونِ مُهَوِّدِهِنَّ
تُنْبِيكَ أَجْنَحَةٌ تُصَفُّ فِقْ كَيْفَ كَانَ سُرُورُهُنَّ
وَيُقَرُّ عَيْنُكَ عِبْتُهُنَّ نِ، إِذَا جِثْمَنَ، بِرِيشِهِنَّ
وَتَخَالِهِنَّ بِلَا رُؤُ سِ حِينَ يُقْبَلُ لَيْلُهُنَّ
أَخْفَيْنَهَا تَحْتَ الْجَنَّا حَ وَنَمْنُ مَلَأَ جُفُونَهُنَّ
كَمْ هَجَّنَنِي وَرَوَيْتُ عُنْدَ هُنَّ الْهَدِيلَ، فَدَيْتُهُنَّ !



(*) «في أثناء هذا المكث في مستشفى الجامعة الأميركية (بيروت) نظم إبراهيم طوقان قصيدته «ملائكة الرحمة»، في ١٩/١٠/١٩٢٤». من كتاب: «شاعران معاصران» لعمر فروخ، ص ٢٠.

المحسناتُ إلى المريد خض، غَدُونْ أشباهاً لهنَّه
الرَّوْضُ كالمستشفيا ت، دواؤها إيناسُهنَّه
ما الكهرباءُ وطبُّها بأجلَّ من نَظراتِهنَّه
يشفي العليلَ عناؤهنَّ نَ وعطفهنَّ ولطفهنَّه
مُرُّ الدواءِ بِفِيكَ حُلْ وُ من عذوبة نُطقهنَّه
مهلاً، فعندي فارقُ بين الحَمامِ وبينهنَّه
فلربَّما انقطع الحَما ثَمُّ في الدُّجى عن شدوهنَّه
أما جميلُ المحسنا ت، ففي النهار وفي الدجنَّه

مناجاة وردة

[السريع]

جنى عليك الحسنُ يا وردتي
وطيبُ رِيَّاكِ فذقتِ العذابُ
لولاهما لم تُقطفي غُضَّةً
بل لا تُطوي في الروضِ عنكِ الشبابُ
لولاهما مرَّ بكِ العاشقونُ
لا ينظرونُ
وربما أعرضَ عنكِ الندى
وجازكِ الطيرُ فما غرَّدا
عُرفتِ بالفضلِ وكم فاضلٍ
جنى عليه الفضلُ يا وردتي



روضتكِ الغناءُ يا وردتي
قد أنبتتِ من كلِّ زوجٍ بهيجٍ
تنفَّسَ الصبحُ بأزهارها
عن ضاحكِ اللُّونِ زكيِّ الأريجِ
نَسرينُها، ورندُها، والأقاحُ
كلُّ مُباحٍ

- المصدر: ط. دار الشرق الجديد (١٩٣٠).

تَنْقُلُ عَنْهَا نَسَمَاتُ الصَّبَا
تَحْيِيَّةً لِكُلِّ قَلْبٍ صَبَا
وَطَوْفَ النَّاسِ بِأَرْجَائِهَا
فَوَقِّفُوا عِنْدَكَ يَا وَرْدَتِي !



لِلَّهِ مَا أَصْدَقَهَا حِكْمَةً
(١) فَاهِ بِهَا «الْمَجْهُولُ فِي عَهْدِهِ»
«تَشْتَاقُ أَيَّارَ نَفُوسِ الْوَرَى
وَإِنَّمَا الشَّوْقُ إِلَى وَرْدِهِ»
تَعْزِيَةً أَوْدَعَ فِيهَا الضَّرِيرُ
حُكْمَ الْبَصِيرِ
أَلَمْ يَكُنْ فِي قَوْمِهِ كَوَكْبَا
لَا حَ لِيَمْحُو نُورَهُ الْغِيهَابَا
فَمَا لَهُمُ الْمَهْمُ فَضْلُهُ
حَتَّى لَقَدْ أَدَّوهُ يَا وَرْدَتِي



تَحْكُمُ النَّاسَ بِمُسْتَضْعَفٍ
سِرٌّ مِنَ الْأَسْرَارِ لَا يُدْرِكُ
يَا وَرْدَتِي وَرُبَّ سَهْلٍ بَدَا
طَرِيقُهُ يُهْلِكُ مَنْ يَسْلُكُ

(١) الإشارة إلى أبي العلاء المعري ، والبيت التالي له .

هل حسبوا عُصْنَكِ لِمَا دَنَا
سهلَ الجنى ؟
كلّا، بَلِ النَّفْسُ الَّتِي تَضَعُفُ
تصطنعُ البأسَ فلا تعرفُ
والسرُّ في بطشِ الورى خوفُهمْ
منْ هذه الأشواكِ يا وردتي

« حرب بالاس أوتيل »

[البسيط]

لا تعبأً بطيف الهم إن طافا واقصد مصايف رام الله مصطافا
وانزل بفندق «حرب» إن نزلت تجد جنات عدن على جنبه ألفافا
لكل حسن نصيب من بدائعه: شاق عيوناً وأسماعاً وأنافا
غرائب الحسن، أئى شئت، ماثلة تحار فيهن أنواعاً وأصنافا



نزلت فندق «حرب» فانتنت هرباً عني الهموم وعاد الصفو أضعافا
ذكرت فيه لأذار فواضله من بعدما سامني تموز إتلافا
قصر أطل على «الوديان» مرتفعاً لو كان ينطق نادى: «هذه يافا»
تخاله، وهو رأس في قواعده إذا دجا الليل، بالأنوار رجافا



لي ليلة من ليالي الأنس واحدة ما ضر لو أصبحت في العمر ألفا
شهدت فيها وجوه البشر باسمه وفي «محارب» روض الأنس مئافا
والغيد لؤلؤة في جنب لؤلؤة جعلن من غرف في القصر أصدافا
برزن بعد طواف الكأس مترعة يجبن عازفة تشدو وعزافا
وهب للرقص فتیان فلست ترى إلا معاصم قد رنحن أعطافا



أقبل على كل مشروع رأيت به خيراً لنفسك والأوطان قد وافى
والمال ما دام للأوطان مرجعة لا تدع إنفاقه في اللهو إسرافا

- المصدر: جريدة «مرآة الشرق» - القدس - ١٩٣٠/٧/١٥ -

ليلى كوراني^(١)

[الرمل]

بين ليلى وسعادٍ ومُنَى
حار «إلياس» كما حِرتُ أنا
غَيْرَ أَنِّي لَا أَرَى مِنْ عَجَبٍ
أَنْ يَكُونَ الْاسْمُ قَدْ حَيَّرَنَا
تَكْثُرُ الْأَسْمَاءُ فِي شَيْءٍ إِذَا
كَثُرَ الْمَعْنَى بِهِ أَوْ حَسُنَا
طِفْلَةٌ عَنْ وَالِدِيهَا نَسْخَةٌ
كَرَمْتُ أَصْلًا وَطَابَتْ مَعْدُنَا
قُلْ لَوَجْهَ الْبَدْرِ إِنْ قَابَلَتْهَا
جَاءَكَ الْحُسْنُ انْعِكَاسًا مِنْ هُنَا
لَكِنْ الْبَشَرَى بَلِيلَى أَنَهَا
أَوَّلُ الْأَزْهَارِ فِي رَوْضِ الْهَنَاءِ
أَطْعَمَ الْعُرَابَ رَبِّي مِثْلَهَا
رَبِّ مَا ضَرَّكَ لَوْ أَطْعَمْتُنَا ؟
رَبِّ أَطْعَمْنِي غَلَامًا شَاعِرًا
لِدَوَاعِي الْحُسْنِ مِثْلِي مُذْعِنَا
وَلِيَكُنْ مَجْنُونٌ لَيْلَى وَلِيَكُنْ
طَيِّبَ الْقَلْبِ ظَرِيفًا لَسِنَا
وَلِيَكُنْ مِثْلَ أَبِيهِ: إِنَّنَا
لَمْ نَوْفِّرْ غَادَةً فِي شِعْرِنَا

(*) السيد إلياس كوراني - أستاذ في الجامعة الأميركية - رَزَقَ طفلة حار في تسميتها فكانت سعاداً ثم منى ثم قرَّ قراره على ليلى. وقد دعا نخبة من معلمي الجامعة الأميركية إلى حفلة أنس في داره فالقيت هذه الأبيات.

الحبشي الذبيح

[الكامل]

.. هذه الديكة الحبشية أو الديكة الهندية - إذا شئت - التي يذبونها على رنين الأجراس وأفراح المعيّدين لتكون (عروس المائدة) تعمل فيها المدى تقطيعاً وتشذيباً لتمتلئ بها البطون مروية بكؤوس الخمر من بيضاء وحمراء..

كذلك هي الأمم المغلوبة على أمرها كانت، وما برحت «عروس الموائد» شأن «الحبشي الذبيح» أما ريشه فتُحشى به الوسائد، وأما لحمه فتحشى به البطون.

«جريدة البرق البيروتية»

برقت له مسنونة تتلهب

أَمْضَى من القدر المتاح وأغلب

حرّت فلا خد الحديد مُخَضَّب

بدم ولا نحر الذبيح مُخَضَّب

وجرى يصيح مُصَفَّقاً حيناً فلا

بصر يزوغ ولا خطى تتنكب

حتى غلت بي ريبة فسألتهم :

خان السلاح أم المنية تكذب ؟

قالوا حلاوة روحه رقصت به

فأجبتهم ما كل رقص يُطرب

هيهات، دونك قضى، فإذا به

صَعَق يُشَرِّق تارةً ويُغرب

- «ليس من الفن الشعري في شيء أن تحصر السامع أو القارئ في نقطة معينة.. فقد يرى العاشق في الأبيات غزلاً، والوطني حماساً، والاجتماعي إصلاحاً..» (تعليق للشاعر على ما كتبه جريدة البرق عند نشرها للقصيدة) .

وإذا به يَرُورُ مختلفَ الخُطى
وزكيَّة مَوْتورة تَتَصبَّب
يعدو فيجذبه العياءُ فيرتمي
ويكاد يظفر بالحياة فتهرب
مُتدفِّقٌ بدمائه مُتقلِّبٌ
مُتعلقٌ بذمائه مُتوثِّبٌ
أعذابه يُدعى حلاوة روجه ؟
كم منطقٍ فيه الحقيقة تُقلِّب
إنَّ الحلاوة في فم مُتَلَمِّظٍ
شرهاً ليشربَ ما الضحية تسكب
هي فرحة العيدِ التي قامت على
ألم الحياة، وكلُّ عيدٍ طَيِّبٌ

آل عبد الهادي

[الكامل]

(بمناسبة افتتاح ناديهم في نابلس)

عهد الجدود سقاكَ صَوْبُ عِهادٍ
ورجعتْ للأحفاد بالإسعادِ
ماضٍ تحصَّنتِ البلادُ بظلهِ
من كيدٍ مُنتدبٍ وصوله عادِ
المشرفيَّةُ في الوغى خطبأؤه
تعلو منابرٌ من مُتون جِيادِ
وشبَّبا الأسنَّةُ فيه ألسنَّةُ إذا
نطقتْ فمَنطقُ سؤددٍ وسَدادِ
وطنيَّةُ إن لم يكن عُرِفَ اسمُها
لم يخفَ جواهرُها على الأجدادِ
وتحرَّجوا أن لا يمسَّ حروفُها
قلمُ الجبانِ يخطُّها بمدادِ
حمراءُ أوردتها الدماءُ حفاظُهم
كدراءُ لم تنفضَ غبارَ جهادِ
سائلُ بها «عزَّونَ» كيف تخضَّبْتُ
بدم الفرنجةِ عند جوف الوادي^(١)

(١) واقعة عزَّون: خرجت فرقة بقيادة الجنرال «لان» من مرج ابن عامر، حيث كان نابليون ضارباً بجنوده، وجعلت وجهتها عزَّون، وهي قرية لا تبعد كثيراً عن الساحل الفلسطيني شمالي يافا، وفي الوادي خرج عليهم شباب من أهل عزَّون بزعامة محمد الشبيطة فهزموهم وأعملوا القتل فيهم (أحمد طوقان).

دعتِ الرجالَ ولم تكد حتى مشتُ
هَمَمٌ إلى الهيجاء كالأطواد
ثم التقوا تحت السيوف وبينهم
كأسُ الحتوفِ تقول هل من صاد
كسروا من النسِر الكبير جناحهُ
ذي التاج والأعلام والأجناد
تركوه يجمع في الشعاب فلولهُ
ويصبُ لعنتهُ على القُوداد
رجع الأباة الظافرون وليس من
مُتبجِّحٍ فيهم يصيح: بلادي

هل أهلكتُ «فروخ» إلا نخوةً
منا لعسفٍ فيه واستبداد؟^(١)
لِمَ يا دعاة السوءِ يُطمس فضلُ مَنْ
أضحى غداة الظلم أولَ فادي؟
ثارت «بصالح» نخوةً قذفت بهِ
في وجه أقبح ظالمٍ مُتَماد
ومضتْ به صُعُداً إلى كرسيهِ
والموتُ في يده وراءَ زناد
ألقي به وبظلمه من حالقٍ
مُتضرِّجين بحُمرة الفرصاد

(١) حادثة صالح وفروخ: حكم نابلس من قبل الأتراك العثمانيين حاكم اسمه فروخ باشا، فطغى حتى ضاق الناس بظلمه، لذلك قام صالح طوقان بمهمة تخليص نابلس من ذاك الطاغية، فصعد إلى حيث كان يجلس فروخ في غرفة في السراي القديمة تطل على الساحة العامة، ولما صار أمامه أطلق صالح عليه عياراً نارياً مزق رأسه ثم أخذ برجله وألقى به من حالقٍ إلى الأهلين الفائرين المجتمعين في الساحة. وصالح طوقان هذا هو الذي ورد ذكره في تاريخ المرادي (سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر) بمناسبة ثورة بعلبك (أحمد طوقان).

هل عهدُ «إبراهيم» غيرُ صحيفةٍ
قد أشرقتْ بالعليةِ الأمجاد ؟
أهلُ الفُعالِ الغُرِّ من أنجادهِ
وذوي الحفاظِ المرِّ من أندادِ
كرُمتْ نحيزتُهم فهم نبلأء في
أهوائهم نبلأء في الأحقادِ
قالوا: أتمدح؟ قلتُ: أهلُ فضائلِ
وفواضلِ من آلِ عبدالهادي
أصفيئتُكم ودي وأعلم أنه
ثقلُ على اللؤماء من حُسّادي
لم يبتهجُ قلبي كبهجته بكم
لما تَجَمَّعَ شملُ هذا «النادي»
شمختُ بطارف مجدكم أركائهُ
وتوطدتُ منكم بخيرِ تلادِ

سريا أبا الغيث

[المتقارب]

فراقك في المطلب الطيب فشرق إذا شئت أو غرب
وسريا أبا الغيث عن منزل رحيب إلى منزل أرحب
وماذا يضرك ألا يكون دمشق وعصفورة النيرب^(١)
فلسطين بعض دمشق الشام ووادي الكنانة من يثرب
ولكن فراقك أشجى المحب وشق الوداع على المعجب

(*) بمناسبة حفلة تكريم الشاعر السوري «خير الدين الزركلي» في نابلس قبل سفره إلى مصر.
(١) عصفورة النيرب: مدينة حلب.

مصرع بلبل (*)

[الخفيف]

هذه حكاية رمزية تمثل ناحية من الواقع في حياة المدن الكبرى حين يدخل غمارها الشاب قادماً من البلدة الصغيرة أو القرية البسيطة.. هذه الحياة الصاخبة تخلق ذلك الشاب بزخرفها وفنون لونها وألوان عبثها، تجتذبه فيرتمي بين أحضانها ويلقي بقياده إليها فتذهب به في مزالق الضلال كل مذهب.

ثم تُسفر هذه الحياة عن وجه كالح، وتنقشع نشوتها عن صحو مضى أوانه.. فإذا هنالك إفلاس في أحد ثلاثة: في المال، أو الصحة، أو المستقبل. وكثيراً ما أُعلن الإفلاس في الثلاثة جميعاً، وهناك الفاجعة الأبدية.. أما «البلبل» في هذه الحكاية فرمز الشاب المخدوع، وأما «الوردة» فترمز إلى بائعة اللهو والعبث.. وأما «الروض» فهو رمز الحانة أو الملهى

قدَرُ ساقه فأواه روضاً	لم يكن طار فيه قَبْلاً وغنى
فاستوى فوق أكمةٍ ورمى عيَّ	نَيْهٍ فيما هناك يُسرى ويُمْنى
وإذا الروضُ بهجةً الروح طيباً	وظلالاً، وفتنةً العين حُسناً
وكأنَّ الغديرَ بين ضلالٍ	وهْدَى كَلِّما استوى أو تثنى
تنحني فوقه كرائمُ ذاك الدُّ	نَوْحٍ، منها الجنى، وكم يتجنَّى
مطمئنُّ يسيرُ تيهاً، فإنْ را	مَ عناقِ الصخورِ صَدَتْ فجُناً
هكذا يصبح الحبيبُ المَعْنَى	بعد حينٍ وَهُوَ المحبُّ المَعْنَى

ومضى البلبلُ الغريبُ يطوف الرُّ	رَوْضَ حتى انزوى مُحياً النهار
راح يَأْوِي إلى الغصونِ، ولكنْ	كيف يغفو مُشَرِّدُ الأفكارِ ؟

(*) «هو مشهد مستوحى من إحدى رقصات مرغريتا، ومن قصيدة «البلبل والوردة» للشاعر الإنكليزي أوسكار وايلد». من كتاب «شاعران معاصران» لعمر فروخ، ص ٩٦.
- المصدر: ط. دار الشرق الجديد (١٩٣٤) .

كان في الروض فوق ما يتمنى من فنون الأثمار والأزهار
غير أن ليس فيه طيرٌ يغني أي روضٍ يحلو بلا أطيّار ؟
وسرت فيه رعدة حين لم يد ق سوى دارسٍ من الأوكار
وبقايا نواقفٍ رخم الموم ت عليها مخضب الأظفار
أي خطبٍ أصابكم معشر الطيّ ر؟ وماذا في الروض من أسرار؟

طلع الفجرُ باسماءٍ إثرَ ليلٍ دونه وحشةٌ كهوفُ المنى
تتنزى أشباحه صاخباتٍ عارياتٍ، أكفها، دمويّه
ورجومٌ تفري الغيومَ وتهوي كل رجمٍ من الجحيم شظيّه
وخسوفٌ تحدتَ البدرُ فيه بغم الحوتِ مُنذراً برزيّه
ذاك ليلٌ قضى على البلبل المد كود، لولا يدٌ تصدتّ عليّه
ملكه عرشها المشارق والتا ج سناها، أعظم بها شرقيّه
أنقذته فهب يشدو شكوراً مرحاً، هاتفاً لها بالتحية:

مليكة النيّراتِ إلهة المشرقين
الناسُ في الغابراتِ إليك مدّوا اليدين
وأحرقوا في الصلاة نضارهم واللجين

وقربوا الأعناق
رُفَى تراق

يا ليلُ إن الصبّاحَ رمزُ حياةِ الورى
أنفاسُهُ في البطّاحَ وروحُهُ في الذرى
أما رأيتَ الأقاحَ أفاقَ بعد الكرى
وضوُّعُ الأفاقِ
لما أفاقَ

هناك راعي الغنمِ جذلانُ، حيُّ الفؤادِ
يرتجى بين الأكَمِ يهيم في كلِّ وادِ
والنّاي صبَّ النّغمِ وبثّه في الوهادِ
كزفرةِ الأشواقِ
غِبُّ الفراقِ



نسي الطيرُ همّه حين غنى قَلَمًا يستقرُّ همُّ الطروبِ
ألف الروضَ مُفرداً وتولّى عنه في دوحه شعورُ الغريبِ
مُسْتَقِلٌ في المَلِكِ، لا من شريكِ طامعٍ يُتَقَى، ولا من رقيبِ
مُطَلَقٌ، يستقرُّ عند نَميرِ تارةً أو يقيل فوق رطيبِ
وإذا «وردة» تفيض جمالاً تتهاذى مع النسيم اللعوبِ
قد حمّتها أشواكها مُشرّعاتِ حولها دون عابثٍ أو غصوبِ
تمنح العينَ حين تبدو وتُخفي من ضروب الإغراء كلَّ عجبِ

كلُّ قلبٍ له هَواه.. ولكنْ ليس يدري متى يجيء زمانُه
هو إمّا في ظلِّ جفنٍ كحيلٍ كامنٍ السحر، راقِدٍ أفعوانه
أو وراءِ ابتسامَةٍ حلوةِ النَّعْمِ سرِّ نقيٍّ، مُفلِّجٍ أقدِوانه
أو على الصدرِ يستوي فوق عَرشَيِّ مكيّنٍ مُؤيِّداً سلطانُه
فإذا كان لفحةً من جسيم الرُّ رَجَسٍ ، أَملى أحكامَه شيطانُه
وإذا هبَّ نفحةً من نعيم الطُّ طُهرٍ ، قامت رَكِيذُه أركانُه
هو ذا الحبُّ فليكنْ حين يأتِي لك بريئاً من كلِّ عيبٍ مكانُه

صارتِ الوردَةُ الخليعة للبدِّ جلِّ همّاً ومأرباً يُشقيهِ
حسرتنا للغرير أصبح كَرَباً ما يلاقِيه من دلالٍ وتِيهِ
شفّه السُّهدُ واعتراه من الحبِّ بِ سَقامٍ مُبرِّحٍ يُضنيهِ
من رآها وقد تَحاملَ يهفو نحوها، كيف أَعرضتْ تُغريهِ
من رأى روحَه تسيلُ نشيداً لاهباً، لوعةُ الأسي تُذكيهِ
هي «حواءُ» ذلك الخلدُ فاحذرْ لا تكونَنَّ أَنْتَ «أدمَ» فيهِ
لا تهبْ قلبكَ الكريمَ لئيماً تحت رجلِيه عابثاً يُلقيهِ



هل يرى في ظلال وردته الحَمْدُ وراءِ سرِّاً بدا وكان خفياً؟
هل يرى للطيور فيها قلوباً نبذتْهنَّ يابساً وجنياً ؟

هل يرى اليوم ما الذي جعل الرؤ
كم نذير بدا لعينيه حتى
سامه حبه شقاء ولكن
والهوى يطمس العيون ويلقي
هكذا يسلك المحب طريق الد
ض كئيباً من الطيور خلياً؟
قام شخص الردى هناك سوياً
نعمه الحب أن يكون شقياً
في قرار الأسماع منه دوياً
خوف أمنأ ويحسب الرشد غياً

من ترى علم البخيلة حتى
لم يصدق عينيه حتى أطلت
زُلزلَ الروض عند ذلك بالأد
سمحت أن يقبل الطير فاها
وأطالت في ختله نجواها
حان فاسمع روايتي عن صداها:

نشيد البلب للوردة

أنشدي يا صبا وارقصي يا غصون
واسقني يا ندى بين لحظ العيون
فيك يا وردتي قد حلا لي الجنون
أنا مني الهوى أنت منك الفتون
انشري ما طوت من غرامي السنون
كان في أضلعي فروثه الجفون
اقربي من فمي فحديثي شجون



ضمَّها الطيرُ مُطبقاً بجناحيْ له، وهمَّتْ بثغره شفتاها
لم يُمتَّعَ بنشوة الحبِّ حتَّى أشرعتْ شوكةً تلْظَى شباها
أوردتها قلباً، إذا رفَّ يوماً خافقاً للهوى فذاك هواها
كرعتْ في الدم البريءِ فلماً عكستْهُ وهَجَّةً وجنتاها
نظر الطيرُ نظرةً أعقبَتْها روحه طيَّ شهقةٍ معناها:
وردةٌ تُبهرُ العيونَ ولكنْ كثرةُ الشمِّ قد أضاعتْ شذاها

مرايع الخلود^(*)

[الرجز]

توطئة

لَمَّا انجلتْ من حُجْبِ الزمانِ مرايعُ الخلود والمغاني
ضاقَ على النفس الكيانُ الفاني وعالمٌ يَغصُّ بالأشجانِ
ويفجع القلوبَ بالأمانِ

لَا حَ لَهَا من الخلود ما استترُ وامتلك السَّمْعَ عليها والبصرُ
وامتزجتْ مع النسيمِ في السَّحرِ وارتفعتْ على أشعةِ القمرِ
شفافةً عُلوِيَّةَ الألحانِ

ولم يَطُلْ بها المدى حتى دنا أبعدُ ما ترجوه من غُرِّ المنى
هنا هياكلُ الخلودِ، وهنا كلُّ عظيمِ القدرِ وضاحُ السنَى
فانطلقتْ مُرسلةً العنانِ

الخالدون

طافتْ على الملوك والقياصره فانقلبَتْ تقول وهي ساخره

(*) أُلقيت في حفلة الذكرى الألفية للمتنبى وهي الحفلة التي أقامتها جمعية العروة الوثقى في الجامعة الأميركية ببيروت في ٣١ من أيار سنة ١٩٣٥. وكان خطباء الحفلة الدكتور محمد حسين هيكل باشا، المرحوم معروف الرصافي، الأستاذ سامي الكيالي، الأستاذ شفيق جبري، الأستاذ فؤاد أفرام البستاني، الأستاذ أنيس الخوري المقدسي (أحمد طوقان).

أَضْحَمُكُمْ أُسْطُورَةً أَوْ نَادِرَهُ وَإِنَّمَا الْخُلُودُ لِلْعَبَاقِرِهِ
جَبَابِرِ النُّفُوسِ وَالْأَذْهَانِ

لِلْأَنْبِيَاءِ أَرْفَعُ الْمَقَامَ يُحَفِّ بِالْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ
وَعِنْدَهُمْ رَوَائِعُ الْإِلْهَامِ فِيهَا الْهُدَى وَالنُّورُ لِلْأَنْامِ
وِغَايَةُ الْكَمَالِ فِي الْإِيمَانِ

وَالشَّهْدَاءُ بَعْدَهُمْ فِي الْمَرْتَبَةِ أَهْلُ الْفِدَى فِي الْأُمَمِ الْمَعَذَّبَةِ
صَبَّ الشَّهِيدُ دَمَهُ وَقَرَبَةَ يَقُولُ: إِنَّ الْمَهْجَ الْمَخْضَبَةَ
أَدْفَعُ لِلضَّيْمِ عَنِ الْأَوْطَانِ

وَاجْتَمَعَ السَّحَرُ إِلَى الْفُتُونِ بَيْنَ رَبِّ الْخُلُودِ وَالْعَيُونِ
قَرَائِحُ مِنْ جَوْهَرٍ مَكْنُونِ تَشِعُّ بِالْعُلُومِ وَالْفَنُونِ
وَتَغْمُرُ الْعَالَمَ بِالْإِحْسَانِ

أُولَئِكَ الشَّمُوسُ وَالْجُدُورُ دَائِمَةُ الْإِشْرَاقِ لَا تَغُورُ
أَفْلَاكُهَا، مَا كَرَّتِ الدَّهُورُ، الْحُبُّ وَالْجَمَالُ وَالسَّرُورُ
وَالْخَيْرُ وَالْحِكْمَةُ فِي الْإِنْسَانِ

في حضرة المتنبي

أصغيتُ للنفس تقول: ما ليَّه طَوَّفتُ في الخلود كلَّ ناحية
فما وجدتُ مثلَ تلكِ الرابيه مشرفةً على الوجود عاليه
عاتيةً وطيدة الأركان
رأيتُ ظلاً شاملاً ظليلاً يضمُّ صرحاً ماثلاً جليلاً
فارتدَّ طَرْفي عنهما كليلاً إذا طلبتُ لهما تمثيلاً
ف «الحدُّثُ الحمراء» في «بَوَّان»
رأيتُ بيضاً يعتنقن سُمراً هُنَّ النجومُ يأتلقن زُهوراً
في يد كلِّ فارسٍ أغراً يلتمس المجدَ الأثيلَ قسراً
والمجدُ لن يكونَ للجبان
رأيتُ غيداً من أعاريب الفلا حُمَرُ الجلابيبِ غرائبِ الحلَى^(١)
خُلِقنَ من حُسنٍ وفتنةٍ فلا تطريةً ترى ولا تَجْمُلُ^(٢)
وهكذا فلتكنِ الغواني
ذاك الذي وقفنَ عن جنبيه خِلتُ ملوكَ الأرضِ في بُرديه
أو الأنامَ تحتَ أخمصيه قيلَ اسجدي خاشعةً لديه^(٣)
فالمتنبي سيّدُ المكانِ
إن كنتِ ممَّنْ يصحبُ الكتابا ويألف الطُّعانَ والضُّرابا

حمرُ الحلَى والمطايا والجلابيبِ
وفي البداوة حُسنٌ غيرِ مطلوبٍ
واقفاً تحتَ أخمصي الأنامَ

(١) إشارة إلى بيت المتنبي : مَنْ الجانِرُ فسي زِيَّ الأعاريبِ
(٢) إشارة إلى بيت المتنبي : حُسنُ الحضارةِ مجلوبٌ بتطريةِ
(٢) إشارة إلى بيت المتنبي : واقفاً تحتَ أخمصي قدرِ نفسي

ويهجرُ النديمَ والشرابا جئتِ أعزُّ خالدٍ جنابا
وفُزتِ بالإكرام والأمان

نَكَسْتُ رَأْسِي وَدَنَوْتُ أَعْثَرُ فَأَيْنَ كَسْرَى هَيْبَةً وَقِصْرُ؟
بَيْنَ يَدَيْهِ أَسَدٌ غَضِنْفَرُ عَلَيْهِ مِنْ ضَرْبَةِ سَوْطٍ أَثَرُ
يُغْنِي «ابْنَ عَمَّارٍ» عَنِ الْبَيَانِ^(١)

وَمُضِحِكُ مُشَقِّقِ الْكَعْبَيْنِ أَسْوَدُ، لِابِيٍّ، بِمِشْفَرَيْنِ^(٢)
عَهْدَتُهُ يُشَدُّ بِالْأُذْنَيْنِ وَقَدْرُهُ يُرَدُّ بِالْفَلْسَيْنِ^(٣)
يَوْمَ تَرُوجُ سَلْعَةُ الْخَصِيَانِ

كَانَ لِمَصْرَ سُبَّةً وَعَارَا يَوْمَ أَثَارَ الشَّاعِرِ الْجَبَّارَا
لَمْ أَدْرِ هَلْ كَانَ الْهَجَاءُ نَارَا أَمْ عَاصِفًا هَيَّجَ أَمْ تَيَّارَا
أَمْ شَقُّ ذَاكَ الصَّدْرُ عَنْ بَرَكَانَ؟

والحسد خالد؟!

وَتَمَّ وَحْشُ فَمِّهِ دَامِي الزُّبْدُ فِي جِيدِهِ حَبْلٌ غَلِيظٌ مِنْ مَسَدُ
قَلْتُ: أَلَا أَسْأَلُ مَا هَذَا الْجَسَدُ؟ قَالَ: بَلَى؛ هَذَا غَرِيمُنَا الْحَسَدُ
مَرْتَبِكُ الْأَخْلَاطِ فِي شَيْطَانِ
رَأَيْتَهُ يَطْمَسُ عَيْنِيهِ الْعَمَى سَعِيرُ قَلْبِهِ طَغَى عَلَيْهِمَا

(١) إشارة إلى قصيدة المتنبي في وصف المواجهة «بين بدر بن عمار» والأسد على ضفاف بحيرة «طبريا».

(٢) استفاد الشاعر في هذا البيت من أبيات متعددة للمتنبي هي :

كَأَنَّ الْأَسْوَدَ اللَّابِيَّ فِيهِمْ	غَرَّابٌ حَوْلَهُ رَحْمٌ وَيَوْمٌ
وَيَذْكُرُنِي تَخِييْتُ كَعْبِكَ شَقُّهُ	وَمَشِيكَ فِي ثَوْبٍ مِنَ الزَّيْتِ عَارِيَا
فَإِنْ كُنْتُ لَا خَيْرًا أَفَدْتُ فَلِإِنِّي	أَفَدْتُ بِلَحْظِي مِشْفَرِيكَ الْمَلَاهِيَا
وَمَثَلُكَ يُؤْتِي مِنْ بِلَادٍ بَعِيدَةٍ	لِيُضْحِكَ رَبَّاتِ الْحَدَادِ الْبَوَاكِيَا

(٣) إشارة إلى بيت المتنبي في هجاء كافور : أَمْ أَنَّهُ فِي يَدِ النَّخَاسِ دَامِيَّةٌ أَمْ قَدْرُهُ وَهُوَ بِالْفَلْسَيْنِ مَرْدُودٌ

قلتُ: وهذا خالدٌ أيضاً؟ فما أعجبَ أن يبقى الأذى ويسلماً
وينعمَ الشرُّ بعُمرٍ ثانٍ !!

تَبَسَّمَ الشاعِرُ، ثُمَّ رَدَّداً في الوحشِ نظرةً كأنها الردى
قال: لئنْ نَكَّدَ عيشي بالعدى حتى دعوتُ ولدي «مُحَسِّداً»
فإنه خُلِّدَ في الهوانِ

تَقَدَّمِي، يا نفسُ واسأليني عن أثر المفتاح في جبيني^(١)
بدلني بكيدة اللعين ذُلَّ الوجار من حمى العرين
حمى الملوك من «بني حمدان»
وما ابتلى الحسودُ إلا جوهراً يَتَمَّ نوراً ويطيبُ عنصراً
والفضلُ لا بدَّ له أن يظهرَ تُحَدِّثُ الأعصرُ عنه الأعصرَ
وللحسود غمرة النسيانِ

خاتمة

عُودِي إلى دنياك، دنيا العربِ بجذوةٍ تُضرمُ روحَ الأدبِ
وتغمرُ الشرقَ بهذا اللهبِ قد يستردُّ الحقُّ بعضَ الكتبِ
وقد يكونُ المجدُّ في ديوانِ

(١) إشارة إلى المشادة التي حدثت بين المتنبي وخصومه في مجلس سيف الدولة، وقد ضربه أحد خصومه بمفتاح.

توكيد الذكرى

[الخفيف]

هذه نفحة «البحيرة» هبتْ سَحَرًا أم هناك نفثة ساحر؟
تلك ذكرى سُويعَة شملتني فأرثني شمائل الشيخ طاهر
قد حباني بمدحه وهو أهلٌ أن يُغني بمدحه كلُّ شاعر
لي طَوْقان منك رحتُ أباهي بهما الدهر سيدي وأفاخر
حول عُقِّي من جوهر الشكر طوقٌ ولقلبي طوقٌ من الودّ أسر

- المصدر: «الكنوز - ما لم يعرف عن إبراهيم طوقان»، المتوكل طه (١٩٤٠) .

لَكَ مَا شِئْتَ يَا طَبِيبُ وَلَكِنْ
أَعْطِنِي مِنْ دَمٍ يَكُونُ خَفِيفًا

مَدَاعِبَات

البقة والبرغوٲ

[مجزوء الرجز]

البقة:

نحن بناتُ الخشبِ نشرب دَمَّ العربِ (*)
نمشي ببطءٍ عجبٍ نقرص مثلَ العقربِ

البرغوٲ:

نحن الذين نقفزُ مكائنا مُعزَّزُ
بيننا ترانا ننخرُ حتى ترانا نُزهر

كلاهما:

عشنا على الأبدانِ في سالف الأزمانِ
لو كان في الإمكانِ عشنا على الأوطانِ

(*) «هذه وحدها كافية لأن تجعلني مفتشاً» (تعليق للشاعر).

الدم الخفيف

[الخفيف]

وطبيبِ رأى صحيفةً وجهي
شاحباً لونُها وعُودي نحيفا
قال لأبدٌ من دمٍ لك تُعطي
له نقياً ملء العروقِ عنيفا
لك ما شئتَ يا طبيبٌ ولكنْ
أعطني من دمٍ يكون خفيفاً !

- المصدر: ط. دار الشرق الجديد (١٩٣٢)

[الخفيف]

إِنَّ «عَبْدَ الْكَرِيمِ»^(١) رَدَّ حَيَاتِي
نَ ، بَلَقِيَا ضَنْتَ بِهَا الْأَيَّامِ^(٢)
إِنَّهُ فِي فَعَالِهِ مِثْلُ «عَيْسَى»
أَيْنَ مِنْهُ «عَيْسَى» عَلَيْهِ السَّلَامُ ؟
يَا رَسُولَ الْهَوَى صَحَابَتُكَ الْعُشُ
شَقَاقُ طُرّاً وَحَزْبُكَ الْأَرَامُ !
شَيْعَةٌ لَوْ حَشَدَتْ يَوْمًا تَرَاهَا
هَلَكَ الْعَاذِلُونَ وَاللُّوَامُ !

(١) عبد الكريم الكرمي (أبو سلمى) صديق الشاعر.
(٢) القصيدة بدون عنوان .

ذكرى عشية زهراء^(١)

[الكامل]

احبسْ يراعَكَ يا «أبا الخطَّابِ»^(٢)
قد حلَّ بي ما لم يقع بحسابي
تلك القصيدة لم أقل أبياتَها
لكنَّها لمزورٌ نصَّاب
هذا «أبوسلمى» ولا والله ما
نكأ الجروحَ سواء من أصحابي
هيهات أن يخفى عليَّ، وكلُّهُ
قلبٌ، بلا بابٍ ولا بوَّاب
ويلٌ له ما انفكَّ يوقظ راقداً
ويثير أشواقِي إلى أحبَّابي

(١) هذه الأبيات هي المقطع الأول من قصيدة «ذكرى عشية زهراء» وقد حذفها الشاعر في قصائده المختارة المنقحة. ومناسبتها أن «أبا سلمى» نشر مقطوعة غزل بعنوان «صبايا كفركنة» في جريدة فلسطين بتاريخ ١٩٣٣/٤/٣٠ ونسبها إلى إبراهيم طوقان وقد أرفقت المقطوعة بأخرى لأبي الخطاب بالعنوان نفسه، وقد ردَّ إبراهيم على الشعارين بهذه القصيدة .

(٢) أبو الخطاب : أديب فلسطيني اسمه «حنَّ السوداء» كان يوقع كتاباته بأبي الخطاب.

الشاعر المعلم

[الكامل]

«شوقي» يقول - وما درى بمصيبيتي -
«قُمْ للمعلم وَفَّهِ التبجيلا»
اقعدْ، فديتُكَ، هل يكون مُبجلاً
من كان للنشء الصغار خليلاً؟
ويكاد «يفلقني» الأمير بقوله:
«كاد المعلم أن يكون رسولا..!»
لو جربَ التعليم «شوقي» ساعةً
لقضى الحياة شقاوةً وخُمولا
حسبُ المعلم غمّةً وكأبةً
مرأى «الدفاتر» بُكرةً وأصيلا
مئةً على مئةٍ إذا هي صلّحتْ
وجد العَمى نحو العيون سبيلا
ولو أن في «التصليح» نفعاً يُرتجى
وأبيك، لم أك بالعيون بخيلا
لكن أصلح غلطة نَحْوِيَّةً
مثلاً، وأتخذ «الكتاب» دليلا
مُسْتَشْهِداً بالغُرِّ من آياته
أو «بالحديث» مُفَصِّلاً تفصيلا
وأغوص في الشعر القديم فأنتقي
ما ليس مُلتبساً ولا مبذولا

- المصدر: ط. دار الشرق الجديد (١٩٣٣) .

وأكاد أبعث «سيبويه» من البلى
وذويه من أهل القرون الأولى
فأرى «حماراً» بعد ذلك كله
رفع المضاف إليه والمفعول !!
لا تعجبوا إن صحت يوماً صيحة
ووقعت ما بين «البنوك»^(١) قتيلاً
يا من يريد الانتحار وجدته
إن المعلم لا يعيش طويلاً !

(١) البنوك : كلمة دارجة تعني مقاعد الطلاب .

إعلان الشعراء

[المجتث]

صابونُنَا يا عذارى حَيَّا الهوى والديارا
شَتَّى الضروبِ يحاكي زهرَ الرُّبَا والثمارا
يا من رأى التينَ في الرُّوِّ ضِ ، عانقَ الجَلَنَارا^(١)



طِيبُ القرنفلِ عندي يا ناسُ بل طيبُ ليلى
فَمَنْ تَنَشَّقْ مِنْهُ يَمِلْ إلى العشقِ مَيِّلا
يَهْدِي القلوبَ نهاراً وَيُرْسِلُ النورَ ليلا



أبا شَفِيقٍ^(٢) تَقَدَّمَ قُمْ والتمسْ طلباتِكَ
لَوْلَاكَ يا نورَ عيني لا لم أبعْ وحياتِكَ
إني سَأَقْصِرُ طَرْفِي فنادِ لي ظَبَّياتِكَ



لم يَبْقَ لي من غرامي إلا المني يا صبايا
قد ذُبْتُ غَيْرَ بَقايا فلا تُذِبنِ البقايا
«قدري»^(٣) أَعْنِي عليهنَّ نَ ، يا رفيقَ صِبابا



(*) أنشد إبراهيم طوقان في المعرض العربي بجانب «الصابون العجيب» الذي يعرضه هذا الإعلان.

(١) الجَلَنَار : زهر الرمان. (٢) أبا شَفِيق: الشاعر الفلسطيني عبد الكريم الكرمي.

(٣) قدري طوقان (١٩٠١ - ١٩٧١ م) ابن عم الشاعر، ولد في نابلس، حصل على بكالوريوس في العلوم من الجامعة الأميركية ببيروت، تسلم إدارة كلية النجاح بنابلس، شارك في العمل الوطني، عني بالتراث العلمي للعرب، وله الكثير من المؤلفات.

- المصدر: جريدة «فلسطين» - يافا - ١٩٣٣/٧/٣.

مداعبة قدري طوقان^(١)

[الرجز]

لم يجبر في بالي ولا حسابي
أن أحتفي بالجبر والحسابِ
درسان كانا في الصِّبا عذابي
ويحَهما كم شئجأ أعصابي
وخلفا قلبي في اضطرابِ

ما هذه الحروفُ والأعدادُ ؟
ما هذه السينُ ، أخي ، والصادُ ؟
وكيف يا وفودُ يا بلادُ
تجتمع الأشباهُ والأضداد
مِثْلَ الرياضياتِ والآدابِ ؟

يا مُحْتَفِينِ بابنِ عمِّي «قدري»
إن أنا قصَّرتُ فهذا عذري:
أكفرُ إن غالِئتُه بالشعرِ
فحسبُكم منَّا جزيلُ الشكرِ
يا خيرةَ الأصحابِ والأحبابِ

(١) ألقى الأبيات في حفلة أقيمت بنابلس لتكريم قدري طوقان عام ١٩٣٣.

وليمة المعكرون

[الوافر]

أُغريني بحبّ المعكرونِ وتنصب لي الحبائل في صحنٍ
وتطعمني الأفاعي ناهشاتٍ فقل لي كيف تُهضم في البطونِ
فلا تركيبُ أمعائي حديدٌ ولا في معدتي بعضُ الحصونِ
ولا هي منظرٌ فنقول.. ساءتْ مذاقُها وسرّتْ للعيونِ
وما التزليقُ والزوغانُ منها سوى طبعِ المراوغِ والخؤونِ
دعونا من وليمتكم فإنّا سمعنا عن ولائم «موسوليني»
فإنّ الجوع خيرٌ من طعامٍ يجيء الموتُ منه على فنونِ

- المصدر: جريدة «الدفاع» - يافا - ١٥/٤/١٩٣٥.

[الرمل]

أَنْتَ يَا أَسْتَاذُ أَدهِشْتَ الْأَنَامَا	أَنْتَ يَا أَسْتَاذَ طَوَّقْتَ الْحَمَامَا (*)
إِيهِ نَهْرَ الْكَلْبِ يَا بَرْدَ الْحَشَا	إِيهِ نَهْرَ الْكَلْبِ يَا نَهْرَ الْيَقَامِي
وَقَفَّةً عِنْدَكَ تَشْفِي كَبْدِي	وَقَفَّةً عِنْدَكَ تَشْفِي الْمُسْتَهَامَا
لَسْتُ أَنْسَاكَ خَطِيباً قَاصِفاً	فَتَذَكَّرُ إِنِ لِلذِّكْرِى مَقَامَا
يَا لَذِكْرَاكَ وَمَا أَبْرَدَهَا	نَزَلْتُ فِي الْقَلْبِ بَرْداً وَسَلَامَا
حَفْلَةً بِالشُّكْرِ زَانُوها وَقَدْ	جَعَلُوا مِنْ «جَنَّةِ الْعِلْمِ» خَتَامَا
أَنْتَ قَدْ عَلَّمْتَنِي عَشْرِينَ عَامَا	أَنْتَ قَدْ فَرَحْتَ لِي بِأَبَا وَمَامَا
قَعَدُوا لِمَا الْأَغَانِي قَعَدْتُ	ثُمَّ قَامُوا عِنْدَمَا الْأَسْتَاذُ قَامَا
وَمَشَوْا ثُمَّ أَتَوْا وَانصَرَفُوا	عِنْدَمَا السَّاعَةُ قَدْ دَقَّتْ تَمَامَا
رَكَبُوا «التَّكْسِيَّاتِ» لَمَّا عِلْمُوا	أَنَّهُمْ لَنْ يَجِدُوا ثُمَّ «تَرَامَا»
كَيْفَ لَمْ يُعْطِ بِطَاقَاتٍ لَنَا	عَمِي الْأَسْتَاذُ عَنَّا أُمَ تَعَامِي
سَامِحِ اللَّهُ ذَوِي الْعِلْمِ الْأُلَى	مَلَأُوا الْقَاعَةَ لَعُؤاً وَكَلَامَا

(*) القصيدة بلا عنوان ، وبلا تاريخ.

قد تسلّقنا على شُباكها فرأينا أكثرَ الناسِ نياما
وشرّبنا «لِمَناداً» نفحُها زَهْرُ الليمونِ أو نفحُ الخزامى
وهربنا بعدما طاردنا نفرُ البوليسِ خَلْفاً وأماما
واحدٌ غاب فلما سُئلوا عنه قالوا: إنه مات غراما
والذي مات أتتْ أقوالُهُ فروَوْها مثَلما جاءت تماما
نسمةُ النيلِ سلاماً عاطراً من نُهَيرِ الكلبِ نثراً ونظاما

[الخفيف]

مرحباً بالرئيس بعد الغياب
منشئ التفتزان ذي المجد والشأ
صاحب النَّاج - ضاربِ الخصمِ بالكُر
ومُبِيدِ الألوفِ لا بسيفٍ
قد دعاه الأعداءُ راسمُ أفندي
لُعِنُوا - إِنَّهُ لَبَيْكُ وباشا
وهو خالي وتاجُ رأسي وروحي
أنا محسوبُهُ ومحسوبُ محسو
ذاب شوقاً إليه لُبِّي وقلبي
إنَّ ما بي يكاد يُزهق روعي
كلُّ خصمٍ بغى عليك فكسَّرُ

مرحباً بالرئيس شيخ الشباب
نِ ، ملكِ الزمانِ والأحقاب
باج - مثل النعاج يومَ الضراب
بل كُفوفِ ترنَ فوق الرقاب
ذاك شأنُ المعاندِ الكذاب
الكريمُ الأحسابِ والأنساب
وحبيبي ونعمتي وعذابي
بِ رئيسي هذا ليوم الحساب
ويحَ لُبِّي وويحَ قلبي المذاب
وقليلُ واللهِ نَحوكَ ما بي
رأسه بالكلوش والقِبْقَاب

(*) القصيدة بلا عنوان ، وبلا تاريخ .

[الرجز]

مُرَّ عَلَى «مُسْلَمٍ» وَسَلَّمْ	وَقُلْ لَهُ عَلَامَ لَمْ تَكَلَّمْ
وَقُلْ لَهُ أَصْبَحْتَ يَا مَعْلَمِي	تَلْمِيذَ صَوَافِ الْخَلِيلِ الْمُكْرَمِ
يُقَدِّرُ الْإِنْسَانُ بِالتَّقَدُّمِ	لَا بِالنُّزُولِ عَنْ أَعَالِي السُّلَّمِ
لَا تَعْبَسُنْ فِي الْفَحْصِ بَلْ تَبَسِّمْ	مَنْ كَانَ عَبَّاساً فَذَاكَ أَعْجَمِي
وَانْظُرْ إِلَى الْأَشْيَاءِ بَارِدَ الدَّمِ	مِثْلَ أَبِي سَعِيدِ الْمُعْظَمِ
وَانْظُرْ إِلَى أَبِي الرِّضَا الْمَفْخَمِ	يُدْفَعُ خَيْرَ الْمَالِ لِلْمَقْدَمِ
شَارِدَةً مِنَ الْكَلَامِ الْمُبْهَمِ	فَعَشْ مِنْيَعاً فِي عُلَاكَ وَاسْلَمْ
مُشْقَلِحٍ، مُمَقَرَّعٍ مُبْرَطَمِ	شَنْشَنَةً نَعْرِفُهَا مِنْ أَخْزَمِ

(*) القصيدة بلا عنوان وبلا تاريخ ، وقد استخدم الشاعر بعض الكلمات العامية.

ثقلاء الثقلين ، صقعاء الخافقين (*)

[الخفيف]

باسم آل الخياط أبداً شكوا
باسم عكّاء ، باسم صُورٍ وصيدا
وإذا ما وزننّهم ، خلّفنّهم
أو ليس البرادعيّ فتاها
أو ما أنجبت «سمير بن شمّا»
و«نصوحاً» ومن درى من نصوح؟
وفتنى ينتمي إلى النحو كالنحو
والذين ادّعوا أميّة والعبد
واحد مُبرّم فكيف بجمع

ي ، وذكرى جمعيّة الشبان
وضهور الشؤير من لبنان
«صَفْدُ» شائلين في الميزان
ذاك من فضلها على البلدان
لتُباري به ذرى كنعان
لا تسلني واصحبه بضع ثوان
ووبغيضٍ لمعشر الصبيان
عباسَ فيها وسائر الإخوان
بل تأملْ إذا التقى الجمعان



باسم «خُرْشيد» والجليدِ المقفى
وعزير عليّ ألا أرى البيد
وتذكّر بأن آل كمال
والحسيبُ النسيبُ فيهم جميعاً
يوم قالوا رُفّت إليه ثرياً
لا تطيق النفوس من جمع الدّا

منذ قحطانه إلى عدنان
ك «نَعِيماً» في زُمرة الأقران
نقّبَاء في كلّ حالٍ وأن
«أكرم» وهو سيّد العرّسان
قلت أرخ: تناكح الفرقدان
عَيْن، داءِي غلاظةٍ وامّحان



(*) القصيدة بلا تاريخ ، وقد حذفنا منها بيتين لأن فيهما كلمات غير لائقة (المعد) .

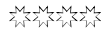
يا جنة تبعث الأشجان
دوحاً تُهـا

متفرقات

الشعر والشباب

[مجزوء الكامل]

يا شعرُ لا راقِ لِعَيْنَيَّ المحاسنُ والمنَاطِرُ
يا شعرُ لا طرُقِ المسامعَ في الحدايقِ صوتُ طائرٍ
يا شعرُ إنِّي قد سئمتُ الطُرفَ في الظلماءِ ساهرٍ
واحسرتا بلي الشَّبابُ وأنتَ لا تنفكُ ثائرٍ
طاب الرقادُ نَمَّ يا شعورُ
إنَّ الفؤادُ أهنا سريرُ



أنا إنْ نظرتُ إلى السَّماءِ، سبحتَ بين نجومها
أو للجبالِ الشامخاتِ، هببتَ إثرَ نسيمها
أو للزهورِ، ثملتَ من ألوانها وشميمها
أحسبتَ أنَّكَ قد ظفِرتَ من الدُّنْيا بنعيمها؟
أو ما كفاكَ هذا الجنونُ
هلا دعاكَ داعي السكونُ



عثرَ الشَّبابُ بصخرِ ألامِي قالَ إلى الدمارِ
فسقيتهُ دمي فما اندملتُ جراحاتُ العِثارِ
وسألتُ: من يهبُ الدموعَ لجَبْرِ هذا الانكسارِ

- المصدر: مجلة «العروة الوثقى» - بيروت - يناير - ١٩٢٥.

وإذا الوفيُّ من الأحبَّة قد تناساني وسار
يا للوفاء أين الخليلُ
وإلى العزاء كيف السبيلُ



بليَّ الشبابُ أيا شعورُ وكنْتَ أَسَّ بلاءهِ
كدرتْهُ لصفائه! وثلمتْهُ لمضائه
هيهات أن يأتي الزمانُ مُبشِّراً بشقائه
فلأسلوئك يا شعورُ كرامةً لوفائه
آن الوداعُ قف يا يراعُ
نمَّ يا شعورُ نمَّ يا شعورُ



الجنة

[البسيط]

وَجَنَّةٍ مِنْ عُقُودِ الطَّلِّ حَالِيَةٍ
فِيهَا فَوَاكِهِ أَيْلُولٍ مُهَدَّلَةٍ،
وَالْعَنْدَلِيبُ يِنَاغِي بِنْتَ أَيْكَتِهَا
تَهْفُو بِهَا نَسَمَاتُ الْفَجْرِ دَانِيَةً
رِيحَانٍ وَرْدٍ عَلَى أَسٍ عَلَى أَرْجٍ
يَا جَنَّةُ تَبْعَثِ الْأَشْجَانَ دَوْحَتُهَا
بَاكَرْتُهَا وَجَنَى أَغْصَانِهَا دَانٍ
مِنْ كُلِّ فَاكِهِةٍ زَوْجَانِ زَوْجَانِ
وَالْمَاءُ يَلْطَمُ غُدْرَانًا بَغْدَرَانِ
سَجَوَاءَ مَثْقَلَةً مِنْ كُلِّ رِيحَانِ
مِنْ الْخَزَامِيِّ عَلَى أَنْفَاسِ رُمَانٍ
مَا جِئْتُ إِلَّا لِأَنْسَى فِيكَ أَشْجَانِي

– المصدر: مجلة «العروة الوثقى» – بيروت – يناير – ١٩٢٨.

نعمة العافية^(*)

[المتقارب]

إليك توجَّهْتُ يا خالقي
بشكرٍ على نعمة العافية
إذا هي ولَّتْ ، فمن قَادِرُ
سواك على رَدِّها ثانيه ؟
وما للطبيب يدٌ في الشفاءِ
ولكنَّها يدُك الشافية
تباركت، أنت مُعيدُ الحياةِ
متى شئتَ في الأعْظَم الباليه
وأنت المفرجُ كَرْبَ الضعيفِ
وأنت المجيرُ من العاديهِ

(*) نَظَمَها على أثر خروجه، رحمه الله، من المستشفى الألماني في القدس بعد أن أُجريت له عملية جراحية
كبرى في آذار سنة ١٩٣٣ (أحمد طوقان) .
- المصدر: ط . دار الشرق الجديد (١٩٣٣) .

[الخفيف]

حَدَّثِينَا بِطَيِّبِ الْأَنْبَاءِ^(*)
نَكْرِينَا بِأَحْمَدِ الْمُتَنَبِّي
لِ ، بِأَهْلِ النَّدَى ، بِأَهْلِ الْوَفَاءِ
بِ عَلَى الْأَرْضِ ، بِالشَّمُوسِ الْوُضَاءِ
وَصِلَتْ مَيْمُهُ بِدَالٍ وَحَاءِ
تَتَرَاءَى عَلَى ضَفَافِ الْمَاءِ
صَفَحَاتِ التَّارِيخِ عِنْدَ الْمَسَاءِ
يَا لَتَلَكِ الْمَنَظَرِ الْحَمْرَاءِ
لَأَبِي الطَّيِّبِ الْعَظِيمِ الْإِبَاءِ
تِ ، وَلَوْحِ التَّصْوِيرِ بِلِ بِالْغَنَاءِ
تِ ، وَأَرْضِ الْحَجَازِ وَالزُّورَاءِ^(٢)
ثُمَّ فِي تُونِسٍ وَفِي صَنْعَاءِ
حِينَ سَمَّوْا بِهِ دُرُوبَ الْبِغَاءِ
كَانَ فِيهَا أَلْشَّعْرُ رَمَزَ الْبَقَاءِ

غَيْرَ يَوْمٍ فِي الْعَالَمِ اللَّانِهَائِي
ثُرُفِينَا لِلْعَقْلِ خَيْرَ غَذَاءِ

يَا ضَفَافَ «الْقَوَيْقِ» فِي «الشَّهْبَاءِ»^(١)
نَكْرِينَا بِأَحْمَدِ الْمُتَنَبِّي
نَكْرِينَا بِأَلِ حَمْدَانَ بِالْفَضْ
بِ الْمُلُوكِ الْكَرَامِ بِالْأَنْجَمِ الزُّهْدِ
كُلُّ مَدْحٍ لَوْلَاهُمْ لَمْ أَجِدْهُ
يَا لَذَكَرَى الْعُلَا وَذَكَرَى الْمَاتِي
طَاطِي الرُّأْسِ بِاحْتِرَامٍ وَطَالَعِ
وَكَانَ الْقَوَيْقُ مِنْهَا بِخَيْعِ
أَيُّهَا الْقَوْمُ خَلِّدُوا خَيْرَ ذَكَرَى
خَلِّدُوهُ بِالشَّعْرِ وَالنَّثْرِ وَالنُّحْدِ
خَلِّدُوهُ فِي مَصْرَ وَالشَّامِ وَبَيْرُو
وَفِلَسْطِينَ وَالْجَزَائِرِ أَيْضاً
وَكَأَنِّي بِهِ قَدْ احْتَجَّ غَيْظاً
أَلْفُ عَامٍ مَرَّتْ عَلَى الْمُتَنَبِّي

أَلْفُ عَامٍ وَلَا أَرَى أَلْفَ عَامٍ
أَلْفُ عَامٍ وَلَمْ يَزَلْ شِعْرُكَ السَّاءِ

(*) القصيدة بلا عنوان وبلا تاريخ .

(١) الشهباء: لقب مدينة حلب - القويق: نهر صغير يمر في حلب وقد جف الآن.

(٢) الزوراء: لقب مدينة بغداد.

بين ابتسامتها وزفرة

صدرها

أبيات

أبيات ومقطوعات

اليومُ يومُ (الأحد) ومهرجانُ البلدِ (*)
الزهرُ في كلِّ يدٍ
حِسائهُ وا كبدي مثلُ طيورِ الغُرْدِ
يا مرحباً بـ (الأحد)!

من طبيبٍ إلى طبيبٍ فُقُبْحاً لحياةٍ على الأطباءِ وَقَفْ (**)

يا غادةَ المتروبولِ (١) بحقِّ حسنكِ قُولِي: (***)
متى شفاءُ العليلِ؟ متى إليكِ وصولي؟
يا غادةَ المتروبولِ!
بحقِّ رأسِ (أنيس) (٢) وشَعْرِهِ والفِلوسِ
بحرمة (القاموس) متى تصيري عروسي
يا غادةَ المتروبولِ!

(١) المتروبول: أوتيل في بيروت.
(٢) أنيس فريجة: أستاذ اللغات السامية في الجامعة الأمريكية.
(❖) المصدر: «إبراهيم طوقان في وطنياته ووجدانياته»، البدوي المثلث.
(❖❖) المصدر: «شاعران معاصران»، عمر فروخ.
(❖❖❖) المصدر: «الغواني في شعر إبراهيم طوقان»، البدوي المثلث.

فَأَقْبَلَ السَّاقِي يَزِفُ فُ الْخَمَرُ فِي الْأَقْدَاحِ^(*)
يَا مَرْحَباً بِالرَّاحِ تَجَلَّوْا كُؤُوسَ الرَّاحِ

يَا مَنْ رَأَى لَيْلَةَ الْخَمِيسِ نَطَارِدُ الْهَمُومَ بِالْكُؤُوسِ^(*)
حَتَّى إِذَا اسْتَوْلَتْ عَلَى الرَّؤُوسِ وَحَلَقْتُ تَنْهَضُ بِالنَّفُوسِ
لَمْ يَبْقَ لِلْهَمُومِ مِنْ مَجَالٍ
مُدَامَةً عَجِيبَةً الْمَعَانِي لَمْ تَتَّصِلْ بِالْحَسَنِ بْنِ هَانِي
جَاءَتْكَ سَكْسُونِيَّةُ الْأَوْطَانِ مَوْسُومَةُ الزَّجَاجِ بِالْحِصَانِ
تُصَانُ بِالْبَذْلِ عَنْ ابْتِذَالِ

بَيْنَ ابْتِسَامَتِهَا^(١) وَزَفْرَةِ صَدْرِهَا جَنْدٌ مِنَ الْأَفْرَاحِ وَالْأَحْزَانِ^(*)

«بَهَا» يَا جِنَّةَ الْحُسَنِ وَيَا كَوْثَرَ الصَّافِي^(*)
وَيَا أَفْضَلَ بَيْنِ الْغِي — مِنْ عَشْرَةِ آلَافِ

قُعُودِي طَوَلَ الْيَوْمَ فَوْقَ دِفَاتِرِ أُصَلِّحُهَا شَيْءٌ يَفِيضُ عَلَى الْفَيْضِ^(*)

كَانَ الْوَفَاءُ فَضِيلَةً فِي النَّاسِ حَتَّى تَعْهَدَ ضَمِيرٌ سِيَاسِي^(*)
فَغَدَا مُرِيباً لَا يُصَدِّقُ عَهْدَهُ أَحَدٌ عَلَى شَفَةِ وَلَا قِرْطَاسِ

(١) في وصف عميدة المسرح فاطمة رشدي.

(❖) المصدر: «شاعران معاصران»، عمر فروخ.

لكنهم وعذابُ اللهِ يحقّهم للبطن والفرجِ دونَ الخيرِ نزعٌ^(١)

فإلى الأمام بني الكرام تقدّموا وابنوا حصونَ المجدِ كالأجدادِ^(٢)
والعزُّ في ناديكُم ما زلتُم متضامنين لكم علاه ينادي

«دمّوس»^(٣) شعركَ هذا واللهِ غيرُ نفيسِ
خبّرُ إذا شئتَ عني دوائرَ البوليسِ

(١) البيت من قصيدة : إلى بائعي البلاد» وقد حذفه الشاعر من القصيدة بعد تنقيحها.

- المصدر : «شاعران معاصران» ، د.عمر فروخ.

(٢) البيتان آخر أبيات قصيدة «عهد الجدود» التي نشرت كاملة في جريدة «فلسطين» بتاريخ ١٩٣٣/٩/١،

ولكن الشاعر حذف البيتين في قصائده المختارة.

- المصدر: «الكنوز - ما لم يعرف عن إبراهيم طوقان»، المتوكل طه (١٩٤٠) .

(٣) دمّوس: الشاعر اللبناني حليم دموس.

- المصدر : جريدة «مرآة الشرق» - القدس ١٩٣٠/١٠/١.

لَمَّا التَقِينَا وَالْعَيُونَ سَوَابِقُ
وَدَّ الضَّوَادِ لَوْ أَنَّه لَكَ أَسْبِقُ

ملحق:

قصائد

[مجزوء الوافر]

لقد طارت إلى «حلب»^(*)
قلوبُ شقَّها الوجد^(١)
للقيا من له حُسْنُ
على الأكوان ممتدَّ
كنور الشمس لا تخالو
وهاد منه أو نجَّد
للقيا من بدتْ أُنفا
سُهُ الريحان والنَّد
لقد عبقَّتْ فإنْ بَعُدَتْ
يزد في طيبها البُعْد
للقيا من بدتْ «بَرَكَا
تُهُ» الهجران والصَّد

(*) سأل إبراهيم طوقان صديقه عمر فروخ عن «قلوب طارت إلى حلب» فردَّ عليه عمر بالبيت الأول ثم أكمل إبراهيم باقي الأبيات.

(١) القصيدة بلا عنوان.

- المصدر : «إبراهيم طوقان في وطنياته ووجدانياته»، البدوي الملتئم (١٩٢٧).

حدائق الشام

[البسيط]

يا تين، يا توت، يا رمان، يا عنب
يا در، يا ماس، يا ياقوت، يا ذهب !
الله، الله، ما هذا الدلال؟ وما
هذا الصدود؟ وما للقلب يضطرب ؟
يا تين، يا توت، يا رمان، يا عنب

الشمس، ما الشمس، إن الشمس تنكسف
البدر، ما البدر، إن البدر ينخسف !
والدمع، ما الدمع، إن الدمع يندرف
يا منية القلب، هل وصل وأنصرف ؟
يا تين، يا توت، يا رمان، يا عنب !

يا تين، يا ليت سرح التين يجمعنا
يا توت، يا ليت ظل التوت مضجعنا
وأنت لیتك يا «رمان» ترضعنا
والكرم، يا ليت بنت الكرم تصرعنا
يا تين، يا توت، يا رمان، يا عنب !

(*) «اشترك في نظمها: إبراهيم طوقان، وحافظ جميل (شاعر عراقي) ووجيه بارودي (شاعر سوري) في فئتين كانتا في الجامعة (الأمريكية ببيروت) ها: ليلي تين، وأختها أليس تين، (وهما من دمشق)» من كتاب: «شاعران معاصران» لعمر فروخ»، ص ٣١.

يا يومَ أقبِلنْ أمثالَ التماثيلِ
مُكَلَّلَاتٍ بهالَاتِ الأكاليلِ
تبعْتُ «لَيْلي»، و«لَيْلي» ذاتُ تضليلِ
«لَيْلي» فديتُك ما أقساك يا «لَيْلي» !
يا تينُ، يا توتُ، يا رمانُ، يا عنبُ !

يا جارةَ القلبِ يا قُمرِيَّةَ الوادي
يا غادةً لا عداها ريقُ الغادي
لئن ظفرتُ بقربٍ بعد إبعادِ
يوماً فإني من الزُّلفى بميعادِ !
يا تينُ، يا توتُ، يا رمانُ، يا عنبُ !

يا نفحةَ الآسِ يا وردَ البساتينِ
ويا شذا نرجسٍ غَضٍّ ونَسرينِ !
ويا هزاراً شدا بين الأفانينِ
أراحلُ أنتِ، أم باقٍ إلى حينِ ؟
يا تينُ، يا توتُ، يا رمانُ، يا عنبُ !

يا كوكبَ الحُسْنِ يزهو في العشيَّاتِ
ويا ربيبةَ أترابِ السمواتِ
يا مطلعَ الفجرِ وضَّاحَ الثنَيَّاتِ
طُوفي علينا بأكوابِ الحُمَيَّاتِ
يا تينُ، يا توتُ، يا رمانُ، يا عنبُ !

باكرتُ يا تينُ، نحو التينِ أجنبيهِ
وأذرفُ الدمعَ من عيني وأسقيهِ

أَسْنَدْتُ رَأْسِي إِلَى فَرْعِ أَنْجَاهِ
فَرَجَعَ الطَّيْرُ نَوْحِي فِي أَعَالِيهِ
يَا تَيْنُ، يَا تَوْتُ، يَا رَمَانُ، يَا عَنَبُ !

هَلْ «نَظَرَةٌ» لِعَمِيدِ الْقَلْبِ مَفْتُونُ؟
أَمْ «نَهْلَةٌ» مِنْ لَمَّاكَ الْعَذْبِ تَرْوِينِي ؟
أَوَّاهَ أَبْكِي عَلَى مَنْ لَيْسَ يَبْكِينِي
يَا مَنْ رَأَى «نَرْجَسًا» يَبْكِي عَلَى «تَيْنِ» ؟
يَا تَيْنُ، يَا تَوْتُ، يَا رَمَانُ، يَا عَنَبُ !

حَدَائِقُ الشَّامِ، عَيْنُ اللَّهِ تَرَعَاكَ
وَلَا سَرَتْ نَسْمَةً إِلَّا بِرِيَّاكَ !
يَا مَرْتَعَ الْعَرَبِ الْأَتْرَابِ نُعْمَاكَ
تَفْتَرِّعُ عَنْ مَهْجَةِ الدُّنْيَا ثَنَائِيكَ
يَا تَيْنُ، يَا تَوْتُ، يَا رَمَانُ، يَا عَنَبُ !

«وادي الرمان» (*)

[الكامل]

يا ربَّ «وادي» قد تفتَّحَ وردُهُ
واخضَلَ فهو بطلُّهُ مُغرورِقُ! ^(١)
وتأثَّقَ الوسميُّ في ترصيعه
بالدرِّ، فَهُوَ المبدعُ المتأثَّقُ !
ترنو إليه مَـحاجرٌ من نرجسٍ
خَجَلٍ يغالبه الحياءُ فيُطرقُ !
والغيمُ يضحك للجنوب إذا مرَّتْ
وتناله كفُّ الشمالِ فيُغدقُ !
والبيلسانُ أكفُّه ممدودةً
والطلُّ ذاك المنعمُ المتصدقُ
والياسمينُ كواكبٌ ومواكبُ
شَتَّى تآلفَ شملُها المتفرِّقُ
وكانما الخيريُّ نوعٌ تحيَّةٍ
يسعى إليك بها حبيبٌ شَيِّقُ
والماءُ بين مُماطلٍ ومُواصلٍ
ينأى ويدنو سيَّلهُ المتدقُّ
وغرائبُ الريحانِ حول ضفافه
منضورةٌ تطفو عليه وتغرق

(*) «هذه القصيدة نموذج مفرد مبتكر نظمته بالاشتراك مع المرحوم إبراهيم عبدالفتاح طوقان شاعر فلسطين ورفيقي في الجامعة الأميركية في بيروت. امتزج روحانا بكل كلمة وبكل شطرة فجاءت قصيدة لا يستطيع ناقد مهما حقق ودقق أن يجد دليلاً على ينبوعها الثنائي» وجيه البارودي .
- المصدر: ديوان : «بيني وبين الغواني» ، الطيب وجيه البارودي (١٩٢٨) .

وانظرْ إلى نَيْلوفرِ الوائِه
شَتَّى تُحيط به الميَاه وتُحدّق
وعيوْنُه رَقَافَةٌ أَجْفَانُهَا
فوق الغديرِ ، وكلُّ عَيْنٍ زورِق
وَادٍ يَهيم به الجمالُ وإِنَّه
ليكاد يُنطقه الجمالُ فيَنطق
جَرَّ النسيمِ عليه فضلَ ردائِه
وبفضله أضْحى يفوح ويعبق
قد فَوَّقَتْه يَدُ الربيعِ بوشِيها
فعليه من حُللِ الطبيعةِ رونق
باكرتُه فلقيتُ عند غديرِه
هيفاءَ ترقص والغديرُ يصفّق
النُّورُ في جنباته مُتأَلِّقُ
والنُّورُ في وجناتها يتأَلِّقُ



يا جارةِ الوادي الرحيبِ وإِنَّه
نِعَمَ الجوارِ لمن يهيم ويعشق
لما التقينا والعيونُ سوابقُ
ودَّ الفؤادُ لَوَ أَنَّهُ لَكَ أَسْبَقُ
يا يومَ جاوزتِ الخميْلَةَ في الضحى
والشمسُ مُشْرِقةٌ ووجهُكَ مُشْرِقُ
كم ظلَّلَنا دوحةً أغصانُها
أحنى من الأمِّ الرُّؤومِ وأشفق
والطيرُ هاتفةٌ بألحانِ الهوى
تعلو وتهبط تارةً وتُحلّقُ

حاتت على «الرمآن» تشدو فوقه
يا من يقبل في الصبأ وينشق
والكرم ناء بامله فبناؤه
منها طريح في الثرى ومعلق
«أقلوبنا» في الروض أم «رمائه»
أضحى على أغصانه يتفلق
تلهب النيران في أحشائه
والماء تحت ظلاله يترقرق
لم أدر حين جنيته، أرحيقه
أم ريقك المعسول ما أذوق
ثم انثني عن الرياض ومقلتي
عبرى وقلبي في حبالك مؤثق
والشمس تجنح للأصيل كأنها
وجنائنا، والبين صاح: تفرقوا
أوحيت لي من أي حسنك آية
إني بما أوحيت له لصدق

[مجزوء الوافر]

رَعَاكَ اللَّهُ مَا تَصْنَعُ
عُ، لَوْ لَاقَيْتَ سَمْسَارًا^(١)؛
إِذَا الْفَيْتُهُ فِي الدَا
رِ، أَهْدَمُ فَوْقَهُ الدَّارَا
وَأَجْعَلُ فَوْقَهُ الْأَحْجَا
رَ، لَا أَتْرُكُ أَحْجَارًا !
وَأَجْمَعُهُ بِمِائِ قَطَا
وَأُضْرِمُ فَوْقَهُ النَّارَا
أُصَوِّبُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ
أَدُقُّ هَنَّاكَ مَسْمَارَا
أُعَلِّقُ «لَوْحَةً» فِيهَا:
«أَلَا قُبِّحَتْ سَمْسَارًا!»

(*) اشترك في نظمها كل من: إبراهيم طوقان، وعبدالرحمن عبدالمجيد، والشيخ محمد البسطامي وكلهم شعراء من مدينة نابلس.
(١) القصيدة بلا عنوان.

الفهارس

- فهرس القصاصات
- الفهرس التاريخي للقصاصات
- فهرس القوافي
- فهرس الإعلام
- الفهرس العام



فهرس القصائد

الشعر السياسي

عنوان القصيدة	الصفحة	السنة
- ذكرى حمية أهل الشام	٣٩	١٩٢٥
- يا موطني	٤٣	١٩٢٥
- يا سراة البلاد	٤٦	١٩٢٥
- ذكرى دمشق	٤٨	١٩٢٦
- تحية الريحاني	٥٤	١٩٢٧
- بين الحب والوطن	٥٧	١٩٢٧
- تفاؤل وأمل	٥٩	١٩٢٨
- حطين	٦٢	١٩٢٨
- إلى بائعي البلاد	٦٥	١٩٢٩
- رد على رثوبين شاعر اليهود	٦٦	١٩٢٩
- البلد الكئيب	٧٠	١٩٢٩
- عتاب إلى شعراء مصر	٧٤	١٩٢٩
- يا تعس من سيم خسفا	٧٦	١٩٣٠
- موسم النبي موسى	٧٧	١٩٣٠
- الفدائي	٧٩	١٩٣٠
- الثلاثاء الحمراء	٨١	١٩٣٠

١٩٣٠	٨٦	- لجنة إثر لجنة
١٩٣٠	٨٧	- يا وفد سر بأمان
١٩٣١	٨٨	- تحية مصر
١٩٣٢	٩١	- اشتروا الأرض
١٩٣٣	٩٢	- يا رجال البلاد
١٩٣٤	٩٤	- الشهيد
١٩٣٤	٩٦	- إلى الأحرار
١٩٣٤	٩٧	- فلسطين مهد الشقاء
١٩٣٥	٩٩	- يا قوم
١٩٣٥	١٠٠	- الإيمان الوطني
١٩٣٥	١٠١	- الشيخ المظفر
١٩٣٥	١٠٢	- السماسرة
١٩٣٥	١٠٣	- أيها الأقوياء
١٩٣٥	١٠٤	- زيادة الطين
١٩٣٥	١٠٥	- إلى ثقيل
١٩٣٥	١٠٦	- غاييتي
١٩٣٥	١٠٧	- مناهج
١٩٣٥	١٠٨	- أنتم
١٩٣٥	١٠٩	- ١٠٠٠
١٩٣٥	١١٠	- لمن الربيع
١٩٣٥	١١١	- يا حسرتا

- نعمة ١١٢ ١٩٣٥
- أيتها الحكومة ١١٣ ١٩٣٥
- القدس ١١٤ ١٩٣٥
- شريعة الاستقلال ١١٥ ١٩٣٥
- سمعت بأبيات لكوهين ١١٦ ١٩٣٩
- قم للجهاد ١١٧

الأناشيد

- نشيد بطل الريف ١٢١ ١٩٢٤
- وداع ١٢٣ ١٩٢٦
- فتية المغرب ١٢٥ ١٩٢٩
- نشيد البراق ١٢٦ ١٩٢٩
- وطني أنت لي ١٢٧ ١٩٢٩
- نشيد النهضة ١٢٨ ١٩٢٩
- موطني ١٢٩ ١٩٣٠
- أطلقني ذاك العيارا ١٣١ ١٩٣٤
- نشيد رثاء غازي ١٣٣ ١٩٣٩
- أشواق الحجاز ١٣٤ ١٩٣٩
- العمل ١٣٥
- نشيد الربيع ١٣٧

شعر الرثاء

- كارثة نابلس ١٤١ ١٩٢٧
- سرّ الخلود ١٤٤ ١٩٢٧

- حريق الشام ١٤٨ ١٩٢٨
- رثاء نافع العبوشي ١٤٩ ١٩٢٩
- صاحب غمدان ١٥٠ ١٩٣٠
- الملك حسين ١٥٤ ١٩٣٢
- نسر الملوك ١٥٥ ١٩٣٣
- ورد يغيض وهجرة تتدفق ١٦١ ١٩٣٤
- تعزية البيت الهاشمي ١٦٤ ١٩٣٥
- رثاء الشيخ سعيد الكرمي ١٦٥ ١٩٣٥
- رثاء أبي المكارم ١٦٨ ١٩٣٥
- رثاء أديب منصور ١٧١ ١٩٣٩

شعر الغزل

- غرام بعد ملام ١٧٧ ١٩٢٤
- مصدر الشاعرية ١٧٨ ١٩٢٥
- عارضني نوحى بسجع ١٧٩ ١٩٢٥
- عيناى مطبقتان ١٨١ ١٩٢٥
- شوق وعتاب ١٨٣ ١٩٢٦
- عند شباكي ١٨٥ ١٩٢٦
- فى المكتبة ١٨٧ ١٩٢٦
- سلام عليك ١٨٩ ١٩٢٦
- نزيهة ١٩٠ ١٩٢٧
- أطفئ غلتي ١٩١ ١٩٢٧

- معين الجمال ١٩٢ ١٩٢٨
- حملتني نحو الحمى أشجاني ١٩٤ ١٩٢٨
- منديل حسناء ١٩٧ ١٩٢٨
- كيف عيناك يا عمر ١٩٨ ١٩٢٨
- حيرة ١٩٩ ١٩٢٨
- الحبيب الذاهل ٢٠٠ ١٩٢٨
- لذة العيش ٢٠٢ ١٩٢٩
- وحي رسالة ٢٠٤ ١٩٢٩
- في دير قديس ٢٠٦ ١٩٢٩
- إلى ذات المنديل ٢٠٧ ١٩٢٩
- إلى م ٢٠٨ ١٩٢٩
- الزهرتان والشاعر ٢٠٩ ١٩٢٩
- وداعاً ٢١٠ ١٩٢٩
- اغفري لي ٢١١ ١٩٢٩
- خطرة في الهوى ٢١٣ ١٩٢٩
- رمان كفر كنا ٢١٤ ١٩٢٩
- عنث الدهر ٢١٥ ١٩٢٩
- إلى ل ٢١٦ ١٩٢٩
- إلى م أيضاً ٢١٧ ١٩٢٩
- اقتباسات من القرآن ٢١٨ ١٩٢٩
- ما لك والذكريات ٢٢٠ ١٩٢٩

- فرحتي ٢٢٤ ١٩٣٠
- ذكرى ٢٢٧ ١٩٣٠
- التفاتة ٢٢٨ ١٩٣٠
- يوم الثلاثاء ٢٢٩ ١٩٣٠
- حلفت ألا تكلميني ٢٣١ ١٩٣٠
- بعد عام ٢٣٢ ١٩٣٠
- هواك جبار ٢٣٣ ١٩٣٠
- إلى ذات العصابة الزرقاء ٢٣٥ ١٩٣١
- طيف الأمل ٢٣٦ ١٩٣١
- بهاء ٢٣٧ ١٩٣١
- الغرام الأول ٢٣٩ ١٩٣١
- اشربي ٢٤٠ ١٩٣٢
- يا حسنهما من رياض ٢٤١ ١٩٣٢
- يا كوثر الظرف النمير ٢٤٢ ١٩٣٢
- صدقت ما أنت كالخنساء ٢٤٣ ١٩٣٢
- أعجب الهوى ٢٤٤ ١٩٣٢
- غادة إشبيلية ٢٤٥ ١٩٣٢
- عاش كلانا بالمنى ٢٤٩ ١٩٣٢
- طير الصبا ٢٥١ ١٩٣٢
- المغامرة ٢٥٢ ١٩٣٢
- ذكرى عشية زهراء ٢٥٣ ١٩٣٢

- هدية رمان ٢٥٥ ١٩٣٣
- صورتها الكبيرة ٢٥٦ ١٩٣٣
- بعد أعوام.. للذئب لا للحب رباها ٢٥٧ ١٩٣٥
- إلى الممرضة الروسية ٢٥٩ ١٩٣٥
- ناشدتك الإسلام ٢٦٠ ١٩٣٥
- إلى ذات السوار ٢٦١ ١٩٣٥
- بلا عنوان ٢٦٢ ١٩٤٠
- مآثم في حنايا القلب ٢٦٤ ١٩٤٢
- إن التي عانقتها ٢٦٥
- كفالك يا قلب شكوى ٢٦٦
- قامت إليّ على خوف ٢٦٧
- لم تدر ماذا قد أصاب قلبي ٢٦٨

الشعر الاجتماعي

- لعمرك إن جار الزمان ٢٧١ ١٩٣٣
- ملائكة الرحمة ٢٧٢ ١٩٣٤
- مناجاة وردة ٢٧٤ ١٩٣٠
- حرب بالاس أوتيل ٢٧٧ ١٩٣٠
- ليلى كوراني ٢٧٨ ١٩٣٠
- الحبشي الذبيح ٢٧٩ ١٩٣٠
- آل عبدالهادي ٢٨١ ١٩٣٣
- سر يا أبا الغيث ٢٨٤ ١٩٣٤
- مصرع بلبل ٢٨٥ ١٩٣٤

- مرابع الخلود ٢٩١ ١٩٣٥
- توكيد الذكرى ٢٩٦ ١٩٤٠

مداعبات

- البقة والبرغوث ٢٩٩ ١٩٣٢
- الدم الخفيف ٣٠٠ ١٩٣٢
- إن عبدالكريم ردّ حياتين ٣٠١ ١٩٣٢
- ذكرى عشية زهراء ٣٠٢ ١٩٣٢
- الشاعر المعلم ٣٠٣ ١٩٣٣
- إعلان الشعراء ٣٠٥ ١٩٣٣
- مداعبة قدرى طوقان ٣٠٦ ١٩٣٣
- وليمة المعكرون ٣٠٧ ١٩٣٥
- أنت يا أستاذ ٣٠٨
- مرحباً بالرئيس ٣١٠
- مُرَّ على مُسلِّم ٣١١
- ثقلاء الثقلين صقعاء الخافقين ٣١٢

متفرقات

- الشعر والشباب ٣١٥ ١٩٢٥
- الجنة ٣١٧ ١٩٢٨
- نعمة العافية ٣١٨ ١٩٣٣
- يا ضفاف القويق ٣١٩

الفهرس التاريخي للقصائد

التاريخ	عنوان القصيدة	التاريخ	عنوان القصيدة
١٩٢٣	لعمرك إن جار الزمان	١٩٢٨	نزيهة
١٩٢٤	نشيد بطل الريف		أطفئي غلتي
	غرام بعد ملام		الجنة
	ملائكة الرحمة		تقاؤل وأمل
١٩٢٥	مصدر الشاعرية		حطين
	الشعر والشباب		حريق الشام
	ذكرى حمية أهل الشام		معين الجمال
	يا موطني		حملتي نحو الحمى أشجاني
	يا سراة البلاد		منديل حسناء
	عارضني نوحى بسجع		كيف عيناك يا عمر
	عيناى مطبقتان		حيرة
١٩٢٦	ذكرى دمشق		الحبيب الذاهل
	وداع	١٩٢٩	إلى بائعي البلاد
	شوق وعتاب		رد على رثويين شاعر اليهود
	عند شباكي		البلد الكئيب
	في المكتبة		عتاب إلى شعراء مصر
	سلام عليك		فتية المغرب
١٩٢٧	تحية الريحاني		نشيد البراق
	بين الحب والوطن		وطني أنت لي
	كارثة نابلس		نشيد النهضة
	سرّ الخلود		

فرحتي	رثاء نافع العبوشي	
ذكرى	لذة العيش	
التفاتة	وحي رسالة	
يوم الثلاثاء	في دير قديس	
حلفت ألا تكلميني	إلى ذات المنديل	
بعد عام	إلى م	
هواك جبار	الزهرتان والشاعر	
مناجاة وردة	وداعاً	
حرب بالاس أوتيل	اغفري لي	
ليلي كوراني	خطرة في الهوى	
الحبشي الذبيح	رمان كفر كنا	
تحية مصر	عنت الدهر	
إلى ذات العصابة الزرقاء	إلى ل	
طيف الأمل	إلى م أيضاً	
بهاء	اقتباسات من القرآن	
الغرام الأول	ما لك والذكريات	
اشترى الأرض	يا تعس من سيم خسفا	١٩٣٠
الملك حسين	موسم النبي موسى	
اشربي	الفدائي	
يا حسنهما من رياض	الثلاثاء الحمراء	
يا كوثر الظرف النمير	لجنة إثر لجنة	
صدقت ما أنت كالخنساء	يا وفد سر بأمان	
أعجب الهوى	موطني	
غادة إشيلية	صاحب غمدان	

يا قوم	١٩٣٥	عاش كلانا بالمنى	
الإيمان الوطني		طير الصبا	
الشيخ المظفر		المغامرة	
السماسرة		البقة والبرغوث	
أيها الأقوياء		الدم الخفيف	
زيادة الطين		إن عبدالكريم ردّ حياتين	
إلى ثقل		يا رجال البلاد	
غاييتي		نسر الملوك	١٩٣٣
مناهج		هدية رمان	
أنتم		صورتها المكبرة	
١٠٠٠		نعمة العافية	
لمن الربيع		الشاعر المعلم	
يا حسرتا		ذكرى عشية زهراء	
نعمة		آل عبدالهادي	
أيتها الحكومة		إعلان الشعراء	
القدس		مداعبة قدري طوقان	
شريعة الاستقلال		الشهيد	١٩٣٤
تعزية البيت الهاشمي		إلى الأحرار	
رثاء الشيخ سعيد الكرمي		فلسطين مهد الشقاء	
رثاء أبي المكارم		أطلقني ذاك العيارا	
بعد أعوام.. للذئب لا للحب رباها		ورد يغيض وهجرة تتدفق	
إلى الممرضة الروسية		سر يا أبا الغيث	
ناشدتك الإسلام		مصرع بلبل	
إلى ذات السوار			

العمل	مرايع الخلود	
نشيد الربيع	وليمة المعكرون	
إن التي عانقتها	سمعت بأبيات لكوهين	١٩٣٩
كفاك يا قلب شكوى	نشيد رثاء غازي	
قامت إليّ على خوف	أشواق الحجاز	
لم تدر ماذا قد أصاب قلبي	رثاء أديب منصور	
يا ضفاف القويق	بلا عنوان	١٩٤٠
مداعبات	توكيد الذكرى	
أنت يا أستاذ	مآثم في حنايا القلب	غير محددة التاريخ
مرحباً بالرئيس	قم للجهد	
مرّ على مُسلم	أناشيد	
ثقلاء الثقلين صقعاء الخافقين		

فهرس القوافي

قافية الهمزة:

١٠٢	عارٌ على أهل البلاد بقاؤها	١ - أما سماسرة البلاد فعصبة
١١٥	وبهاؤه للخافقين بهاء	٢ - يومٌ بداجية الزمان ضياء
٢٣٥	لَمْتُ شعورٌ مليحة حُسناء	٣ - رُوحِي فداء عصابة زرقاء
٢٤٢	لطف الغزير وأهل كل ثناء	٤ - يا كوثرَ الظرفِ النمير ومصدر الد
٢٩٩	حَدَّثِينَا بطيبِ الأنباء	٥ - يا ضفافَ القويق في الشهباء

قافية الباء:

٥٧	يجهل السهد والجوى والنسيبا	١ - كان قبل الهوى خليًا طروبا
١٠٩	وعشر، ولكن فاقه في المصائب	٢ - أرى عددًا في الشؤم لا كثلاثة
١٦٨	حتى خلت من ظلال الحسن والطيب	٣ - سلَّ جنة الشعر ما أودى بدوحتها
١٧١	وسرعان ما غاب هذا الحبيب	٤ - عرفت أديباً فأحببته
١٨٧	بجمالها متنقّبه	٥ - وغريرة في المكتبة
٢٥٣	ما فاتني من عنفوان شبابي؟	٦ - هل كفر كنة مرجع لي ذكرها
٢٦٨	أصابه بعض شواظ الحب	٧ - لم تدبر ماذا قد أصاب قلبي
٢٧٨	أمضى من القدر المتاح وأغلب	٨ - برقت له مسنونة تلهب
٢٨٦	فشرق إذا شئت أو غرب	٩ - فراقك في المطلب الطيب
٣٠٦	قد حلّ بي ما لم يقع بحسابي	١٠ - احبس يراعك يا أبا الخطّاب
٣١٢	مرحباً بالرئيس شيخ الشباب	١١ - مرحباً بالرئيس بعد الغياب

قافية التاء:

٩٦	غطاءها يوم توقيع الكفالات	١ - أحرارنا قد كشفتم عن بطولتكم
٢٥٢	رَفَغْطَى السماء بالمُعْصِراتِ	٢ - ربّ يومٍ كأنما كرع البَحْ
٢٥٦	فزعتُ للرسم فكبرته	٣ - برّح بي الشوق فلما طغى

قافية الجيم:

- ١ - نزيهة ليس للمندي
٢٠٧ ل فيما بيننا حاجة

قافية الدال:

- ١ - يا سراً البلاد يكفي البلاد
٤٦ ما أذاب القلوب والأكبدا
٢ - ليت لي من جماعة السار قوماً
١٠٠ يتفانون في خلاص البلاد
٣ - من كان ينكر نوحاً أو سفينته
١٠٤ فإن نوحاً بأمر الله قد عادا
٤ - لي بالحياة تعلّق وتشدد
١٤٤ والعمر ما بعد المدى فسيفد
٥ - أغمدان ما يبكيك يا كعبة الهدى
١٥٠ وفيه الأسي يا هيكل الفضل والندى
٦ - أيها الموت أيّ مجلس أنس
١٦٥ ووقار عطلت بعد سعيد
٧ - مَرّت تميس ببُرده
١٧٧ تشم في الـروض ورد
٨ - كيف أغويتني وأمعت صدأ
١٨٣ يا حبيباً أعطى قليلاً وأكدى
٩ - أعيدي إلى المضنى وإن بعد المدى
٢١٣ بلهنية العيش الذي كان أرغدا
١٠ عهد الجدود سقاك صوب عهد
٢٨٣ ورجعت للأحفاد بالإسعاد

قافية الراء:

- ١ - انظر لما فعل المظفر إنّه
١٠١ نفع القضية غائباً لم يحضر
٢ - يا حسرتاً ماذا دهم أهل الحمى
١١١ فالعيش ذلّ والمصير بوار
٣ - يقولون في بيروت: أنتم بنعمة
١١٢ تبيعونهم ثرباً فيعطونكم تبراً
٤ - بني هاشم بين المنايا وبينكم
١٦٤ تراث وما تغفو المنايا عن الوتر
٥ - رأيتهها ألف مرّة
١٩٠ فلم تجد لي بنظره
٦ - كيف عيناك يا عمّر
١٩٨ أنا أدهما السهر
٧ - أين الرسائل والشُّو
٢١٦ ق؟ فالجواب تأخّر
٨ - ما لك والذكريات تذعرها
٢٢٠ تثير مكنونها وتنشرها
٩ - يا حسنّها من رياض
٢٤١ ملء العيون نضاره
١٠ - هذه نفحة البحيرة هبت
٢٩٨ سحراً أم هناك نفثة ساحر؟

قافية السين:

- ١ - لم ألقَ بين ليالي التي سلفتُ
كليلةٍ بُثُّها في دير قديسِ ٢٠٦
- ٢ - ألا لا تذكر النُّاسا
لصبٍّ شارف الياسا ٢٦٤

قافية الصاد:

- ١ - أمامك أيها العربي يومٌ
تشيب لهوله سودُ النواصي ١٠٧

قافية العين:

- ١ - باعوا البلادَ إلى أعدائهم طمعاً
بالمال لكُتِّما أوطانهم باعوا ٦٥
- ٢ - أرايتَ مملكةَ الربيد
مع يُعيد رونقها الربيعُ؟ ١١٠
- ٣ - سمعتُ بأبياتٍ لكوهينَ ملؤها
أكاذيبُ، من سيف الحقيقة تُصرع ١١٦
- ٤ - لهفي على نافع لو كان ينفعه
لهفي.. وهيهات مافي الموت نفاعُ ١٤٩

قافية الفاء:

- ١ - يا تعس من سيم خسفا
وراح يُظهر ضعفا ٧٦
- ٢ - يا وفدُ سرُّ بأمانٍ
يا وفد لا ترجُ جلفا ٨٧
- ٣ - جئتَ تتلو عليَّ صفحة ماضٍ
متنُّها الحبُّ والأسى بين مُحفِي ٢٢٧
- ٤ - «بَها» لم تقع العينُ
على أبهى ولا ألطفُ ٢٣٧

قافية القاف:

- ١ - وجهُ القضيّة من جهادك مشرقُ
وعلى جهادك من وقارك رونقُ ١٦١
- ٢ - لعمرك إن جار الزمانُ وفرقا
وهذا زمانٌ غدره ليس يُتقى ٢٧١
- ٣ - لا تعبأَنَّ بطيفَ الهمِّ إن طافا
واقصدْ مصايِفَ رام الله مصطافا ٢٧٦
- ٤ - وطبيبٍ رأى صحيفةً وجهي
شاحباً لونُها وعُودي نحيفا ٣٠٤

قافية الكاف:

- ١ - بكوري عند شبّاكي
لأنشقَ طيبَ ريّاك ١٨٥
- ٢ - صدقتِ ما أنتِ كالخنساء في شبّه
شتّانَ ما بين دنياها ودنياك ٢٤٣
- ٣ - هبيني لا أسميكِ
ولا أظهر حُبّيكِ ٢٦١

٢٦٢ ليتني أنعم يوماً برضاك ٤ - لم تزل تهجرني منذ سنين
قافية اللام:

- ٣٩ إثرَ بعضِ أمواجه تتوالى ١ - هو ذا البحر مزبداً يتعالى
- ١٠٣ وختمنا لجنكم بالبسالة ٢ - قد شهدنا لعهدكم بالعدالة
- ١٤١ تجرح القلبُ أم دموعُ الرجالِ؟ ٣ - أدموعُ النساءِ والأطفالِ
- ١٥٤ غاله اليأسُ وكان الأملُ ٤ - رحمةُ الله عليه إنه
- ١٥٥ طلعةُ الشمس وراء الكرمِ ٥ - شيعي الليلِ وقومي استقبلي
- ٢٠٨ حيرانَ يسألُ عنك أهلُ المنزلِ ٦ - خلّفتُ قلبي فوق سفح الكرمِ
- ٢١٧ زَ غيـرُنَا بوصاله ٧ - إلى الحبيب الذي فا
- ٢٢٨ وحنُّ إلى عهده الأولِ ٨ - تـلـفـتَ قلبي إلى الكرمِ
- ٢٣٦ هوئُ بقـلـبي نـزلاً ٩ - ألا وما أعجـبـه
- ٢٣٩ هيهات ما ترجع لي ١٠ - عهـدَ غـرامـي الأولِ
- ٢٦٥ أخذتُ عن الروض الشمائلُ ١١ - إن التي عانقتُها
- ٢٨١ قم للمعلم وفه التبجيلا ١٢ شوقي يقول - وما درى بمصيبتى -

قافية الميم:

- ٦٦ لا حسود ولا عجوز عقيم ١ - هاجر أمننا ولود رؤوم
- ٩١ مثل غندي عسى يفيد صيامه ٢ - حبذا لو يصوم منا زعيم
- ٩٩ لحم هـنـاك ولا دم ٣ - هزلت قضيئكم فلا
- ١٠٦ لا لحـزبٍ أو زعيم ٤ - إن قـلـبـي لـبـلـادي
- ١١٣ وفيـم احتشـارك؟ لا أفهم ٥ - علام احتـراسك لا أعلم
- ١١٧ وسير الجيش ترهب عصابة الأمم ٦ - قـم للجهاد ونـبـه راقـد الهمم
- ٢١٥ رُ وجدنا من صحبنا من يلوم ٧ - يوم كنّا نقول: «عـاـكـسـنا الدّهـم»
- ٢٤٤ وفي عينها ما بي وما سمعتُ باسمي ٨ - تـعـلّقـها قلبي ولم أدري ما اسمُها
- ٣٠٥ من بلقيا ضنّت بها الأيام ٩ - إن عبدالكريم ردّ حياتي

- ١٠ - أَنْتَ يَا أَسْتَاذُ أَدْهَشْتَ الْأَنَامَا
 ١١ - مُرَّ عَلَى مَسَلَمٍ وَسَلَمٍ وَسَلَمٍ
 ٣١٠ أَنْتَ يَا أَسْتَاذَ طَوَّقْتَ الْحَمَامَا
 ٣١٢ وَقُلْ لَهُ عَلَامَ لَمْ تَكْـلَمْ

قافية النون:

- ١ - خَطَرَ الْمَسَا بَوْشَا حَهُ الْمُتَلَوْنَ
 ٢ - هَادِي الْقَلْبِ مَطْبِقُ الْأَجْفَانِ
 ٣ - أَهْلًا بِرَبِّ الْمَهْـرَجَانِ
 ٤ - رَوْضُنَا مِنْ رِيَاضِكُمْ فَيَنَانُ
 ٥ - لَجْنَةُ إِثْرٍ لَجْنَةُ إِثْرٍ لَجْنَهُ
 ٦ - تَحِيَّةٌ لَكَ يَا مَصْرَ الْفَرَاعِينَ
 ٧ - لَهْفِي عَلَى الشَّامِ وَسَكَانِهَا
 ٨ - سَلَامٌ عَلَيْكَ وَلَوْ شَقَّقْنِي
 ٩ - أَسْعِدْنِي بِزُورَةٍ أَوْ عِدْنِي
 ١٠ - جَزْتُ بِالْحَيِّ فِي الْعِشِيِّ فَهَبْتُ
 ١١ - قَدْ فَهَمْنَا مِنَ الْهَدِيَّةِ مَعْنَى
 ١٢ - قَامْتُ إِلَيَّ عَلَى خَوْفٍ تَكَلَّمْنِي
 ١٣ - بَيْضُ الْحَمَائِمِ حَسْبُ هَيْئَةٍ
 ١٤ - بَيْنَ لَيْلَى وَسَعَادٍ وَمَنْى
 ١٥ - أَتَغْرِينِي بِحَبِّ الْمَعْكُرُونَ
 ١٦ - بِاسْمِ آلِ الْخِيَّاطِ أَبْدَأُ شَكْوَا
 ١٧ - وَجَنَّةٌ مِنْ عَقُودِ الْطَلِّ حَالِيَّةٍ
 ٤٣ بَيْنَ الرِّبَى يَهْبُ الْكِرَى لِلْأَعْيِنِ
 ٤٨ مَطْلُقُ الرُّوحِ رَاقِدُ الْجَثْمَانِ
 ٦٢ أَهْلًا بِنَابِغَةِ الْبَيَانِ
 ٧٤ وَثَرَانَا مِنْ نَيْلِكُمْ رِيَّانُ
 ٨٦ كَلَّفُوا الْخَاطِرَ الْكَرِيمَ بِهِدْنَهُ
 ٨٨ ذَوِي الْمَآثِرِ مِنْ حَيٍّ وَمَدْفُونِ
 ١٤٨ لَهْفَةُ ظَامِي الرُّوحِ حَرَّ أَنْهَا
 ١٨٩ مِنْ الْوَجْدِ وَالْيَأْسِ مَا شَقَّقْنِي
 ١٩٢ طَالَ عَهْدِي بِلَوْعَتِي وَحَنِينِي
 ٢١٤ نَفْحَةٌ أَنْعَشَتْ فَوَادِي الْمَعْنَى
 ٢٥٥ غَيْرَ مَعْنَى الرِّمَّانِ مِنْ «كَفْرَكُنَا»
 ٢٦٧ مَلْهُوفَةٌ وَتُسْرُ الْقَوْلِ فِي أَذْنِي
 ٢٧٢ أَتَى أَرْدَدَ سَجْعَ هَيْئَةٍ
 ٢٧٧ حَارَ الْيَاسِ كَمَا حَرَّتْ أَنَا
 ٣٠٩ وَتَنْصَبُ لِي الْحَبَائِلُ فِي صَحُونِ
 ٣١٤ يَ وَذَكَرَى جَمْعِيهِ الشُّبَّانِ
 ٣١٧ بَاكَرْتَهَا وَجَنَى أَغْصَانِهَا دَانَ

قافية الهاء:

- ١ - لَا تَبَالِي بِأَلْفِ خَطْبٍ عَرَاهَا
 ٢ - أَنْتَ كَالْإِحْتِلَالِ زَهْوًا وَكِبْرًا
 ٣ - دَارَ الزَّعَامَةِ وَالْأَحْزَابِ كَانَ لَنَا
 ٤ - مَا رَوْنَقُ الْفَجْرِ وَالظُّلُمَاءِ عَاكِفَةٌ
 ٩٢ نَفْسٌ حُرٌّ مَفْجُوعَةٌ بِحَمَاهَا
 ١٠٥ أَنْتَ كَالْإِنْتِدَابِ عُجْبًا وَتِيهَا
 ١١٤ قَضِيَّةٌ فَيْكَ ضَيَّعْنَا أَمَانِيهَا
 ١٩٧ إِذَا تَنْقَسَ نُورًا فِي حَنَايَاهَا

- ٥ - رسالةً واهياً لها واهياً
٦ - يا زهرة الوادي أتيتُ بزهرةٍ
٧ - كم قائلٍ لو كنتَ تلقاها
- ٢٠٤ شرقتُ بالدمع لفحواها
٢٠٩ لك من ربي لبنانٌ فاح شذاها
٢٥٧ لأنكرتُ عيناكُ مراها

قافية الواو:

- ١ - كفاك يا قلبُ شكوى
من حبٍ سلمى وسلى

قافية الياء:

- ١ - مرحباً بالثقافة الغربية
٢ - أنتم المخلصون للوطنية
٣ - حمل الحاجب المزجج سلباً
٤ - أطفئي غلتي بقبلة ثغر
٥ - ما كنتُ أرغب أن أسمى قاسياً
٦ - هواك أصبح نسياناً
٧ - يا حلوة العينين يا قاسيه
٨ - يا فوز ويلي منك يا قاسيه
٩ - إليك توجهتُ يا خالقي
- ٥٤ تتجلى في روحك الشرقيه
١٠٨ أنتم الحاملون عبء القضية
١٧٨ ووجوباً أهدابه الشادنيه
١٩١ كوثرى اللمى برود الثنايا
١٩٩ فأنقر الأحلام من عينيها
٢٣٢ كلوعتي منسياناً
٢٥٩ سرعان ما أصبحت لي ناسيه
٢٦٠ عذبتني ظلماً، كفى ما بيئه
٢٨٠ بشكر على نعمة العافيه

قصائد متنوعة القوافي:

- ١ - كفك دموعك ليس يند
٢ - يا أيها البلد الكئيب
٣ - أيها الموسم هل أنت سوى
٤ - لا تسسل عن سلامته
٥ - لما تعرض نجمك المنحوس
٦ - عبس الخطب فابيتسم
٧ - إخواننا أهل الوفاء
٨ - في ثنايا العجاج
٩ - لا تقل لله لبنان الأشم
- ٥٩ ففك البكاء ولا العويل
٧٠ حياك منهمر سكوب
٧٧ صورة المجد الذي كان لنا
٧٩ روحه فوق راحتته
٨١ وترنحت بعري الحبال رؤوس
٩٤ وطغى الهول فاقتحم
٩٧ أهل المودة والولاء
١٢١ والتحام السيوف
١٢٢

- ١٠ - فتية المغرب هيا للجهاد
١١ - لنا البُراق والحرم
١٢ - وطني أنت لي والخصم راغم
١٣ - ديننا حبك يا هذا الوطن
١٤ - موطني الجلال والجمال
١٥ - أطلقني ذاك المعيارا
١٦ - راية روعها خطب عراها
١٧ - بلاد الحجاز إليك هفا
١٨ - مجد البلاد
١٩ - قد بدا الربيع وصفا الزمان
٢٠ - عصفت بالأمس ريح صرصر
٢١ - القلب متصل الوجيف تكاد تلفظه ضلوعي
٢٢ - نبهتني صواح الأطياف
٢٣ - قم حبيبي وأطفئ المصباحا
٢٤ - لذة العيش بسفح الكرم
٢٥ - وداعاً ساقط هذا الهوى
٢٦ - اغفري لي إذا اتهمتك بالغد
٢٧ - مسهدون وهم حيرى محاجرهم
٢٨ - فرحتي يوم أراها
٢٩ - حسبت أن الشبابا
٣٠ - حلفت ألا تكلميني
٣١ - هواك جبار
٣٢ اشربي أنت وحسبي
٣٣ - أفدي بروحي غيد إشبيليه
نحن أولى الناس بالاندلس
لنا الحمى، لنا العلم
وطني أنت كل المني
سرنا فيه سواء والعن
والسنة والبهاء في ربك
قدك ضيماً واصطبارا
خفقت والهة فوق ذراها
فؤادي وهام بحب النبي
بالشباب العاملين
هيا يا إخوان
قد أباح الهوى لنا ما أباحا
ليلة الكرم عودي كرما
وأدفنه في ضلوع السنين
رفقد كنت غائباً عن صوابي
تنوطها بنجوم الليل أسباب
جننتي نار هواها
ولكى حميداً وغابا
وسوء حظي قبل اليمين
على القلب جار
نشوة من مقلتيك
وإن أنقن القلب صاب العذاب

- ٢٤٩ - ٣٤ - كان هـزاراً طـربـيا
٢٥١ ٣٥ طـيـرُ الصـبـبا ولـى
٢٧٤ - ٣٦ - جنـى عـلـيـك الحـسـنُ يا وـردـتي
٢٨٧ - ٣٧ - قـدرُ سـاقـه فـأـواه روضاً
٢٩٣ - ٣٨ - لما انـجـلـتُ من حـجـب الزـمـانِ
٣٠٣ - ٣٩ - نـحـن بـنـاتُ الخـشـبِ
٣٠٧ - ٤٠ - صـابـونـنـا يا عـذارى
٣٠٨ - ٤١ - لم يـجـر في بـالي ولا حـسابـي
٣١٥ - ٤٢ - يا شـعر لا راقـت لـعـيـنـي المحـاسـنُ والمـناظـرُ

فهرس الأعلام

- النبي إبراهيم ٢٥٥
- إبراهيم عبدالهادي ٢٨٣
- ابن زيدون ٢٤٦
- ابن عمار ٢٩٤
- أبو الخطاب ٣٠٢
- أبو سلمى (عبدالكريم الكرمي) ٣٠٢، ٣٠١، ٢٥١، ٢٤٩
- أحمد شوقي ٣٠٣، ٧٥، ٦٤، ٦٢
- أحمد مريود ٤٨
- آدم ٢٩٠
- أديب منصور ١٧٢، ١٧١
- أرواد ٥١
- إسرائيل ١١٦، ٦٧
- إشبيلية ٢٤٨، ٢٤٥
- أشعب ٦٤
- الأصمعي ١٦٥
- الأندلس ٢٤٨، ٢٤٦، ١٢٤
- الإنكليز ٦٩
- البحري ١٦٥
- الجزائر ٣١٩
- الحجاز ٣١٩، ١٣٣
- الحسن بن هاني ٣٢٤، ٦٤
- الحسين بن علي ١٦٤، ١٥٤، ١٣١

٢٤٣	- الخنساء
٣١٩، ١١٥	- الزوراء
١٠٠	- السار
٣٣٢، ٣٣٠، ٣١٩، ٢٨٦، ١٤٨، ١٣١، ٥٣، ٤٢، ٤١	- الشام
٣١٩	- الشهباء
١١٥	- الصين
٢٤٣	- الغوطتين
٥٤	- الفريقكة
٦٢، ٥٠	- الفيحاء
١١٤	- القدس
٢٣٩، ٢٢٨، ٢٠٨، ٢٠٢، ١٥٥	- الكرمل
٣١٩، ٢٩٣	- المتنبى
١٢٧، ١٢٥	- المصطفى
٥٤	- المعري
١٢٤، ١٢١	- المغرب
١٥٨	- الموصل
٣٠٩، ١٤٥، ٧٤	- النيل
٧٥	- اليابان
١٢٥، ٦٩، ٦٨، ٦٦	- اليهود
٩٠	- أم كلثوم
٣١٢، ١٠٨	- أمية
١٠٩	- أمين الحسيني
٥٦، ٥٥، ٥٤	- أمين الريحاني
٣٢٣	- أنيس فريحة

١٥٥	- إيلياء
٦٦	- بابل
٦٢، ٥٠	- بردى
١٦٠	- بغداد
١٠٣، ٧١، ٦٩	- بلفور
٣١٩، ٢٩٥	- بنو حمدان
٢٩٣	- بوّان
٣١٩، ٢٤٧، ٢٤٦، ٢٢٠، ١٩٨، ١١٢، ٤٢	- بيروت
٣١٩	- تونس
١٥٣، ١٥٢، ١٥٠	- جبر ضومط
٢٨١، ١٥٩، ٦٢	- جبريل
١٤٢	- جرزيم
٢٦٨	- جلق
٢١٩	- جميل بشينة
١١٦	- جون بول
٧٥	- حافظ إبراهيم
٧٨، ٦٣، ٦٢	- حطين
٣٢٩، ٢٨٤	- حلب
٣٢٥	- حلیم دمّوس
٢٩٠	- حواء
٧٥	- خليل مطران
٢٨٤	- خيرالدين الزركلي
١٦٠	- دجلة
٢٨٤، ١١٥، ٤٨	- دمشق

- راغب النشاشيبي ١٠٩
- رام الله ٢٧٦
- رثوبين ٦٨ ، ٦٧ ، ٦٦
- رفائيل ٢٢٢
- روما ٧٥
- زمزم ١٣٣
- سعد زغلول ١٤٧ ، ١٤٦ ، ١٤٥ ، ١٤٤
- الشيخ سعيد الكرمي ١٦٥
- سلطان الأطرش ٥١
- سورية ٢٤٧
- سيبويه ٣٠٤
- سيناء ٢٤٣
- شاكِر بن زيد ١٦٤
- شكسبير ٦٨
- شمعون ١٥٨
- شيلوخ ٦٨
- صالح طوقان ٢٨٢
- صفد ٣١٢
- صلاح الدين الأيوبي ٧٨ ، ٧٧ ، ٦٤ ، ٦٣
- صنعاء ٣١٩
- صهيون ٦٩
- صور ٣١٢
- صيدا ٣١٢
- ضهور الشوير ٣١٢

- طارق بن زياد ١٢٤
- عاليه ٨٢
- عبدالقادر المظفر ١٠١
- عبدالكريم الخطابي ١٢١
- عبدالله البستاني ١٥٢
- الملك عبدالله ١٦٤
- عبدالمحسن الكاظمي ١٧٠ ، ١٦٩ ، ١٦٨
- عزّون ٢٨١
- عطا الزير ٨٥
- عفيف طوقان ١٧٣
- عكا ٣١٤
- الإمام علي ١٥٩
- علي بن الحسين ١٦٤
- عمر بن الخطاب ١٢٧
- عمر فروخ ١٩٨
- عيبال ١٤٧ ، ١٤٢ ، ١٠٤ ، ٤٣
- عيسى ٣٠٥
- الملك غازي ١٦٤ ، ١٥٨ ، ١٣٢
- غملان ٥٢
- غندي ٩١
- فاطمة رشدي ٣٢٤
- فؤاد حجازي ٨١
- فرنسا ٥٢ ، ٥١
- فروّخ ٢٨٢

فلسطين	١٤٣ ، ١٢٧ ، ١١٦ ، ١١٣ ، ١٠٩ ، ١٠٠ ، ٩٧ ، ٩١ ، ٧٦ ، ٧٤ ، ٥٥ ، ٥٣ ، ٥٢
	٣١٩ ، ٢٨٤ ، ١٧٠ ، ١٥٦ ، ١٥٥ ، ١٥٢
الملك فيصل الأول	١٦٤ ، ١٥٩ ، ١٥٨ ، ١٥٥
الملك فيصل الثاني	١٣٢
قبرص	١٥٤
قذري طوقان	٣٠٦ ، ٣٠٥
قسطنطين	١١٥
قيس	٢٧٧ ، ٢٥٧
قيصر	٢٩٤
كافور	٢٩٤
كربلاء	١٥٤
كسرى	٢٩٤
كفر كنا	٢٥٥ ، ٢٥٣ ، ٢١٤
كنعان	٣١٢
كوهين	١١٦
لبنان	٣١٢ ، ٢٤٣ ، ٢٠٩ ، ١٥١ ، ١٥٠ ، ١٢٢
ليلى	٢٥٧
النبي محمد	١٣٣ ، ١١٥
محمد مجوم	٨٤
مروان	٥٢ ، ٥١
مصر	٢٩٤ ، ٢١٣ ، ١٤٧ ، ١٤٦ ، ١٤٥ ، ٩٠ ، ٨٩ ، ٨٨ ، ٧٥ ، ٧٤ ، ٦٦
النبي موسى	٢٤٣ ، ٧٧ ، ٦٧
موسى كاظم الحسيني	١٦١
موسوليني	٣٠٧

٤١	- ميسلون
١٤١	- نابلس
١٤٩	- نافع العبّوشي
٣٢٣	- نجد
٣١٩	- نهر القويق
٣٠٩، ٣٠٨	- نهر الكلب
١٠٤	- نوح
٧٥	- نيرون
٦٦	- هاجر
٢٤٦	- ولادة
٢٧٦	- يافا
٢٨٤	- يثرب
١١٥	- يعرب
٨٩	- يعقوب
٦٧	- يهوذا
١١٦	- يوشع
٨٩، ٦٧	- النبي يوسف

فهرست عام

٣	- تصدير، عبدالعزيز سعود البابطين
٥	- طبعة جديدة.. تحدّ جديد
٩	- أخي إبراهيم
٣٧	- الشعر السياسي
١١٩	- أناشيد
١٣٩	- شعر الرثاء
١٧٥	- شعر الغزل
٢٦٩	- الشعر الاجتماعي
٢٩٧	- مداعبات
٣١٣	- متفرقات
٣٢١	- أبيات ومقطوعات
٣٢٧	- ملحق: قصائد مشتركة
٣٣٩	- فهرس القصائد
٣٤٧	- الفهرس التاريخي للقصائد
٣٥١	- فهرس القوافي
٣٥٩	- فهرس الأعلام
٣٦٦	- الفهرس العام

